التنشئة الاجتماعية وتعزيز قيم المواطنة

د. عمر موسى عمر بوحردة

التنشئة الاجتماعية وتعزيز قيم المواطنة

د. عمر موسى عمر بوحردة

منشورات
جامعة عمر المختار
البيضاء

التنشئة الاجتماعية

وتعزيز قيم المواطنة

Socialization and Promotion of Citizenship Values

تأليف

د. عمر موسى عمر بوحردة

أستاذ مشارك بقسم علم الاجتماع – القبة

ومنسق وحدة البحوث الاجتماعية والثقافية بمركز المختار للبحوث والاستشارات

بجامعة عمر المختار

منشورات

جامعة عمر المختار

البيضاء

1961

اسم الكتاب : التنشئة الاجتماعية وتعزيز قيم المواطنة
اسم المؤلف : عمر موسى عمر بوحردة
رقم الإيداع : 2022/694م

دار الكتب الوطنية بنغازي – ليبيا

© 2022 المؤلف

هذا كتاب يخضع لسياسة الوصول المفتوح (المجاني) ويتم توزيعه بموجب شروط ترخيص إسناد المشاع الإبداعي (CC BY-NC-ND 4.0)، والذي يسمح بالنسخ وإعادة التوزيع للأغراض غير التجارية دون أي اشتقاق، بشرط الاستشهاد بالمؤلف وبجامعة عمر المختار كناشر أصلي.

منشورات
جامعة عمر المختار
البيضاء

الترقيم الدولي

ردمك ISBN 978-9959-1-2947-5

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

آل عمران **(104)**

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾

يس **(64)**

الإهداء

إلى كل إنسان وطني لم يتعاون مع الاستعمار ضد وطنه

إلى كل من ساهم في بناء وطنه ولو بغرس شجرة

إلى كل من اعتبر ليبيا بيته الكبير

إلى كل من دافع عن تراب وطنه واعتبره جزءاً منه

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

قائمة المحتويات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	1
الفصل الأول	
تعريف وماهية التنشئة الاجتماعية	
تمهيد	7
أولاً: تعريف التنشئة الاجتماعية	7
ثانياً: الاتجاهات الأساسية لمفهوم التنشئة الاجتماعية.....	11
ثالثاً: التعريف الإجرائي لمفهوم التنشئة الاجتماعية	15
رابعاً: أهداف التنشئة الاجتماعية	16
خامساً: خصائص التنشئة الاجتماعية.....	18
سادساً: ميكانزمات التنشئة الاجتماعية	20
سابعاً: أشكال التنشئة الاجتماعية	21
ثامنا: التنشئة الاجتماعية بين الوراثة والبيئة.....	22
تاسعاً: التنشئة الاجتماعية وتفعيل الدور الثقافي	24
عاشراً: علاقة التربية بالتنشئة الاجتماعية.....	26
الحادي عشر: الإسلام والتنشئة الاجتماعية	29
الفصل الثاني	
أساليب وأنماط التنشئة الاجتماعية	
تمهيد	35
أولا: الأنماط والأساليب السلبية الخاطئة في التنشئة الاجتماعية	35
ثانياً: نتائج بعض الأساليب السلبية التقليدية في التنشئة الاجتماعية	46

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
ثالثاً: نمط من سيطرة الأبناء على الآباء	51
رابعا: بعض الأخطاء الصحية في التنشئة	51
خامساً: نمط الأساليب المثالية للتنشئة الاجتماعية	53
سادساً: نمط الأساليب الروحية والنفسية للتنشئة الاجتماعية	54
سابعاً: نمط الأساليب العربية في التنشئة الاجتماعية	57
الفصل الثالث	
مؤسسات التنشئة الاجتماعية	
تمهيد	63
أولاً: دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية	63
ثانياً: دور جماعة النظائر والأصدقاء في التنشئة الاجتماعية	72
ثالثاً: دور مؤسسة رياض الأطفال في التنشئة الاجتماعية	74
رابعاً: دور مؤسسة المدرسة في التنشئة الاجتماعية	79
خامساً: دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية	84
سادساً: دور المؤسسات الدينية في التنشئة الاجتماعية	93
سابعاً: دور تشريع حقوق الأسرة والطفل في التنشئة الاجتماعية	95
الفصل الرابع	
الاتجاهات النظرية للتنشئة الاجتماعية	
تمهيد	105
أولاً: نظرية التحليل النفسي	105
ثانياً: نظرية التعلم الاجتماعي	108
ثالثاً: نظرية الدور الاجتماعي	112
رابعاً: النظرية البنائية الوظيفية	114

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
خامساً: نظرية التبادل الاجتماعي	114
سادساً: النظرية التفاعلية الرمزية	115
سابعاً: نظرية الضبط الاجتماعي	118
ثامنا: نظرية تطور الطفل أو النظرية المعرفية الإنمائية	119
الفصل الخامس	
ماهية المواطنة	
تمهيد	125
أولاً: المواطنة تاريخياً	126
ثانياً: تعريف وأبعاد وأنواع وشروط المواطنة	127
ثالثاً: مفهوم المواطنة في الإسلام	134
رابعا: مفهوم المواطنة بعد الثورة الفرنسية	137
خامساً: أهمية المواطنة	138
سادساً: أهداف المواطنة	139
سابعاً: متطلبات المواطنة	140
ثامناً: الأسس التي تقوم عليها المواطنة	141
تاسعاً: عناصر المواطنة	142
عاشراً: مؤشر قياس المواطنة	143
الفصل السادس	
الجنسية وحقوق الإنسان والوطنية من منظور المواطنة	
تمهيد	147
أولا: الجنسية والمواطنة	147
ثانيا: المواطنة وحقوق الإنسان	150

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
ثالثا: المواطنة والوطنية	153
رابعاً: الهوية والمواطنة	154
خامساً: التربية الوطنية	155
سادساً: المواطنة والتنمية	157
الفصل السابع	
دور التربية والتعليم في تعزيز قيم المواطنة	
تمهيد	161
أولاً: دور المؤسسة الأسرية في تعزيز قيم المواطنة	162
ثانياً: دور المؤسسة التعليمية في تعزيز قيم المواطنة	164
ثالثاً: أساليب تعزيز قيم المواطنة عبر التنسيق والشراكة	167
الفصل الثامن	
تربية قيم المواطنة التنظيمية	
تمهيد	175
أولاً: مفهوم المواطنة التنظيمية	175
ثانياً: خصائص سلوك المواطنة التنظيمية	177
ثالثاً: أهمية سلوك المواطنة التنظيمية	177
رابعاً: مكونات المواطنة التنظيمية	178
خامساً: مبادئ المواطنة التنظيمية المسؤولة	180
سادساً: علاقة التنشئة الاجتماعية بتربية المواطنة	181
سابعاً: كيفية تعزيز مبدأ المواطنة في التنشئة الاجتماعية	183

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
الفصل التاسع	
دور المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة	
تمهيد	189
أولاً: الجذور التاريخية لمفهوم المجتمع المدني في الفكر الغربي	189
ثانياً: تعريف المجتمع المدني	191
ثالثاً : مكونات المجتمع المدني	193
رابعاً: معايير تطور المجتمع المدني	199
خامساً:. وظائف المجتمع المدني	200
سادساً: معوقات المجتمع المدني	202
سابعاً: أساليب تقوية مؤسسات المجتمع المدني	205
الفصل العاشر	
الرقم الوطني الليبي ودوره في تعزيز قيم المواطنة	
تمهيد	209
أولاً: الرقم الوطني في ليبيا	210
ثانياً: مصر كمثال لتطبيق الرقم الوطني	210
ثالثاً: أهمية الرقم الوطني الليبي	211
رابعاً: فوائد استخدام الرقم الوطني	212
خامساً: فوائد الرقم الوطني للدولة الليبية	214
سادساً: أهداف الرقم الوطني	215
سابعاً: علاقة الرقم الوطني بالهوية والمواطنة والتنمية	216
المراجع	221

المقدمـــــــة
Introduction

لعل المتتبع لمقولة عالم السلوكيات الأمريكي (جون واطسون) Watson الشهيرة: "أعطني دستة A dozen من الأطفال سليمي البنية، والإمكانات المطلوبة، أضمن لك أن أنشئ من أي واحد منهم أي متخصص تريده: طبيبا أو محاميا أو فنانا أو تاجرا أو متسولا أو لصا، بغض النظر عن إمكاناته ومواهبه وجنسه وسلالته" (Bacanli 2016:19)، تأكيدا منه على أهمية التعلم في مجال التربية والتنشئة، إذ يرى أن السلوك لا ينشأ من الغرائز أو أي شيء فطري آخر، بل إنه يكتسب من خلال التعلم، وبخاصة الطريقة الشرطية الكلاسيكية على الطريقة (البافلوفية)، أو الاشتراط الإجرائي كما أوضح "سكينر" من خلال التغييرات في السلوك نتيجة استجابة الفرد للأحداث والمحفزات التي تحدث في البيئة.

يبين ذلك إلى أي حد يمكن التعويل على عملية التنشـــئة الاجتماعية في تشـــكيل شخصية الكائن البشري، من مجرد كائن بيولوجي عضوي، إلى كائن اجتماعي، في نقلة نوعية له من الحظيرة الفيزيقية للكائنات الحية، إلى الحاضـــنة الاجتماعية المشَـــيَّدَة بالرموز الثقافية، لضمان تثبيت نظرية المعرفة على الخضوع لقوانين الطبيعة، واستمرار تمرده على فطرته البدائية، ليتمكن من إنتاج وإعادة إنتاج خاصيته البشرية، ليكون جديرا بالتفرد بكونه الكائن الوحيد الصـــانع لأدوات إنتاجه الثقافية والاجتماعية المفارقة، التي تمكنه من العيش في قواعدها ونظمها، خارج ذاته الفطرية التي لم يشارك في إنتاجها.

لعل هذا العمل يشكل جزءًا من التفاعلات الايجابية لعمليات هذه الآلة الاجتماعية الضـــخمة لإنتاج الإنســـان لنفســـه، بما يميزها من متطلبات مركبة، للقيام بدور أعادة أنتاج وتطوير أدواته وتفكيره بذاته، بما ينســـحب على كل الأنشـــطة البشـــرية الهادفة إلى الرقي

بمتعلقات الإنســـان المختلفة، ســـواء كانت مواطنة أو انتماء أو غير ذلك من أنماط محاولات تعميق أنسنة الإنسان (تنشئته)، كما هو شأن القائمين على هذا العمل، الذي يسعى لتقديم نوع من المقاربة السوسيولوجية لتفعيل دور عملية التنشئة في تعزيز المواطنة، كخيار استراتيجي للإنســان، نابع من انحيازه في جدلية "الاتحاد/الانفصــال" مع الطبيعة لحيازة قوتها أو جبروتها، كمصدر لفك العزلة عن نفسه بالانصهار في غيره بشتى الوسائل، سواء بتجربة الانغماس في الفجور والمسكرات وغيرها، لتعطيل وعيه، الذي يذكره بإنسانيته الميتافيزيقة، والذي لن يمكنه من تحقيق تلك الوحدة المنشـــودة، أو يجد أن الحل كامن في تطوير عقله، (فروم، 1990) ليتحرر من حالة الاغتراب عن ذاته، بمزيد من الانتماء لذاته، كضـــمير اجتماعي، بمعناه (الدوركايمي).

فما هي إذن، تلك العملية الضـــخمة التي اصـــطلح على تســـميتها بالتنشـــئة الاجتماعية؟

وما أهم مؤسسات التنشئة أو أدواتها لأنسنة النوع البشري؟

وما دور عملية التنشـــئة الاجتماعية في تشـــكيل أو تعزيز قيم المواطنة والانتماء للوطن؟

لعل هذه التســـاؤلات والإجابة عنها تزيد من أهمية هذا الكتاب، خاصـــة في هذه الفترة التي نحتاج فيها كل ما من شـــأنه أن يعزز قيم المواطنة، مما زاد إصـــرار الباحث على البحث عن مادة علمية تصـــلح أن تكون منهجا للتنشـــئة الاجتماعية والتربية الوطنية، تفيد طلاب الجامعة خاصة بعد ما شعرت الجامعة بأهميتها وبأهمية تدريسها؛ لتكون أساسا يتعلم من خلاله الطالب حب الوطن، خصـوصـا إذا عرفنا أن التنشـئة هي الوسـيلة إلى غاية أسمى هي بناء مواطن صـالح يفيد بلده، إذ أن كل بلد له ظروفه وإمكاناته وطبيعته التي تختلف عن

غيره، وازدادت الأهمية أكثر عندما ظهرت تنشـــئات تدعو إلى القتل والخطف والتهريب والدمار والتفجير والإرهاب؛ تسلخ الإنسان من وطنيته وأدميته، وتجعل منه شخصا منغلقا على نفسه منصاعا لنزواته لا يؤمن بحوار أو نقاش، ولا يوجد في دائرة تفكيره سوى نفسه وجماعته وأميره ويحاول إقصاء من ليس على شاكلته.

لعل ذلك ما حفز الباحث على ضـــرورة إيجاد مادة علمية للتنشـــئة الاجتماعية والمواطنة، تكون على شـــكل كتاب منســـق يســـتفيد منه الطالب، بدل المذكرات التي يتم تصـــويرها في عجالة بعدما تم تكليفه تدريس هذه المادة لعامين بكلية الآداب بجامعة عمر المختار، ثم بكلية الآداب والعلوم فرع القبة بنفس الجامعة لفترة تزيد عن سبع سنوات، حاول الباحث من خلالها أن يضـــع خبرة هذه الســـنوات بين دفات هذا المؤلف، والذي يتمنى أن يكون إضاءة ولو بسيطة للمعرفة العلمية وأن يساهم في تنشئة أجيال تخدم مجتمعنا وتعزز جانب الوطنية وتغرس الانتماء والمحبة لهذا الوطن.

زاد الباحث إصرارا تقارير المقيمين الذين أشادوا بالكتاب باعتباره إضافة علمية في مجال التربية والتنشـــئة الاجتماعية يمكن أن يســـتفاد منها طلاب علم الاجتماع والعلوم السياسية وعلم النفس والتربية بالجامعات الليبية والعربية.

ضـــف إلى ذلك أهمية التنشـــئة الاجتماعية التي تبني مواطنا يشـــعر بالانتماء لوطنه وعروبته، خاصـــة في هذه الحقبة التي حصـــلت فيها انتكاســـة لمجتمعاتنا العربية في ظل الربيع العربي الذي زادت فيه الهوة بين المواطن وبيئته، وأصـــبح أحوج المجتمعات إلى إعادة النظر في التنشئة الاجتماعية للفرد لكي تؤهل مواطنا صالحا، يعيد للمجتمع كرامته ويحفظ له هيبته.

يعالج هذا الكتاب عدة مفاهيم وقضـــايا ومســـائل مهمة في فصـــوله على النحو الآتي:

الفصـــل الأول ويتناول التعريف بالتنشـــئة الاجتماعية وماهيتها، يأتي بعده الفصـــل الثاني والذي يتناول أنماط وأســـاليب التنشـــئة الاجتماعية، ثم الفصـــل الثالث حيث يتناول مؤسسات التنشئة الاجتماعية، يتبعه الفصل الرابع يتناول الباحث فيه الاتجاهات النظرية.

أما الفصـــل الخامس والســـادس يتحدث عن المواطنة والمفاهيم المرتبطة بها، بينما الفصـــل الســـابع يبين لنا دور التربية والتعليم في تعزيز قيم المواطنة، يليه الفصـــل الثامن والذي يتكلم عن قيم المواطنة التنظيمية، ويتطرق الفصل التاسع إلى موضوع من مواضيع العصر إلا وهو دور المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة، وأخيرا يتطرق الكتاب إلى موضـــوع حديث في ليبيا ومهم كونه يوجد قاعدة بيانات لا تتحقق أي تنمية بدونها إلا وهو الرقم الوطني وتعزيزه للمواطنة.

المؤلف (2021)

الفصل الأول

تعريف وماهية التنشئة الاجتماعية

The Conception and Definition of Socialization

الفصل الأول

تعريف وماهية التنشئة الاجتماعية

The Conception and Definition of Socialization

تمهيـــد

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أخطر العمليات شأنا في حياة الفرد؛ لأنها تلعب دوراً أساسا في تكوين الشخصية الاجتماعية، وعن طريقها يمكن خلق إنسان صالح محب لوطنه، فهي الوسيلة الأساسية؛ ذلك لكونها تصبغ عليه صفته الإنسانية، وتصقل شخصيته وتعلمه التعامل مع مجتمعه وتكيفه مع بيئته ومحيطه الذي يعيش فيه، لذا سيتناول هذا الفصل التعريف بالتنشئة الاجتماعية، وأهدافها، وخصائصها، إضافة إلى ميكانزمات وأشكال التنشئة، وعلاقة التنشئة الاجتماعية بالوراثة والبيئة، كذلك كيفية تفعيل الدور الثقافي للتنشئة الاجتماعية، وأخيرا علاقة التربية بالتنشئة الاجتماعية وكيف يؤثر الإسلام في التنشئة الفاعلة.

أولاً: تعريف التنشئة الاجتماعية (Definition of socialization)

1- التعريف اللغوي

كلمة التنشئة مشتقة من فعل نشأ، نشْأً، ونُشُوءًا، ونشأَةً بمعنى حيِي وربا وشبَّ، وكذلك لفظ تنشأ ونشأ وتنشئة، هي معاني تتضمن النمو والحياة وممارسة بعض الحركات والعمليات التربوية التي تعمل في مجموعها على جعل الصغير ينمو ويكبر، وتعني كذلك أقام، ونشأ الطفل معناها شب وقرب من الإدراك، ويقال نشأ في بني فلان أي ربي فيهم وشب (الزاوي، 1980 : 602).

2- التعريفات الاصطلاحية

التعريف الاصـطلاحي: يقصـد بالتعريف الاصـطلاحي اتفاق أهل التخصـص على تسمية شيء معين باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، بمعنى لفظ يطلق على مفهوم معين للدلالة عليه عن طريق الاتفاق بين الجماعة اللغوية لكي تربط بين اللفظ الدال والمدلول، وبهذا يكون المصطلح: رمز لغوي لمفهوم معين.

لذا فإن مفهوم التنشـئة الاجتماعية مفهوم قديم، إلا أنه لم يسـتخدم كمفهوم علمي في الاسـتخدام السـوسـيولوجي إلا حديثا؛ إذ لم يسـتخدم إلا في نهاية الثلاثينات من القرن العشـــرين، فقد ظهرت كلمة التنشـــئة الاجتماعية Socialization لأول مرة في الأدب الإنجليزي سـنة 1928 وكان المقصـود بها تهيئة الفرد ليتكيف مع المجتمع، وهي أسـاسًـا عملية ثقافية اجتماعية يتم بواســـطتها نقل الثقافة من جيل إلى جيل، ومحاولة تكييفها وفي هذا سأطرح بعض التعريفات منها:

تعريف جورج (G.ROCHER) إذ عرفها بأنها "الصيرورة التي يكتسب الشخص عن طريقها ويبطن طوال حياته العناصـر الاجتماعية الثقافية السـائدة في محيطه، ويدخلها في بناء شخصيته، وذلك بتأثير من التجارب والعوامل الاجتماعية ذات الدلالة، ومن هنا يستطيع أن يتكيف مع التنشئة الاجتماعية حيث ينبغي له أن يعيش" (ROCHER,1986:32).

3- التعريفات التصورية للتنشئة الاجتماعية

التعريف التصوري: وهي معلومة تساق حسب الأفكار التي يصورها العقل ويرسمها في تشكيل المعنى حول موضوع معين.

وهنا يرى بعض المفكرين أن التنشـــئة تتم من خلال فرض أولويات المجتمع على الفرد، حيث "تمثل التنشئة الاجتماعية نوعًا من الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على الفرد لترويضه وتكييفه مع المنظومة الاجتماعية، ويبدو الفرد ككائن غير مستقل وسلوكه ليس سوى لإعادة إنتاج نماذج مكتسبة خلال مرحلة الطفولة، كما هو موضح في تعريف (تشيلد): "بأن التنشئة الاجتماعية هي العملية الكلية التي يتم من خلالها توجيه الفرد نحو تنمية سلوكه الفعلي إلى ما هو معتاد ومقبول اجتماعيا وفق معايير الجماعة التي ينتمي إليها" (عبدالعزيز، 2005 : 14-21).

والتنشـــئة الاجتماعية تبدأ من الفرد، فالفرد ليس آلة متلقية عاجزة عن الإدراك أو التمييز بين ما يمكن أخذه من ثقافة المجتمع من جهة وما يمكن أن يضـــرّ بتكيفه من جهة أخرى، إذ أن الأمر يرتبط إلى درجة ما باختيار الفرد وفق نســـبة تحددها عوامل مختلفة، كالفروق الفردية بين الأفراد والنضـــج ووضـــوح المبادئ والإرادة وغيرها، فلا يصـــح أن نعدم نسـبة الاختيار تمامًا، ولعل ذلك يتضـح في تعريف الجوهري والنجيحي إذ يعرفها عبد الهادي الجوهري بأنها: "عملية التثبيت التي تستمر طوال الحياة كلها، حيث يتعلم الفرد القيم والرموز الرئيسة للأنساق الاجتماعية التي يشـارك فيهـا، والتعبيـر عن هـذه الـقيم في معـاييـر تكـوّن الأدوار التي يؤديها هو وآخرون"(الجوهري، 1998 : 66).

ويرى محمد النجيحي: أن "التنشئة هي عملية تشكيل وإعداد أفراد في مجتمع معين، وفي زمان ومكان معين؛ حتى يســـتطيعوا أن يكتســـبوا المهارات والقيم والاتجاهات وأنماط

السلوك المختلفة التي تيسّر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية والبيئة المادية التي ينشؤون فيها" (عياد، 1992 : 95).

يتبين من خلال هذا الطرح، أن وظيفة التنشئة الاجتماعية تتركز في الاهتمام بالنظم الاجتماعية التي تنطلق من الأسرة والأصدقاء والجيران وكل البيئة المحيطة بالفرد التي من شأنها أن تحول الإنســـان من مجرد كائن عضـــوي، إلى فرد اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بيسر مع أفراد المجتمع، فبفضلها يكتسب الأطفال من المراحل الأولى الحكم الخلقي ويصبح لديهم ضبطا ذاتيا يتحكم في تصرفاتهم التي يحددها المجتمع الذي ينتمون إليه، ويتم صقلهم وإعدادهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم.

يتضـح من ذلك أن التنشـئة الاجتماعية؛ عملية مسـتمرة من التدريب للأفراد على أدوارهم المســتقبلية ليكونوا أعضـــاء فاعلين في المجتمع، إذ تتلازم مع الفرد منذ نعومة أظافره عندما يخرج لهذه الحياة ليتعود على العيش بها، ويتعلم كيفية التصرف في المواقف التي تعترضه في الحياة الاجتماعية اللاحقة التي سيتفاعل فيها مع الآخرين من أسرته ومجتمعه.

التنشئة الاجتماعية مهمة وأساس لبناء الإنسان بأنماطها المختلفة، والتي تتعلق ببناء جوهره الداخلي، إذ تشكل شخصية الإنسان وملامحه التي تميزه عن غيره، فالشخصية بناء ثقافي تتحدد طبيعته بطبيعة الحاضـن الثقافي الذي نشـأ في رعايته، والذي ترعرع فيه، ونفهم من ذلك أن الشخصية الإنسانية يتحكم فيها إلى حد كبير مستوى تطور أسلوب التنشئة الاجتماعية التي تشكل القالب الثقافي الذي يهب الإنسان خصائص إنسانيته، ويترتب على ذلك أيضا أن طبيعة ومستوى تطور الحاضن الثقافي مرهون إلى حد كبير بمستوى تطور الثقافة التي تشكل الإطار العام للتنشئة الاجتماعية (الجرواني وآخرون، 2011: 17).

ثانياً: الاتجاهات والأسس لمفهوم التنشئة الاجتماعية

(The basic trends of the concept of socialization)

لقد تنوعت واختلفت دراسة التنشئة الاجتماعية حسب دارسيها من مفكري علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا ...إلخ، إذ أن كل منهم يرى التنشئة من الزاوية التي تستحوذ على اهتمامه، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات عدة لكل منها رؤية ومنظور خاص لمفهوم التنشئة الاجتماعية وذلك على النحو الآتي:

1- الاتجاه النفسي

يعتقد مناصري هذا الاتجاه من مفكري علم النفس على أن شخصية الفرد تتكّون وتتشكّل في السنوات الأولى فقط من حياته، أما ما يتعرض له الفرد فيما بعد من تأثيرات؛ فإنها تبقى ثانوية تأثيرات بالنسبة لما قد تعرض له في مرحلة الطفولة، فمرحلة الطفولة يعتبرونها مرحلة فاصلة ترسخ معتقدات وعناصر الشخصية لدى الفرد، سواء كانت هذه المعتقدات والخبرات إيجابية أو سلبية، فالصغير يأتي إلى الدنيا وهو معزز بغرائز ونزوات يحاول إشباعها، وقد تكون هذه الغرائز لا تتمشى مع عادات وتقاليد المجتمع، فالمجتمع في هذه الحالة إما أن يحاربها أو يظهرها بصورة منظمة ومقننة ويضع لها معايير تكبحها حتى لا تهدد تماسك وترابط المجتمع، وبناء على ذلك عرف مفكرو علم النفس التنشئة الاجتماعية بأنها: "العملية التي يستطيع بمقتضاها الأفراد المنشئون اجتماعيا؛ كبح نزواتهم وتنظيمها وفق متطلبات المجتمع ونظامه الاجتماعي السائد، ويكون سلوكهم هذا مناقضا لسلوك الأفراد غير المنشئين اجتماعيا، والذين تؤدي أنانيتهم في إشباع نزواتهم إلى الإضرار بالآخرين وبسلامة المجتمع" (Malewska , 1992: 415.).

ويرى "أبو النيل" أن التنشـــئة الاجتماعية هي "العملية التي يتم من خلالها التوفيق بين رغبات ودوافع الفرد الخاصـة، وبين اهتمامات الآخرين، والتي تكون ممثلة في البناء الثقافي الذي يعيش فيه الفرد، والاسـتخدام المألوف للأسـاليب الشـائعة في المجتمع، كالمحافظة على المواعيد، وما اعتاد عليه العامة، هذه الأشـياء ضـرورية إذا ما كان على الفرد أن يحيا في وئام مع نفسه ومع الآخرين (نعيمة، 2002 :32).

بهذا نجد أن وظيفة التنشـــئة الاجتماعية من وجهة نظر مفكري علم النفس، تحقق التوازن بين نزوات الفرد ورغبـات المجتمع بحيـث يمكن تهـذيـب هـذه النزوات وتحويلهـا إلى سـلوكيات مقبولة اجتماعيا، ولا يكون هذا إلا مع بداية الطفولة، ولذلك وضـعوا العديد من النظريات التي تحاول تفسير كيفية تشكيل الشخصية مثل نظريات "سيغموند فرويد" و"جورج ميد" وغيرهم.

2- الاتجاه الاجتماعي

يذهب مفكرو علم الاجتماع في تعريفهم لمفهوم التنشـــئة الاجتماعية إلى أن النظم الاجتماعية تعتبر المجال الخصب لها، فالتنشئة الاجتماعية حسب المفهوم الاجتماعي؛ ما هي إلا تـدريـب وتلقين للقيم والأعراف السـائـدة في المجتمع، لتحقيق التوافق بين الأفراد وبين المعايير والقوانين الاجتماعية، مما يؤدي إلى خلق نوع من التضـــامن والتماســـك بين أفراد المجتمع، وتسـهيل قواعد القيام بالأدوار المناسبة. حيث ينص تعريف (فيليب ماير) على أنها: "عملية يقصـــد بها طبع المهارات والاتجاهات الضـــرورية التي تســـاعد على أداء الأدوار الاجتماعية في المواقف المختلفة" (ليلى، 2006 : 193).

يتضـح من ذلك أن عملية التنشـئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية من خلال التفاعل الاجتماعي، ويكون غرضـها أن يكتسـب الفرد، سـواء كان طفلا أو كهلا سـلوكا

وعادات ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، وتمنح له فرصة الاندماج، وأن الفرد من خلال هذه التفاعلات يكبح نزواته لتتمشى مع المعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية والشخصية السارية في مجتمعه.

يوضح ذلك أيضا أبو النيل إذ يرى أن "التنشئة الاجتماعية تشمل كافة الأساليب التي يتلقاها الفرد من الأسرة، خاصة الوالدين والمحيطين به من أجل بناء شخصية نامية متوافقة جسميا ونفسيا واجتماعيا، وذلك في مواقف كثيرة منها؛ اللعب والغذاء والتعاون والتنافس والصراع مع الآخرين في كافة مواقف الحياة (أبو النيل، 1985 : 43).

إن التنشئة الاجتماعية بهذا المفهوم؛ تعني عملية تعليم الفرد منذ نعومة أظافره عادات وأعراف وتقاليد المجتمع أو الجماعة التي يحيا بداخلها، حتى يستطيع التكيف مع أفرادها من خلال ممارسته لأنماط من المعايير والقيم المقبولة اجتماعيا، والتي تجعل الفرد فاعلا اجتماعيا داخل أسرته ومجتمعه، وهي تحدث من خلال وجود التفاعل بين الأفراد، هذا التفاعل الذي يعتبر جوهر العملية التنشيئية.

3- الاتجاه الانثروبولوجي

يرى مفكرو الأنثروبولوجيا أنه من أهم خصائص المجتمعات الإنسانية قدرتها على حفظ الثقافة، ونقلها من جيل لآخر؛ عن طريق التنشئة الاجتماعية؛ التي تعتبر الوعاء الأول الذي من خلاله يستطيع المجتمع الحفاظ على ثقافته، ويرى "سعيد فرح": من خلال هذا الاتجاه؛ أن التنشئة الاجتماعية عبارة عن: عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي مستمرة، تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق ونسق المهنة، ومن ثم تستمر عملية التنشئة باتساع دائرة التفاعل التي تسعى لتحقيق التكامل والتوحد مع العناصر الثقافية والاجتماعية الأخرى.

أي أن التنشئة الاجتماعية عند الإنثروبولوجيين عبارة عن عملية امتصاص من طرف الطفل لثقافة المجتمع الذي يحيا فيه، فالفرد يكتســـب ثقافة مجتمعه من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرض لها أثناء الطفولة، وهذه المواقف تختلف من مجتمع لآخر باختلاف الثقافة السائدة، كما أن أساليب التنشئة تختلف باختلاف الثقافات، وثقافة المجتمع هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة.

ويرى بعض مفكري الأنثروبولوجيا مثل فرانز بواس (Franz Boas) و روث بنيدكت (Ruth Benedict) و مرجريت ميد(Margaret Mead) أنه ليس هناك عمليات تعلم لنقل الثقافة إلى الفرد، فالطفل يكتسب ثقافة المجتمع بشكل تلقائي من خلال أساليب الثواب والعقاب التي يتعرض لها خلال مرحلة الطفولة (حروش، 2005 : 33-41).

ويرى (تالكوت بارسونز) أن استدماج (تشرب) الطفل لثقافة المجتمع هو العنصر الأساسي للتنشئة الاجتماعية، كما أن القيم تمثل العنصر الأساس من ثقافة المجتمع، لكونها ترسخت عبر العصور وصنعت لنفسها قوالب يصعب اختراقها تمثل خصائص لكل مجتمع على حده.

خلاصة التعريفات والاتجاهات المختلفة

نستخلص من التعريفات والاتجاهات المختلفة لمفهوم التنشئة الاجتماعية أنها تتركز على ثلاثة جوانب:

يتمثل الجانب الأول: في أن التنشئة عملية تقتصر على فترة الطفولة للسنوات الأولى من عمر الطفل، وأن كل ما يتعرض له الفرد من خبرات ومواقف يبقى راسخا في شخصيته طوال حياته، كما أنها تعمل على التوفيق بين دافع الفرد وغرائزه وبين قيم المجتمع حتى يحدث التكيف.

ويتمثل الجانب الثاني: في كون التنشئة الاجتماعية عملية تصاحب الفرد طوال الحياة بطريقة مستمرة، يتحول الفرد من خلالها من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي؛ عن طريق التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر)؛ ليستطيع التكيف والاندماج بكل يسر مع أفراد المجتمع، كما يتعلم الفرد الأدوار المناسبة وفهم توقعات الآخرين ليتفاعل معهم وفق ارتباطه بالجماعة التي ينتمي إليها.

أما الجانب الثالث والأخير: فيوضح أن عناصر البناء الاجتماعي والثقافي مندمجة في شخصية الفرد كنتيجة للتنشئة الاجتماعية والتي تعتبر استدماج لثقافة المجتمع في شخصية الفرد ليصبح عضوا نافعا داخل جماعته ومجتمعه.

المتتبع لهذه الجوانب يدرك أن التنشئة الاجتماعية لا يمكن أن تجزء فهي تمثل هذه الجوانب مجتمعة، إذ لا نستطيع التحدث عن جانب دون الإشارة إلى الجانب الآخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالتنشئة مزيج بين ما هو نفسي واجتماعي وأنثروبولوجي ...إلخ. ويمكننا أن نعتمد على هذا التمازج أو التكامل في وضع تعريف إجرائي لمفهوم التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً: التعريف الإجرائي لمفهوم التنشئة الاجتماعية

(The Operational Definition of socialization)

نستطيع هنا أن نعرف التنشئة الاجتماعية تعريفا إجرائيا بأنها: هي عملية تحويل الفرد من كائن بيولوجي بدائي يتصرف بعفوية ودون أدنى مسؤولية إلى فرد اجتماعي ملتزم بمعايير المجتمع عن طريق التفاعل الاجتماعي، ليكتسب بذلك سلوكا ومعايير وقيم واتجاهات تدخل في بناء شخصيته، لتسهل له الاندماج في الحياة الاجتماعية وهي بذلك مستمرة تبدأ بالطفولة، وتستمر حتى مع مرحلة الكهولة إلى أن يفارق الإنسان الحياة، وتشتمل على كافة

الأســاليب التنشـيئية التي تلعب دورا مهما في بناء شـخصـية الفرد النفسـية والاجتماعية من جميع الجوانب بتوازنها أو اختلالها.

من خلال هذا العرض يتضـح أن التنشـئة الاجتماعية؛ هي الفيصـل في تحويل الفرد إلى إنســان اجتماعي، فهي عملية تفاعل تتم بين الفرد بما لديه من اسـتعدادات وراثية وبيئته الاجتماعية، ليتم النمو التدريجي لشـخصـيته من جهة واندماجه في المجتمع من جهة أخرى، ضــمن إطار ثقافي يؤمن به ويتمســك بمحتواه، حيث أنه كلما ارتقى الفرد وتقدمت وســائل الحضـــارة لديه، أحتاج لتنشـــئة أكثر، وهي أســـاس لأنها لا تنتهي بانتهاء مرحلة الطفولة فحسـب، بل هي مسـتمرة إلى غاية نهاية الحياة أو فقدان العقل، كما أنها تشـتمل على كافة الأساليب التي من شأنها أن تعمل أو لا تعمل على بناء شخصية الفرد.

رابعاً: أهداف التنشئة الاجتماعية (The Objectives of goals)

يمكن تحديد أهم الأهداف التي تسـعى التنشـئة الاجتماعية إلى تحقيقها على النحو الآتي:

1- تهدف التنشئة إلى تزويد الفرد بما يمكنه من إكساب الصفة الاجتماعية الإنسـانية، والحفاظ على فطرته الســـليمة وإبراز الجوانب الإنســـانية الحقة، بتحويله من كائن بيولوجي إلى كائن آدمي الســـلوك والتصـــرفات، كما يتحول الفرد من طفل يعتمد على غيره وعاجز عن تلبية حاجاته الأســـاس، إلى فرد يدرك معنى المســـؤولية الاجتماعية.

2- نقل التراث الاجتماعي والثقافي ونقله من جيل إلى جيل، وتحديثه حسـب التأثيرات الخارجية والداخلية التي يتعرض لها.

3- كما تهدف إلى غرس ثقافة المجتمع في شـخصـية الفرد، فالعلاقة وثيقة وتبادلية بين الثقافة والتنشـــئة، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ولعل من أبرز وظائف التنشـــئة الاجتماعية قدرتها على حفظ ثقافة المجتمع ونقلها من جيل لآخر، ولما كان الفرد يولد وهو مزود بمجموعة من القدرات والصـفات الوراثية التي تحدد شـكله الخارجي والمهارات العقلية، فالتنشـــئة الاجتماعية هي التي تهذب هذه القدرات والمهارات؛ فإما أن تدفعها إلى الأمام عن طريق تنميتها واستغلالها أحسن استغلال لصالح الفرد نفسـه ولصـالح مجتمعه، وإما أن تشـدها إلى الوراء فتعيقها عن التقدم فتصـبح معول هدم بدلا من أن تكون لبنة بناء، حيث يكتســـب الفرد قيم جماعته فيعرف معنى الصواب والخطأ، الحلال والحرام ... فتتكون بذلك نظرته للحياة وللمجتمع.

4- تعمل التنشـئة الاجتماعية السـليمة على تدريب الفرد على ضـبط سـلوكه، وإشـباع حاجاته بطريقة تســاير القيم الدينية والأعراف الاجتماعية، حيث تعلمه كيفية كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها، ومما يجدر ذكره أن القدر الأكبر من عملية التنشئة الاجتماعية يتمثل في إقامة حواجز وضــوابط في مواجهة الإشــباع المباشــر للدوافع الفطرية: كالدافع الجنســي ودوافع المقاتلة والعدوان، وهي ضــوابط لا بد منها لقيام مجتمع ســـوي ولبقائه؛ ولهذا فإن هذه الضـــوابط توجد داخل كل المجتمعات حتى الأكثر بدائية.

5- تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع وقيمه بصـــفة عامة، وذلك حتى يســـتطيع الفرد اختيار اســـتجاباته للمثيرات في المواقف المختلفة التي يتعرض لها يوميا، كما تعمل التنشـــئة الاجتماعية على تعليم الأدوار الاجتماعية التي يشغلها الأفراد باختلافهم الجنسي والعمري.

6- غرس عوامل الضـبط الداخلية للسـلوك، بحيث تصـبح جزءًا أسـاسـاً من مكونات الضـــمير، وكلما كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضـــمير يوصـــف بأنه حي، وأفضـــل أســـلوب لإقامة نســـق الضـــمير في ذات الطفل أن يكون الأبوان قدوة لأبنائهما، حيث ينبغي ألا يأتي أحدهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية.

7- الضـبط الاجتماعي لتوجيه سـلوك الأفراد وتصـرفاتهم وفقا لوسـائل الضـبط العرفية والقانونية لتعزيز التنظيمات الاجتماعية الســـائدة في المجتمع مثل الدين و الأســـرة والمدرســـة لتحقيق الأمن الاجتماعي وتســـيير انحراطه في الأنماط النســـقية للبناء الاجتماعي(عمر، 2004: 62).

خامساً: خصائص التنشئة الاجتماعية

(The characteristics of socialization)

من خلال ما ســـبق عرضـــه من مفاهيم التنشـــئة الاجتماعية وأهدافها، يمكن استخلاص الخصائص التي تتسم بها التنشئة الاجتماعية في الآتي:

1- التنشـئة الاجتماعية؛ عبارة عن عملية اجتماعية، يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي الأدوار الاجتماعية التي تحددها المعايير الاجتماعية، ويكون للمجتمع أنماط واتجاهات يكتســـبها الفرد ويكيف ســـلوكه معها وإلا اعتبر مخالف لمجتمعه ومنحرف عنه.

2- التنشـئة الاجتماعية عند الطفل عادة معتمد على غيره وخاصـة أمه لفترة طويلة فهو أكثر كائن حي يعيش أكثر فترة مع أمه، ولكن عن طريق التنشـئة الصـالحة يتحول إلى فرد ناجح يقّدر معنى المسؤولية الاجتماعية.

3- التنشـــئة الاجتماعية هي عملية دائمة تبدأ منذ أن تأتي للحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.

4- كل مجتمع له خصوصيته خاصة من حيث الفرق في الدرجة بالزيادة أو النقص وإن كانت تتفق في النوع.

5- التنشئة عملية تشترك فيها كل النظم ابتداء من الأسرة إلى الرفاق والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام وكل البيئة المحيطة.

6- التنشئة الاجتماعية أشكال وأنماط مختلفة، إذ يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أنها عملية تتأثر بالكثير من العوامل المجتمعية؛ كثقافة المجتمع ونوعيته (ريف / حضـــر، بدو / حضـــر ...إلخ) والعوامل الأســـرية، كالوضـــع الاجتماعي، والاقتصـــادي، والثقافي للأســـرة، وعدد الأبناء في الأســـرة، وحجمها، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين نحو تنشئة أبنائهم، وغير ذلك.

7- التنشئة الاجتماعية تكسب كل فرد شخصية متميزة عن الأخرى، فلا تصَبَّ أفراد المجتمع في بوتقة واحدة جامدة، بل كل له شـــخصـــيته المتميزة القادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

8- التنشـــئة الاجتماعية تراكم تاريخي من آلاف الســـنين حيث لا يبدأ كل مجتمع من البداية بل يستفيد من خبرات الماضي.

9- التنشـئة الاجتماعية إنســانية آدمية تهتم بالإنســان، أما الحيوانات فلا يحدث لديها تراكم معرفي.

10- التنشئة الاجتماعية عملية تلقائية، بمعنى أوجدها المجتمع والفرد مجبر على السير على خريطة العادات والتقاليد التي صنعها له المجتمع.

11- التنشئة الاجتماعية عملية عامة تؤمن بها جميع المجتمعات المتخلفة منها والمتقدمة.

12- التنشئة الاجتماعية عملية يشترك فيها الجانب النفسي والاجتماعي في نفس الوقت، ولا تقتصـــر على الجانب الاجتماعي فقط، وإنما هي عملية لها جوانب نفســـية (جعنيني، 2009: 242-243).

سادساً: ميكانزمات التنشئة الاجتماعية (Socialization mechanisms)

هناك آليات أو ميكانزمات متعددة توظفها الأسرة والمجتمع مع الأبناء ليتم تنشئتهم بالطريقة التي يرغبونها ومن بين هذه الميكانزمات ما يأتي:

أ- **أسلوب الثواب والعقاب**: كل مجتمع له نظرته للمسائل التي تستدعي العقاب أو الثواب، إلا أنها عادة تستخدم الثواب في تعلم السلوك المرغوب، والعقاب للامتناع عن السلوك غير المرغوب أو المحبب، وفي مجتمعنا الإسلامي ينصحنا الإمام الغزالي بأن لا نكثر العقاب على الطفل، لأن كثرة العقاب تولد اللامبالاة لدى الطفل وتهون عليه سماع الملامة، واقتراف الأخطاء، وكثرة الأفعال المذمومة والقبيحة، وعلى الآباء أن يحافظوا على هيبة كلامهم، فلا يوبخون أبناءهم إلا عند الضـرورة، أو أمام اقرانهم لأنه وكما يقولون: النصيحة أمام العامة فضيحة.

ب- **التقليد والملاحظة**: تحث هذه الوســـيلة الآباء على الأخذ بأيدي أبنائهم وتعويدهم على الاستطلاع والاستكشاف للبيئة المحيطة، وسبر أغوارها، لكي تنمو روح الاستقلالية لدى الأبناء، فالأطفال عادة يحاولون تقليد ومحاكاة الكبار خاصة من يروا فيهم قدوة كالآباء والمدرسين، وهنا يجب أن يكون الكبار حريصين على تشـجيعهم في الاعتماد على أنفسـهم، ويراقبونهم لكي يبعدونهم عن الممارسـات

الخاطئة، ويحثونهم على السلوك الايجابي، والتقليد كما يراه ابن خلدون أكثر تأثيرا من النصح والإرشاد.

ج- **التوحد والأنموذج**: وهو محاولة الطفل الاستدماج بطريقة عاطفية قوية في شخصية أحد الوالدين أو من يعتبره قدوة، فيتوحد معه ويشارك هذا الشخص تصرفاته وسلوكه، ويختلف التوحد عن التقليد كون التقليد أن يقلد الطفل والده أو مدرسه أو أي شخصية إعلامية. أما التوحد يقصد به التقليد اللاشعوري في تقمصه لشخصية ما، ويأتي بطريقة غير مقصودة، وخطورته تكمن في كونه قد يتحول إلى مرض (طه، 2009: 225).

د- **العلاقات الحميمة**: وهي العلاقات التي تتم بين الطفل ووالديه أو من يتعلق به من أفراد أسرته، وهي علاقة إيجابية مستمرة وضرورية ليتعود الأطفال على الارتباط بالمجتمع من خلال هذه العلاقة على اعتبار الأسرة جزءا أساسا من المجتمع الذي يندمج فيه ويتفاعل معه.

سابعاً: أشكال التنشئة الاجتماعية (Forms of socialization)

تأخذ التنشئة شكلين رئيسين من أشكال التنشئة الاجتماعية هما:

1- التنشئة الاجتماعية المقصودة

يتم هذا النمط من التنشئة في كل من الأسرة والمدرسة؛ فالأسرة تعلم أبناءها اللغة، وآداب الحديث، والسلوك، من خلال احتضانها لأطفالها، فيتشربوا العادات والتقاليد المعمول بها، وتحدد لهم الطرق والأساليب والأدوات التي تتصل بهضم هذه الثقافة وقيمها ومعاييرها، إلا أن التنشئة المقصودة تتضح أكثر من خلال التعليم المدرسي في مختلف مراحله باعتباره تعليما مقصودا، له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التي تتصل بتربية الفرد وتنشئته

بطريقة معينة، إضـــافة إلى أنه أكثر انضـــباطية، وغالبا ما يشـــرف على برنامج التنشـــئة اختصاصيون.

2- التنشئة الاجتماعية غير المقصودة

يتم هذا النمط من التنشـئة من خلال المسـجد ووسـائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح ...وغيرها من المؤسسات التي تسهم في عمليات التنشئة من خلال الأدوار الآتية:

- يتعلم الفرد المهارات والمعاني والأفكار عن طريق اكتســابه المعايير الاجتماعية التي تختلف باختلاف هذه المؤسسات.
- تكســب الفرد الاتجاهات والعادات المتصــلة بالحب والكره، والنجاح والفشــل واللعب والتعاون وتحمل المسؤولية.
- تكسب الفرد العادات المتصلة بالعمل والإنتاج والاستهلاك وغير ذالك من أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية.

ثامناً: التنشئة الاجتماعية بين الوراثة والبيئة

(Socialization between heredity and environment)

يثار دائما سؤال بين المهتمين أيهما أكثر تأثيرا في تشكيل شخصية الطفل الوراثة أو البيئة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل دأب المفكرون من الغرب على دراسة سلوكيات وانفعالات الطفل، كدراســة توماس وزملائه (1970) والتي بينت دلائل كثيرة على أن هناك سمات كثيرة ككثرة الحركة أو الهدوء والانفعال والصــياح للأطفال ترجع إلى عوامل وراثية، ولعل هذا ليس بجديد ففي مأثوراتنا الشــعبية ما يدلل على قوة العامل الوراثي، ففي الأمثلة الشــعبية "الثلثين للخال والخال والد، وكان خال الخال فيه رداوة يظهر ابناخيه ردئ الفعايل" بمعنى أن تأثير

الخال قوي جدا في الطفل لدرجة أن الثلثين من طباع الطفل تماثل طباع أخواله، ويؤكد المثل بأن إذا كان طبع الخال سيء فأن حفيده غالبا يكون سيء مثله.

لا نعني بذلك أن الوراثة هي العامل المهيمن على التنشئة، لكن لها دور خاصة إذا كان دور البيئة غير قائم بدوره على الوجه الأمثل، إذ أن هؤلاء يعتبرون أن التعليم هو المصدر الأساس في تكوين الشخصية، ودللوا على ذلك بأدلة كثيرة أصبحت لها نظريات مستقلة تسمى نظريات التعلم، وكذلك التعليم الشرطي المرتبط بالإقدام أو الخوف أو العدوان والكره والحب وارتباطه بمثير معين يصبح بعد ذلك عادة، فعندما نقول أن شعبا ما كالانجليز مثلا شعب يحترم قوانين المرور فأن ذلك لم يأت من فراغ بل من خلال قانون صارم يعاقب المخطئ مما جعل احترام قواعد المرور أصبحت عادة.

يتضح الأمر أكثر من خلال التعزيز فمثلا الأستاذ الذي يكافئ الطالب عند تأدية الواجب أو عندما يجيب عن الأسئلة يخلق تنافس لدى الطلاب، ويحاول كل منهم أن يأتي بدرجة جيدة، فتنشط لديه خلايا المخ، فيتعلم أكثر من الطالب المهمل أو الذي لم يجد من يحفزه، وقد يكون للعامل الوراثي دور في ذلك، فأبناء الأسر التي عرف عنها الذكاء عادة ما يكونون أذكياء، فالتفكير يبدأ بالمرحلة الحسية ثم ينتقل إلى المرحلة التجريدية الرمزية.

هذا يجرنا إلى القول أن العوامل الوراثية والعوامل المكتسبة يعملان مجتمعة لنمو الفرد وإكسابه المعارف والمهارات، لدرجة أن الجنين داخل رحم الأم يتأثر بالعوامل الفيسولوجية والخارجية حتى قبل مولده، لدرجة أن الطفل يتأثر بما تتأثر به الأم أثناء فترة الحمل (العيسوي، 1985: 10).

تاسعاً: التنشئة الاجتماعية وتفعيل الدور الثقافي

(Socializing and activating the cultural role)

الثقافة عادة تشـمل مجموعة العناصـر التي تمارس تأثيرها بوضـوح على سـلوك الفرد وتتحكم في سلوكه، ولكل ثقافة طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها، فهي نوع من الضبط الاجتماعي الذي يتحكم في تصـــرفات الأفراد؛ لأن تصـــرفات الأفراد ما هي إلا تعبير عن ثقافة تأصـلت وترسـخت لديهم عن طريق التنشـئة الاجتماعية، إذ أن ثقافة المجتمع انعكاس للخصـائص السـائدة فيه، ويربطها في ذلك نسـق من القيم التي اشـترك أفرادها في معتقدات وتصـورات تميزهم عن غيرهم، ولكي يتضـح دورها هناك العديد من المقترحات التي يمكن أن تُفعّل الدور الثقافي للتنشئة الاجتماعية، وهي على النحو الآتي:

1- توفير مكتبات للأطفال تتوفر فيها المتعة والاســـتفادة وتكون جاذبة ومشـــوقة تربوية وتكنولوجية ليسهل الدخول إليها، وفي نفس الوقت قادرة على تلبية مختلف الاحتياجات النفسية والاجتماعية والصحية للأطفال.

2- التركيز على المكتبات العامة وتوسـيع نطاقها لكي تسـتقطب أكبر شـريحة من الطفولة والتي تبدأ من الشـــهور الأولى من الميلاد، وترتبط بالعالم الخارجي لكي تســـتفيد من الخبرات العالمية في هذا الشأن.

3- التركيز على أماكن العمل بإعداد برامج ثقافية تربوية بداخله غرضـها توعية أولياء الأمور للنشء بالأساليب التربوية للتنشئة الاجتماعية والعمل بواقعية تتمشى مع الظروف المحيطة وتتناغم معها؛ لتربط العمل بالبرامج الثقافية ويصـــبح المصـــنع هو البيت الكبير لأفراد المجتمع.

4- التركيز على التقويم المصـاحب لهذه البرامج لتصـبح فعالة ومرنة قابلة للإضـافة لتسـتوعب الخطط والمشروعات التي تخدم التنشئة.

5- عدم إغفال الدور الذي تقوم به المساجد والحرص على اختيار مساجد معتدلة لا يوجد بها غلو أو تطرف، وكذلك مراكز التحفيظ التي لا تدعو إلى التطرف، لأن هذه أمور قدسية وأصبحت سلاحا ذا حدّين، فهي تنتج العالم المتدين الذي يؤمن بمشاركة واحترام الآخرين وتنتج المتطرف المحب للقتل والدماء؛ لذا دور المساجد والجمعيات الدينية مهم جدا ويحتاج إلى رقابة من قبل الدولة لكي تقوم بدورها التوعوي بأفضل الأساليب التربوية لتنشئة الأطفال ورعايتهم من الانحراف.

6- التركيز على الإعلام بكل أنواعه المرئي والمسموع ووسائل التواصل الاجتماعي في بناء الوعي المجتمعي بالأصول العلمية والتربوية للتنشئة الاجتماعية الصحيحة وتأصيل ثقافة الآباء والأمهات بأفضل سبل التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال والناشئة.

7- خلق منظمات تربوية تهتم بشريحة الأطفال وتحميهم من الوقوع في براثن الجريمة وتحفظ حقوقهم وتقف ضد أشكال الاضطهاد والتعذيب وسوء المعاملة ممن يحيطون بهم، وتحفظ لهم حياة كريمة وطفولة خالية من الآلام الناتجة من الظروف والمشاكل الأسرية والمجتمعية.

8- توفير مراكز للتدريب والتوعية تعمل على تزويد الآباء بالمهارات التربوية المهمة؛ لتربية الأطفال وتؤهلهم بكل السبل المتوفرة في حقل المعرفة التربوية للأطفال منذ ولادتهم حتى نضجهم فكريا.

9- تكثيف برامج التوعية والندوات التثقيفية المستمرة التي يقوم بها اختصاصيون وتكون على كامل تراب الوطن ولا تستثنى حتى مناطق الدواخل من هذه التوعية.

10- التركيز على توعية الأمهات والآباء وإعدادهم بالبرامج التربوية والمهارات اللازمة؛ لأنهم هم أقرب الناس لأطفالهم فالطفل يقضي أطول فترة معهم ويتشرب منهم سواء بالتقليد أو المحاكاة أو الموعظة سلوكهم وتعاملهم في الحياة مما تنعكس على شخصيته.

11- استحداث صحف ومجلات تربوية متخصصة في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية يمكنها أن تؤسس لثقافة تربوية متقدمة في مجال التنشئة والتربية الأسرية.

12- تسـخير شـبكات الانترنت المتدفقة وتفعيلها بشـكل تفاعلي ثقافي وتربوي واجتماعي ونفسي، شريطة مراقبة وتوجيه أطفالهم في الاستخدامات المفيدة (الجرواني، 2011: 18).

13- إعادة النظر في طريقة التربية بالمدارس لكي تكون المدارس بيئة جاذبة يعتبرها الطفل المكان المتميز لتنمية مدركاته ويجد فيها الطالب نفسه وتعديل طريقة التعليم السارية الآن والتي تجعل من المدارس بيئة طاردة مرعبة للطفل يرى فيها الطفل مكانا للعقاب وطمسا للشخصية.

عاشراً: علاقة التربية بالتنشئة الاجتماعية

(The relationship of education to socialization)

الطفل في نظم التعليم والتنشـئة يمثل الشـمس في محور الفلك، وبهذا لا ريب أن عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء تعد عملية تربوية اجتماعية بوصفها إحدى العمليات التي يتم من خلالها اسـتمرار المجتمع وتطوره، والتربية بمفهومها الواسـع تعني العملية التي يتم بها تشـكيل وإعداد الفرد إنسـانيا في مجتمع ومكان وزمن معين، ولذا فقد أسـهمت العلوم الاجتماعية والانثروبولوجية وعلوم التربية في نشأة مفهوم التنشئة الاجتماعية وتبنى كل منهما منظورا يختلف عن الآخر إلا أنهما في النهاية تحددان ماهية التنشئة الاجتماعية.

تعتبر عملية التنشـــئة الاجتماعية في حقيقتها عملية تعلم لأنها تعديل أو تغيير في الســلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارســات معينة، ارتبطت بالمجال الأوســع وهو التربية، التي تهدف إلي نقل التراث الثقافي للمجتمع واتجاهاته ومعاييره وتقاليده وأعرافه ونظمه ومعتقداته من جيل الكبار إلي جيل الصـــغار؛ فالأجيال الجديدة تنشـــأ على التراث الثقافي للمجتمع وتتعلم في ضــوئه اللغة، وتتلقى وتكتســب المهارات والقيم ولا يقتصــر دور التربية علي نقل التراث الثقافي بل تتولى تنقيته وتجويده، وفي ذلك أكد المربي الروسـي (أنطون ماكارنكو) على أهمية التربية في تشــكيل شــخصــية الإنســان بقوله: "أنا أؤمن بالقدرة غير المحدودة للتأثير التربوي، وأعتقد أنه إذا كان الإنسان سيء التربية فالمخطئ الوحيد هو المربي، وإذا كان الطفل طيبا فهو مدين بذلك للتربية في طفولته"(الرشدان، 1999: 1).

فالتربية عملية اجتماعية ثقافية تكسـب جيل الصـغار الصـفة الاجتماعية من خلال عملية التشكيل الثقافي التي تتصف بالإلزام، مما يعني أن التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع لا تنشــأ من فراغ، بل هي انعكاس لثقافة المجتمع التي هي جزء منه، ذلك أن هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين أســاليب التنشـئة الاجتماعية والثقافية الســائدة في المجتمع؛ مما يعني أيضــا وجود علاقة تبادلية بين التربية والتنشئة الاجتماعية، فكل منهما يمكن أن يكون مؤشرا ودليلا على نمو الآخر وتطوره، على أن التنشـئة الاجتماعية تشـكل الوعاء الأول الذي يسـتطيع المجتمع من خلاله حفظ ثقافته في مواجهة المواقف التي تتعرض لها.

كما أن التربية تحدد في نفس الوقت أســاليب التنشــئة المتبعة في المجتمع ويكتســب الفرد شـــخصـــية وثقافة مجتمعه خلال العملية التربوية والتفاعل الاجتماعي، وتعتبر التنشـــئة الاجتماعية عملية تربوية لكل ذي علاقة بالطفل من الآباء والأمهات والمعلمين وغيرهم، حيث أنها تتضـمن عملية تشـكيل الفرد وبناء شـخصـيته علي أنموذج خاص يمكنه من النمو

والاتزان مع ذاته، والتكيف مع ثقافة مجتمعه والعمل على اســـتقراره واســـتمراره، إن العملية التربوية هي العمل علي تفهم الشـخصـية وتهيئة السـبل لنموها المتكامل والمنسـجم مع الواقع الاجتماعي في شموليته. التربية بهذا هي: العملية التي تشـــكل الفرد وتكيفه مع الواقع من خلال بناء شـخصـيته بما يتفق مع متطلبات ثقافته الاجتماعية وتحديد دوره الاجتماعي هذه التربية بهذا المعنى ما هي إلا عملية التنشـئة الاجتماعية وتشـتمل هذه العملية علي فعاليات وعمليات ذات هدف تربوي مهم تختلف في طبيعتها وبســـاطتها من حيث تعقيد المجتمع وبساطته وعلي رأس هذه العمليات ما يلي:

أ- يرى البعض أن موضوع التربية هو الإنسان بعقله ووجدانه وجسمه وقيمه واتجاهاته وما لديه من مهارات وأفكار وهي وظيفة المؤســســـات الاجتماعية، وتهدف هذه الوظيفة إلي نمو طاقات الفرد وإمكاناته علي أساس احترام شخصيته وإفساح الفرص المناسبة لتنمية هذه الطاقات.

ب- وضح ستيوارت ميل J. Stewart Mill أن التربية لا تشمل كل ما نعلمه لأنفسنا أو ما يقدمه الآخرون لنا بقصد تنشئتنا تنشئة صالحة فحسب؛ بل تشمل فوق ذلك الآثار غير المباشـــرة التي لها أكبر الأثر في تقويم أخلاقنا ومواهبنا وطباعنا: كالقانون ونظم الحكم والفنون الصـــناعية والنظم الاجتماعية، كما تشـــمل كذلك آثار البيئة الطبيعية، كعوامل الجو والموقع الجغرافي، بل كل ما يســـاعد علي صـــقل الفرد وتقويم شخصيته بالشكل الذي يصير إليه بعد ذلك، ومن ثم تتضح أن التربية من وجهة نظر (ستيورات ميل) تتضمن الآتي:

- عملية التنشئة الاجتماعية مباشرة تمثل شخصية الفرد وما يتشربه نتيجة وجوده في المجتمع.

- آثار غير مباشرة نتيجة إدماج واحتكاك وتفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية.
- تأثير البيئة الطبيعية المحيطة التي يحيا فيها الفرد ومدى صقلها له.

مما يعني أن التربية عملية شـــاملة، والتنشـــئة جزء منها، وخلاصـــة ذلك أن التربية تتضـمن عملية التنشـئة الاجتماعية، فالتربية تعني عملية نمو شـامل للطفل جسـمانيا وعقليا واجتماعيا وســـط جماعة اجتماعية تعمل علي الوصـــول به إلي أقصـــى ما تؤهله له قدراته الطبيعية (شريف، 2005 : 121– 133).

الحادي عشر: الإسلام والتنشئة الاجتماعية (Islam and socialization)

رسولنا الكريم هو خير معلم فلقد رباه المولى عز وجل أفضل تربية ونشأه تنشئة ربانية فلقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية (4) من ســـورة القلم، وتعامل مع المجتمع باللين والرحمة وفي ذلك وصـــفه الله ســـبحانه وتعالى في كتابه بقوله: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانْفَضُّوا من حولك﴾ الآية: 159 سورة آل عمران.

المولى عز وجل لم يسـلب الإنسـان الإرادة بل ميزه بها وخصـه بالتغيير والتعلم دون باقي الكائنات وفي ذلك يقول سـبحانه وتعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِـهِمْ...﴾ (الآية 11 سـورة الرعد) وهذا ما توصـل إليه علماء الغرب بعد عدة قرون إذ نجد كل من ميزاروفك وبسـتيل يقران بأنه لا يمكن أن نحدث تغيرات اقتصـادية أو اجتماعية في أي مجتمع إلا إذا أحدثنا تغيرات في قيم البشر واتجاهاتهم (فروم، 1999: 23).

ومن هنا أدرك علماء المســلمين هذه الحقيقة وعرفوا أن الكتاب الكريم كتاب المنهج القويم للتربية الخالصة فاتبعوا نهج الرسول الكريم وتعاليم القرآن الكريم، ومن بين هؤلاء العلماء "ابن سينا" والذي ركز على التنشئة الاجتماعية لدى الطفل لتفهمه لأهميتها إذ يقول: "يجب على والد الصبي أن يبعده عن مقابح الأفعال، ومعايب العادات بالترهيب والترغيب والتوبيخ،

فإن احتاج إلى الضرب فليكن"، ويضيف "إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ قواعد اللغة تعلم الصـــناعة التي تناســـب طبعه"، فالإســـلام دين للدنيا والآخرة دين صـــالح لكل زمان ومكان، دين عمل، إذ نجد من أقوال الســـلف الصـــالح: " أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

وفي نفس السياق نجد أبو الحسن الماوردي يتناول أدب التنشئة الاجتماعية في الصغر والكبر فيصـنفه على نوعين هما: أدب المواضـعة والإصـلاح ويقصـد المارودي بأدب المواضـع والإصـــلاح مجموعة القواعد التي اصـــطلح عليها الأدباء والعقلاء فيما يتعلق بموضـــوعات الخطاب وهيئات الأزياء، أما أدب الرياضة والاستصلاح فهو مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها لتستديم له السعادة.

أما العلامة الغزالي فقد اهتم بالتنشـــئة الاجتماعية في كتابه "إحياء علوم الدين"، إذ نصح بمراعاة الاعتدال في تأديب الصبي، وإبعاده عن أصحاب السوء، وعدم التساهل معه في المعاملة، كذلك عدم تدليله. كما نصـــح الآباء بأن يهتموا بلعب الأطفال، لما تؤديه من ترويض وتنمية لجسـم الصـغير، ولما ينتج عنها من إدخال البهجة والسـرور في نفوسـهم بعد عناء القراءة.

كما أن للعلامة ابن خلدون اهتمامات متعددة بالتنشـئة الاجتماعية وتأثيرات البيئة على طباع البشر، فالبيئة ذات الجو النقي والمناخ المعتدل تؤثر في ساكنيها، فتجدهم يبتعدون عن الانحراف، ويمثل لذلك بأهل المغرب والشـــام والحجاز واليمن، أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فيقول عنها: يسـكن أهلها الكهوف ويأكلون العشـب ومتوحشـون، وسـبب ذلك ابتعادهم عن الإنسانية فهم كالحيوانات المفترسة، ويمثل لذلك بأهل الحبشة ومالي.

وفي طباع الشعوب يرى ابن خلدون أن أهل البدو أقرب إلى الخير وإلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل البدو تفردوا عن المجتمع وتوحشوا في الضواحي قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يؤكلونها إلى غيرهم فهم دائما يحملون السلاح، كما سجل ابن خلدون عنوان لفصل في مقدمته الشهيرة "أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" وقد أثرت هذه التصورات عن التنشئة والتربية على علماء الغرب وبنوا عليها أغلب نظرياتهم التربوية (أبو النيل، 1985 : 115-117).

الفصل الثاني

أساليب وأنماط التنشئة الاجتماعية

Socialization Patterns and Methods

الفصل الثاني
أساليب وأنماط التنشئة الاجتماعية
Socialization Patterns and Methods

تمهيد

تؤثر الأساليب التي يمارسها الآباء في معاملتهم لأبنائهم على تكوينهم النفسي والاجتماعي؛ فإذا كانت هذه الأساليب المتبعة من قبل الآباء هادمة Destructive أي تثير مشاعر الخوف وعدم الشعور بالأمن في نفوس الأطفال؛ فسيترتب عليها اضطرابهم النفسي والاجتماعي، أما إذا كانت هذه الأساليب بناءة Constructive أي متوجة بالحب والتفاهم؛ فستؤدي إلى تنشئة أطفال يتمتعون بالصحة النفسية (مايسة، 2007: 47)، وغالبا ما تكون أساليب التنشئة الاجتماعية انعكاسا لما تعرض له الآباء من معاملة في صباهم من طرف آبائهم، لذا سيتناول هذا الفصل أنماط وأساليب التربية الخاطئة، والتمثيل ببعض نتائج هذه الأساليب، وكذلك عرض نمط مخالف لما تم التعود عليه في التربية وهو سيطرة الأبناء على الآباء وما يترتب عليه من سلبيات وإيجابيات، إضافة إلى لمس بعض الأخطاء الصحية في التنشئة الاجتماعية، ثم يتم الانتقال للجانب الإيجابي من خلال عرض نمط الأساليب المثالية للتنشئة الاجتماعية، وكذلك الروحية والنفسية، وأخيرا التعرف على نمط الأساليب العربية في التنشئة الاجتماعية:

أولاً: الأنماط والأساليب السلبية الخاطئة في التنشئة الاجتماعية
(Negative patterns)

مما سبق اتضح أن الإنسان يأتي في حالة بيولوجية، وعن طريق التنشئة يتحول إلى حالة اجتماعية، من خلال أساليب متباينة لتشكيله الاجتماعي، وبهذا ينطوي مفهوم

أســـاليب التنشـــئة الاجتماعية على منظومة من المفاهيم والتصـــورات والممارســـات والمبادئ التربوية التي تشـــكل مجتمعة الأنموذج التربوي المعتمد، أو الســـائد الذي يوجه العملية التربوية والذي يتأثر بما يلي:

أ- أسس التربية المتعارف عليها في البيئة المحيطة.

ب- المتطلبات النفسية والاجتماعية التي تدعو لتواجدها.

ج- البيئة التربوية والاجتماعية المحيطة بالفرد.

د- شكل السلطة المعتمدة في عملية التنشئة (وطفة، 2012 : 7).

من خلال النقاط الســابقة تتضــح الاختلافات جلية بين طبيعة الأســاليب التقليدية وبين الأســاليب الحديثة في التربية المبنية على العلم، والحســابات الدقيقة لمناهج وطرق العلوم الاجتماعية والنفســية والمهنية التي تعول على الرعاية والخدمة الاجتماعية، خلاف الأســاليب التقليدية غير العلمية للتنشـــئة الاجتماعية التي تركن إلى التربوية التقليدية ولا تســـتند على التجارب العلمية، وتعتمدها غالبا مجتمعات العالم الثالث المتخلفة، والمختلفة في الدرجة ومستوى السلطة المستخدمة في التعامل مع الأطفال، إضافة إلى أبعاد أخرى كثيرة يصعب حصـرها تتمثل في مسـتوى الأسـرة الاقتصـادي، وأعمار الوالدين وثقافتهم والفارق العمري بينهم، وترتيب الابن ومكانته بين الأبناء وغيرها، وهذه الأنماط تتمثل في ما يأتي:

1- نمط وأسلوب التسلط الأبوي

هذا النمط تعتمد فيه أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية على تسلط الآباء على أبنائهم، رغبة منهم في إبقاء زمام الســيطرة بين أيديهم، واســتمرارهم في معاملة أبنائهم في مرحلة الشــباب بالطريقة نفســها التي اعتادوا على تعاملهم بها وهم أطفال، وهناك من اعتبر أن الســـلطة الأبوية هي الطريقة المثلى للتربية، رغم ما يميزها من غياب كامل لعلاقات الحب

والحنان والتساند والتعاطف، كما تتميز بالتشدد في معاملة الأبناء، وتجاهلهم، وعدم السماح لهم بالتعبير عن آرائهم، وتأنيبهم المستمر لأتفه الأسباب، حيث يأخذ التسلط أسلوب القمع والازدراء والاحتقار والتهكم والامتهان والتبخيس، وأحكام الدونية والتخويف والحرمان والعقاب الجسدي، لدرجة اعتبار هذا النوع من التربية ثقافة يتباهى بها الآباء ويتغزل بها الشعراء فخرا بمن يعتمد هذا النوع من التربية ومثالا لذلك قول الشاعر:

لا تحزنَّ على الصبيان إن ضربُوا ... فالضرب يبرا ويبقى العلمُ والأدبُ

الضربُ ينفعُهُم والعلمُ يرفعُهُم ... لولا المخافة ما قرأوا وما كتبوا

لولا المُعلّمُ كان الناسُ كلُهمُ ... شبه البهائم لا علمٌ ولا أدبُ

(أبوحمدان، 2011: 13).

الواقع أن هذا الأسلوب التربوي الخاطئ؛ شكل مصدرا لكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية، لما يقوم عليه من إلزام وإكراه وإفراط في استخدام السلطة الأبوية، إذ تأخذ شكل علاقات عمودية بين السيد والمسود وبين الكبير والصغير، وبين القوي والضعيف بين التابع والمتبوع، ويمارس فيه العنف بأشكاله النفسية والفيزيائية، رغم مردوده العكسي على الوالدين، بحيث انه مهما كان راجعا في أسسه إلى التباين في القوة بين الأب والأم، فإن ما يترتب عليه يأخذ الأشكال الآتية بالنسبة للعلاقة بين الآباء والأبناء:

- أول نتيجة على المدى القريب هي إصابته بالكوابيس الليلية والتبول اللاإرادي.
- المجافاة الانفعالية والعاطفية بين الآباء والأبناء.
- وجود حواجز نفسية وتربوية بين الآباء والأبناء.

- التمرد حين يكبر لأنه سـيدرك حين يكبر أن ما يسـتخدمه أبواه لترهيبه بالكائنات الخرافية وغيرها (العفريتة، والغول) ما هي إلا أشياء وهمية لا وجود لها.

كما يأخذ الطابع المرضي بالنسبة للأبناء، في شكل عقدة أوديب، أو عقدة الخصاء الظني، أو عقدة الإهمال، أو عقدة المنافسـة الأخوية، وكذلك عقدة الذنب، أو عقدة فقدان الأمن.

ويمكن اختصار الأضرار الناتجة عن الأسلوب التسلطي في المعاملة الوالدية فيما يأتي:

- تكوين شـخصـية خائفة دائما من السـلطة، خجولة، حسـاسـة، تشـعر بعدم الكفاءة والحيرة.
- تكوين شخصية غير واثقة في نفسها، خصوصا عند مواجهة المواقف التي فيها اختيار.
- شخصية ليس لها القدرة على التمتع بالحياة .. تشعر بالخوف من الآخرين.
- تكوين شـخصـية مهملة في عملها، إلا في وجود السـلطة أو الرقابة (قناوي، 2003: 139).

- نمثل لذلك ما يحصل في الريف الليبي من ثقافة تحرّج الآباء من اللعب مع الأبناء والزوجة أو مشاركتهم في الرأي، أو حتى الاستماع إلى آرائهم، وهناك من الآباء من لا يأخذ رأي ابنته وأهل بيته حتى في موافقتها من عدمها إذا تقدم لها أي خاطب، بل ويصـل الأمر إلى رفضـه للخاطب إذا علم أنه قد تعرف على ابنته، إضـافة إلى أن بعض الآباء يمنعون أبناءهم من دخول مجالس الرجال إلا كخدم لتقديم الوجبات فقط، ويعتبرون كلامهم أوامر للأبناء للتطبيق فقط، ولا مجال للنقاش أو الجدال فيها، فإدارة الأسـرة لديهم إدارة ديكتاتورية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

2- أسلوب الترك والإهمال

أسلوب الترك والإهمال ويقصد به: "طريقة التنشئة الاجتماعية الأسرية المتراخية واللامبالية" القائمة على عدم اهتمام الأهل بسلوك أبنائهم، سواء أكان هذا السلوك إيجابياً أم سلبياً، وعدم قيامهم بتوجيههم ورعايتهم والإشراف عليهم بالشكل المطلوب، رغم ما يترتب على هذا الأسلوب من بناء شخصية هامشية قلقة متوترة، كما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس، وفقدان الإحساس بالأمن وعقدة الإهمال. (أبو حمدان، 2011 : 14). ويرجع التراخي مع الأبناء والتهاون معهم إلى عدة أسباب من أهمها:

- عدم التوافق الأسري.
- عدم الرغبة في الإنجاب فيهمل الطفل ويترك دونما تشجيع على السلوك المرغوب منه، فالأم مثلا لا تستجيب لبقاء طفلها الرضيع بجانبها إلا مضطرة، ذلك لأنه آتى دون رغبة منها، ويتضح أسلوب الإهمال في صورتين:

- **صورة اللامبالاة**

أكثر ما تتجلى مثلا هذه الصورة في طرق استجابة الأم لبكاء الطفل الرضيع من الجوع أو طلبا للنظافة بنوع من اللامبالاة؛ أو تركه يتحرك ويتكلم دون ضوابط لسلوكه، وفي حالة ما إذا طلب الأكل تتركه يعده لنفسه في سن لا تسمح له بذلك، وإذا ما كان في عمر المدرسة وعاد من مدرسته ليطلب مساعدتها أو مشاورتها في عمل واجبه المدرسي تصرخ الأم في وجهه دون أي توجيه، وإذا ما جرح الطفل أثناء لعبه غير الموجه تصرخ فيه الأم وتتهمه بالإهمال ...إلخ.

- **صورة عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه**

مثال ذلك: كأن يقدم الطفل لأمه نتيجة عمله ومجهوده فلا تشـجعه بل تسـخر منه وتســـبب له الإحباط، فمثلا قد يقدم لها لوحة أو منظرا قام برسمه، أو لعبة تعب في إعدادها فتنهره أو تسخر من عمله ويتكرر منها هذا الأسلوب، ولا تحاول أن تنزل إلى مستوى تفكيره الطفولي والذي يسمى اصطلاحا: "بالاستشفاف الوجداني".

أما النتائج السلبية لهذا الأسلوب فأهمها:

- تكوين شخصيته قلقه مترددة، تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة وواضحة.
- غالبا ما يحاول مثل هذا الطفل أن ينضـم إلى جماعه أو (شـلة) يجد فيها مكانته ويحسـب نجاحه فيها ويجد فيها العطاء والحب الذي حرم منه نتيجة إهماله في صغره.
- الجماعة التي ينتمي إليها غالبا ما تشـــجعه على كل ما يقوم به من عمل حتى ولو مخربا، خارجا على القانون، لأنه لم يعرف من صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته.
- غالبا ما يصبح من الشخصيات المتسيبة غير المنضبطة في أي عمل يقوم به، إذ لا يحترم حقوق الغير (قناوي، 2003 : 162).

وتتمثل الأسباب التي تدعو الطفل للشعور بأنه غير مرغوب فيما يأتي:

أ- تعامل الأم بعصبية زائدة.

ب- انفصـــال وتباعد الطفل عن والديه، فالطفل الصـغير حســاس جداً لبُعد أمه عنه، حتى ولو كان ذلك لفترات قصيرة.

ج- حرمان الطفل من اللعب مع أخوته الكبار.

3- أسلوب التذبذب في المعاملة بين الوالدين

يعد اتجاه التذبذب في المعاملة من أخطر الأساليب التربوية في التأثير على سلامة وأمن الشخصية الإنسانية، خاصة إذا كانت طفلا، إذ يتمثل هذا الاتجاه في عدم استقرار الأب أو الأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، وهذا يعني أن الطفل قد يثاب في موقف ما ثم يعاقب مرة أخرى للموقف عينه، وهناك أمثلة كثيرة لأساليب المعاملة الوالدية، وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف طريقة الأب والأم في معاملة الطفل، بمعنى أن تعامل الأم طفلها بحنان وحب بينما يعامله الأب بقسوة وعنف؛ ومجاراة مع ثقافتنا الأب لابد أن يكون صلب صعب المراس والأم لينة ودودة، وهذا خطأ كبير.

أما النتائج السلبية المترتبة عن هذا الأسلوب فمن أهمها: تكوين شخصية متقلبة ازدواجية منقسمة على نفسها وهي موجودة في حياتنا اليومية، فالطفل الذي عانى من التذبذب في معاملته غالبا ما يعاني من ازدواجية الشخصية، ومن صراعات داخلية لا حدود لها، ويمكن للإفراط في استخدام هذا الأسلوب أن يؤدي إلى اضطرابات نفسية بالغة الأثر.

يتفق المربون على أن أسلوب التربية الثابت في معاملة الأطفال يؤدي إلى نتائج إيجابية، حيث يجب على الأب ألا يكون قاسيا والأم عطوفة أو بالعكس، وذلك ليجنبا أطفالهما الصراع الناشئ من تناقض المعاملة، والذي له أسوأ الآثار في نفوسهم، لأن ذلك يؤدي بهم إلى الاضطراب النفسي وعدم الثقة بالنفس والانحراف في السلوك (الكندري، 1992: 375 – 427).

بل أن الطفل قد يضطر للخروج من دوامة ذلك الصراع حسب رأي (باتسون) Batson إلى الوقوع في مطب انفصام الشخصية، "ليتمكن من التعبير عن هذا التناقض الذي يسمح له بالاتصال من غير اتصال، وأن يكون فاعلا من غير فعل، نظرا لعجزه عن إمكانية

تحقيق الاتصـــال والتعبير عن مشـــاعره في صـــيغ أفعال متماســـكة وخالية من التناقض" (ميكشيللي، 1993: 47).

4- أسلوب الحماية والدلال الزائدة

يتمثل هذا الأســلوب في قيام أحد الوالدين أو كلاهما بتوفير أجواء حماية مبالغ فيها حيث يقومان بالواجبات التي يفترض أن يقوم بها الطفل، وهناك أسباب لمثل هذا الأسلوب مثل الطفل الوحيد الذي تخاف عليه الأم، وتبالغ في حمايته، أو الولد الذكر بين شـــقيقات إناث، والذي يتم التعامل معه بشكل استثنائي في التدليل، فقد يرغب كل طرف من الوالدين في جذب مشـــاعر الطفل نحوه عن طريق تلبية كل متطلباته، وهنا تظهر لدى الطفل عادة غاية في السوء وهي اللعب على الاختلاف، بين الوالدين، ويبدأ في نفاق كل منهما للحصول على مزيد من الأشياء المادية.

أما أهم الآثار السلبية لمثل هذا الأسلوب؛ فيتمثل في قتل روح الاستقلال والنزعة إلى المبادرة؛ فينشأ الطفل ضعيفا واهنا إتكالياً، ويترتب على ذلك عدم قدرته على التكيف في إطار حياته الاجتماعية اللاحقة، أو التصرف في كثير من أموره، مثل مصروفه أو اختيار ملابسه أو اختيار طعامه أو عدم الدفاع عن نفسه إذا ما اعتدى عليه زميل له في المدرسة أو النادي ...الخ، بل يتحمل الشـــخص الذي يدلل الطفل كل هذه الأمور بدلا عنه، حيث يحدد له جهة صرف نقوده واختيار ملابسه وأصدقائه ...الخ نيابة عنه.

كما أن تلبية كل متطلبات الطفل وإغداقه بالهدايا بســـبب أو بدونه ظنًا منهم أنه سيعوضه غياب أحدهما واستبدال الدور التربوي بهدايا عينية؛ سيضر به أكثر من أن ينفعه؛ لأن الطفل الذي يتحصـــل على كل شـــيء دون بذل جهد أو مقابل ســـيفقده الإحســـاس بالإعجاب، وينمي لديه طباع مثل الطمع والأنانية، أيضـــا الدلال الزائد يشـــجع الطفل على

تحقيق معظم رغباته بالشكل الذي يحلو له، وعدم توجيهه لتحمل أي مسؤولية تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها، فمثلا قد يتضمن قيام الطفل بألوان من السلوك غير المرغوب فيها اجتماعيا، كما قد يتضمن دفاع الوالدين عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضد أي توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الخارج، وغالبا ما يكون هذا الأسلوب نتيجة لوجود الطفل الذكر مع أخوات له من البنات، أو ميلاده بعد طول انتظار ...إلخ.

تظهر ألوان التدليل في صور أخرى متعددة؛ فمثلا عندما يبدأ الطفل في تعلم الكلام ويسب أباه أو أمه غالبا ما نجدهما يضحكان، وعندما يشتد عوده ويذهب إلى المدرسة يعطيانه مصروفا زائدا يصرفه كما يحب، دون توجيه يجعله يميز بين جهات الصرف الصحيحة أو الخاطئة، وإذا أخذته الأم في زيارة اجتماعية لإحدى صديقاتها فيعبث الطفل أمامها بالأثاث ويخرب بعض الأشياء الثمينة، فلا تبالي أو حتى تمنع الطفل، بل تحاول أن تبرر، دون إعادة تقويم لأسلوبها التربوي الخاطئ مع ابنها، ودون إشعار للطفل بخطئه، بل قد تحتضنه وكأنها تشجعه على فعله، وتتضايق إذا أحد نهره وحاول منعه. وهناك من الأمهات من دائما تعتبر أبنها بريئ عندما يشتكي منه الجيران وتتهمهم بأنهم يتبلون على أبنها فيتمادى في فعله مما قد يسبب مشاكل بين الجيران، وهنا لابد أن ننبه إلى عدم أخذ كلام الطفل على علته دون التحقق منه، لأن الطفل يرى الحقيقة من زاويته فقط فتقع في حرج مع الجيران، ورسولنا الكريم نبهنا إلى أمرين أولهما: التريث، وثانيهما: احترام الجار.

النتائج السلبية المترتبة على هذا الأسلوب من أهمها:

- تكوين شخصية قلقة مترددة، تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود.
- تكوين شخصية متسيبة، كثيرا ما تفقد ضوابط السلوك المتعارف عليها.
- تكوين شخصية عاجزة عن الحفاظ على مواعيدها.

- تكوين شخصية لا تستطيع تحمل أي مسؤولية يعهد بها إليه.
- تكوين شـــخصـــية اعتمادية على الآخرين من ذوي المراكز من الأقارب أو المعارف (المحسوبية) للوصول إلى هدف أو مركز.
- تكوين شخصية لا تبالي أو تكترث ولا تحسب عواقب للأمور، فقد يرمي صاحبها أعقاب الســـجائر دون التزام بالنتائج والحرائق التي قد تحدثها، كما أنه مثل هذا الشـخص إذا ما تزوج غالبا ما يترك لزوجته تحمل المسـؤولية كاملة دون أي مشـاركة ...إلخ.
- تكوين شخصية مستهترة؛ لا تتحمل المسؤولية نتيجة التدليل المفرط دون أي توجيه أو تحمل لنتائج الأخطاء في الصغر.
- تكوين شخصية عاجزة عن التمييز بين ما يجب وما لا يجب، بما يصاحب ذلك من عدم القدرة على تحمل أي مسؤولية توكل إليها (قناوي، 2008 : 164).

5- أسلوب المحاباة والتفرقة بين الأبناء

يقوم هذا الأســلوب على التمييز بين الأطفال الذكور والإناث، والكبار والصــغار، وهو أســـلوب يُوَلِّدَ الإحســـاس بالعقدة الأخوية وفقدان الثقة بالنفس بما يصـــاحبها من اضطرابات نفسية.

ويتمثل هذا الأســلوب في تعمد عدم المســاواة بين الأبناء جميعا، والتفضــيل بينهم بسبب الجنس أو ترتيب المولد أو السن أو أي سبب آخر .. ؛ فبالنسبة للجنس نجد الأسرة قد تفضـــل الذكر عن الأنثى وهذه في موروثنا الثقافي، وقد حدثنا ديننا الكريم عن الخجل والعار الذي يعتقد الشخص أنه لحق به إذا رزقه الله بمولودة أنثى، وكان يصل الأمر إلى قتلها، واســتنكر الإســلام هذا الفعل الشــنيع، لكن إلى الآن مازال عالقا في أذهان البعض، ولربما

لاعتبار أن الذكر يحمل اســـم العائلة أو اعتقادهم أن كثرة الأولاد تحفظ هيبة العائلة عند غياب القانون، وهي اعتقادات خاطئة فليس أحن من البنت على أســـرتها، بل وفي الغالب تجعل أبناءها وزوجها أكثر تعلقاً بأهلها من أهل زوجها، ورســـولنا الكريم بشـــر الأب الذي لديه بنتان ورباهما تربية حسنة بالجنة.

وفي معاملاتنا الريفية تفضـيل للذكر أيضـا عندما يكبر الأبناء، فإن الولد يسـمح له بمقابلة أصـــدقائه بالمنزل، في حين لا يســـمح للبنت بذلك، ويعطى الولد مصـــروفا أكثر من البنت، وعندما تجلس البنت للمذاكرة تطلب الأم منها أن تعد الطعام لأخيها أو تعمل له الشاي أو تنظم له غرفته ...إلخ حتى ولو تركت مذاكرتها ...إلخ.

ويترتب على ذلك نتائج أهمها:

- تكوين شـخصـية أنانية حاقدة تعودت أن تأخذ دون أن تعطي، تحب أن تسـتحوذ على كل شـيء لنفسـها، أو على أفضـل الأشـياء لنفسـها حتى ولو على حسـاب الآخرين.
- تكوين شـخصية تصر على عدم انتهاء واجبات الآخرين نحوها، فهي دائما لا ترى إلا ذاتها واحتياجاتها دون اعتبار أو انتباه لواجباتها هي نحو الآخرين.
- تكوين شـخصـية تعرف مالها ولا تعرف ما عليها تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها (قناوي، 2008 : 135).

ثانياً: نتائج بعض الأساليب التقليدية في التنشئة الاجتماعية (Traditional patterns)

يمكن إجمال بعض هذه الآثار والنتائج فيما يلي:

1- نبذ الطفل انفعالياً

يتمثل النبذ في ســـلوك ظاهر نحو الطفل، يجعله يعتقد بأنه ليس محبوباً ولا ذا قيمة، وهو ســلوك يهدد أمان الطفل، ويتركه فريســة الشــعور بالشــك، وبأنه وحيد، وقد وضــع "جيلسون" قائمة لبعض الصور المختلفة لنبذ الوالدين للطفل:

أ- تكرار الإشارة إلى نواحي النقص لدى الطفل، وإخضاعه لنظام صارم.

ب- هجر الطفل وطرده وإنزال العقاب الشديد به.

ج- التفرقة في المعاملة بين الطفل وإخوته، ومعايرته المســـتمرة، ومقارنته بالأطفال الآخرين المفضلين عليه.

د- تهديد الطفل بالعقاب البدني بقصد تعويده على احترام النظام والطاعة.

هـ- تهديد الطفل بالطرد من المنزل، والحرمان من نزهة أسـبوعية، وتكليفه بعمل شـاق إذا ما ارتكب ذنباً ما في محيط أسرته.

2- سيطرة الوالدين على الطفل

إن سيطرة الوالدين تعتبر مصدراً من مصادر سوء التكيف عند الأطفال، ومن النادر وجود آباء يعاملون أطفالهم باعتبارهم شـــخصـــيات لها أفكار وعواطف ومشـــاعر، وهناك أشكال متعددة لهذه السيطرة، نذكر منها:

أ- الحماية المفرطة للأطفال.

ب- التمادي في الإشراف على الأطفال إلى حد كبير، وفرض نماذج للسلوك عليهم.

ج- الإشراف على اختيار أوجه النشاطات للأطفال.

د- القلق عليهم بسبب أمور تافهة.

ويجدر بالذكر أن التمادي في إشراف الوالدين على الأطفال قد يمتد إلى التدخل في خصوصياتهم واختيار أصدقائهم وأقرانهم، بل حتى أصغر أمورهم، لدرجة تجعل الطفل شديد الاتكالية على الأهل.

آثار إتباع الوالدين لهذا النوع من الأساليب:

- تعريض الطفل للفشـــل والإحباط نتيجة دفعه لعمل من الأعمال دون مراعاة لقدراته وميوله.
- إصـــابة بعض الأبناء بنوع من البلادة الانفعالية، بما يصـــاحبها من الامتناع عن تحمل المسؤوليات.

3- التفريق وعدم المساواة في التعامل مع الأبناء

النفس البشـرية قوة ليس من السـهل التحكم فيها، بل هي تحكم سـائر تصـرفاتنا واتجاهاتنا وانفعالاتنا، وليس غريباً أن نجد الآباء لا يقدرون على ضبط أنفسهم وأهوائهم، ولا تتســاوى المعاملة التي يلقاها أبناءهم منهم، ولا يتكافأ مقدار الحب والعطف الذي يناله ابن من الأبناء في الأسرة مع ذلك المقدار الذي يناله أخوته، فقد يفضل أحد الوالدين أحد أبنائه لأي سـبب من الأسـباب، فيخصـه بالحب والرعاية والعناية، وعندئذٍ يشـعر أخوته بالغيرة والجور والظلم، فمثلاً يفضـل بعض الآباء الولد على البنت، أو الصـغير على الكبير، وكذلك المريض على الصـحيح مما ينمي الغيرة بين الأخوة، ويفسـد العلاقة بينهم، وبالتالي يؤثر هذا الأسلوب على النمو المتكامل للطفل من النواحي الآتية:

أ- شعور الطفل بالظلم والقسوة.

ب- تكوين اتجاهات سلبية نحو الوالدين.

ج- فقدان الثقة بالنفس.

د- شعور الطفل بالحقد والغيرة.

هـ- كره بقية الأخوة والأخوات والحقد عليهم.

و- تقمص الظلم والقسوة في السلوك مع الأشخاص الآخرين.

4- تحكم الآباء في مستقبل الأبناء

بما أن المستقبل المهني للأبناء مسألة يحددها تكوينهم النفسي، بما يتضمنه هذا التكوين من قدرات واستعدادات وميول، فإن محاولة الآباء التحكم في هذا المستقبل عبر إخضاعه للضغط والتوجيه بما لا يتفق مع هذه المكونات، يعني من ناحية أخرى زيادة في احتمال فشل الأبناء في تحقيق مستقبلهم المهني الناجح، مهما بدأ، ذلك راجع للأبناء أنفسهم، وهو ما يمكن التمثيل لأعراضه الذاتية والغيرية فيما يلي:

- روح التكاسل وعدم الرغبة في القراءة وتدني المستوى العلمي لكثير من الأبناء في الأسر.
- صراع الأجيال؛ الناتج عن اتساع البون بين تفكير الأبناء وتفكير الآباء، وعزوف الأبناء في كثير من الأحيان عن الاستفادة من خبرات جيل الكبار إذ ينظرون إلى خبراتهم على أنها لم تعد ذات قيمة في هذا العصر الذي يعيشون فيه، رغم إصرار الآباء على أنه ليس هناك أفضل مما كان.
- الغزو الفكري والثقافي؛ المتمثل فيما يشاهده الأبناء ويستمعون إليه عبر وسائل الإعلام المختلفة من أفكار وقيم قد لا تكون في كثير من الأحيان متفقة مع قيم مجتمعاتهم (الشنتوت، 2000 : 42).

كما قد يظهر ذلك الغزو ـــــ حسب (كود نوف ووتكين) Coodnouph and Witkin من خلال التطبيع القسري لثقافة الجماعة، من خلال فرض تغييرات على نظمها القيمية ومقدماتها التصورية، وأدواتها المستخدمة، وتعبيراتها وأنماطها الأنموذجية المعهودة، مثل: قيمها الأخلاقية، قواعدها في تأكيد الذات، الصفات الثقافية للذكاء لديها، أساليبها في الاهتمام بين الأزواج، الاهتمامات الفكرية لديها .. جراء تعرضها للاستعمار (ميكشيللي، 1993: 154)، باعتبار أن التطبيع على هذا النحو عملية مختلفة عن التنشئة الاجتماعية، كجملة عمليات مستدمجة للتكيف مع المعايير الجماعية.

ولذلك؛ فإن الآباء المدركون لأصول الحياة يعملون على توجيه أبنائهم إلى نوع التعليم والمهنة التي تناسب ميولهم واهتماماتهم وتطلعاتهم، لكن إذ خضع هذا التوجيه لرغبات الأب نفسه أو الأم بغرض تحقيق لآمال معينة فإننا بذلك نكون قد أنكرنا على الابن حقه في الاستمتاع بنوع الحياة الذي يتفق وتكوينه الطبيعي، فالأمور يجب أن تتخذ بالإقناع لا بالإجبار.

5- تقديم الآباء القدوة السيئة في الكذب

بما أن الآباء يمثلون قدوة لأبنائهم، فإن بعض الآباء يعلمون أبناءهم الكذب في بعض المواقف، كأن يسأل شخص ماعن أحدهم، فيأمر ابنه بإخباره بعكس الحقيقة على أنه غير موجود، أو قد يأتي الأمر بطريقة يعتقد الكبار أنها جيدة وهي عندما يرتكب الطفل خطأ معينا كأن يكسر الصغير إناء مثلا؛ فيخاف الشخص الكبير الذي حوله عليه من العقاب، فيقول له قل لوالديك أن عمي أو خالي فلان هو الذي كسره، لكي يجنبه عقاب والديه، وبهذا يعلم الطفل الكذب دون أن يدري، والطفل في هذه الحالة يعتبر هذا هو

الأسـلوب الجيد في المعاملة، ويترسـخ لديه مثل عادة سـيئة، تصـاحبه مسـتقبلا، مما يفقده تعامل الآخرين بثقة ومصداقية.

6- تدعيم سلوكيات انحراف الأحداث في السرقة

ويتم ذلك سـواء من خلال التجاهل أو السـكوت على ما يجلبه الأبناء دون التأكد من شرعية مصدره؛ بحجة أن الشيء الذي سُرق ضئيل ولا يستحق المساءلة، أو من خلال التشـجيع الصـريح، عبر إظهار الفرح بفعل إحضـار الأشـياء كقيمة في حد ذاتها، وبدلا من المسـاءلة على كيفية الحصـول عليها، يقدمون المكافأة بالاحتفاء، وإبداء الاسـتعداد بالدفاع عن أبنائهم إذا ما تعرضـــوا لأي مشـــاكل من جراء انحرافهم، رغم ما يترتب على ذلك من نتائج سلبية، مثل تكوين شخصية أبنائهم كمجرمين محترفين.

7- تدعيم سلوكيات انحراف الأحداث في الوشاية والشائعات

ويدعم هذا السلوك سواء بطريقة غير مباشرة، مثل عمل بعض الآباء على تسخير أبنائهم لنقل الكلام دونما إدراك بأن ذلك سيخلق منهم أناسا يزرعون الفتن بين الناس، ومن أهم آليات ذلك، محاولة تحويل الأبناء إلى بنك معلومات، للتعرف منهم على ما يصـــدر من الآخرين في غيابهم، أو بطريقة مباشـــرة، مثل أن يصـــدر الآباء الأوامر لأبنائهم، بأن يذكروا عكس الحقيقة أمام الآخرين. والصـــحيح يجب أن لا نأخذ الكلام على علته، بل يجب أن نتيقن ونتحقق منه، فالقرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ "الآية (6) الحجرات". وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ الآية 28 غافر.

ثالثاً: نمط من سيطرة الأبناء على الآباء (Children control parents)

يقول كارلسون: "أولادنا هم أفضل معلمين لنا بصرف النظر عن سنهم، لأنهم لديهم القدرة على أن يعلمونا بعضًا من أهم دروس الحياة، كالصبر والحب غير المشروط والاحترام المتبادل وحل المشاكل بطريقة إبداعية وقبول حتمية التغيير وقبول الحياة كما هي" (كارلسون، 2000: 307).

فالتنشئة الراجعة هي التي تعني تحول المتلقي في التنشئة إلى مرسل لها أو تحويل المنشئ إلى مُنّشأ في عملية التنشئة الاجتماعية، لكن الفارق كبير بين مفهوم التنشئة الراجعة، كوجه إيجابي من مظاهر التنشئة غير التسلطية، والقائمة على التفاعل بين الوالدين والأبناء، وبين سيطرة الأبناء على الآباء، الواردة في دراسة عالم النفس "إدوارد ليتن" على الآباء في أمريكا؛ التي توصل فيها إلى أننا نعيش في عصر يحكمه الأبناء، فبدلاً من أن يوجه الآباء أبناءهم، فإن الأبناء هم الذين يوجهون سلوك آبائهم، فهم الذين يختارون البيت، ويشيرون بمكان قضاء العطلة، وإذا دخلوا متجراً مضى كل طفل إلى ما يعجبه، وما على الأب إلا أن يفتح حافظته ويدفع (السبيعي، 1404هـ : 70). التي تظهر الوجه التسلطي للأبناء على الآباء.

رابعاً: بعض الأخطاء الصحية في التنشئة

(Some healthy errors in socializing)

إضافة إلى الأخطاء التربوية هناك أخطاء صحية يرتكبها الوالدان دون دراية وهي لا شك لها تأثيراتها الصحية على الطفل من بينها:

1- هناك خطأ سلوكي ترتكبه الأم وهو إرضاع الطفل وهو نائم، وهذه الطريقة تؤدي لإصابة الطفل بالتهابات متكررة في الأذن نتيجة لتسرب اللبن إلى داخلها، وبتكرار

هذه العملية تتحول إلى مشـكلة صـحية مزمنة يعاني من آلامها الطفل ويبكي دون أن يعرف الوالدين السبب الذي قد يتطور ويؤثر على حاسة السمع عند الطفل.

2- هناك عادة تمارس في أغلب البيوت وتسـبب إيذاء مباشـر للطفل وهي الهز المسـتمر للأطفال، كونها تؤثر بشكل سيء على المخ، فقد تؤدي أحيانا لإصابتهم بفرط في الحركة وعصبية شديدة تستمر معه باقي عمره.

3- هذا الخطأ يبدأ بتعجل الأهل لانتقال طفلهم لمرحلة الحركة سواء عن طريق مساعدته على المشـي أو وضـعه داخل "المشـاية" لسـاعات طويلة، الأمر الذي يأتي بنتائج سـلبية في حالة الإفراط، لأنها تضـر بعضـلات الحوض و تبعج القدمين، لذا ينصـح الأطباء بأن لا تزيد المدة التي يوضع بها في المشاية عن ساعتين.

4- هذا الخطأ يبدأ بمرحلة الفطام وما يقدمه الأهل للطفل من طعام، إذ غالبا يتم تقديم طعام غير مناسب، لجهل الكثيرين بالعناصر المهمة مثل الحديد والكالسيوم التي تفيد الطفل في هذه المرحلة العمرية، ويقدمون له أطعمه أخرى تسبب ضررا كالمشروبات الكحولية والعصـائر غير الطبيعية التي تسـبب هشـاشـة وضـعف للعظام وتلين بالقدمين، أو يعودونه على الحلويات والشـطائر بدل الخضـروات والفواكه مما قد يعرضة للبدانة المفرطة.

- وفي هذا قد ذكرت منظمة اليونسيف في تقرير عام (2012) عن أمراض سوء التغذية أن نحو ثلث أطفال الدول النامية يعانون من أمراض سـوء التغذية، وأن نقص المعادن المهمة في التغذية للأطفال يسبب الإصابة بأمراض مزمنة منها على سبيل المثال:
- نقص فيتامين "أ" يؤدي إلى الإصابة بالعمى وضعف جهاز المناعة.
- نقص اليود يتسبب في الاعتلال العقلي والجسدي الشديد.

- نقص الحديد يؤدي إلى فقر الدم المهدد للحياة وانخفاض الإنتاجية.
- النقص في حمض الفوليك عند الأم الحامل يتسبب في ولادة طفل ناقص النمو، ومن المحتمل أن يصاب بعيوب خلقية في العمود الفقري.
- سوء التغذية يعتبر المسؤول عن 54% من حالات الوفاة للأطفال دون الخمس سنوات على مستوى العالم (عيد، 2012: تاريخ الزيارة 16/05/2020 .(https://www.youm7.com/story/2012/1/15

خامساً: نمط من الأساليب المثالية للتنشئة الاجتماعية

(Ideal patterns for socializing)

أكثر ما يتمثل هذا النمط في التنشئة الاجتماعية الأسرية الديمقراطية القائمة على الحوار البناء والتفاهم بين الأهل وأبنائهم كأسلوب موضوعي في حل المشكلات التي تواجه الأسرة، نظرا لما تمنحه هذه الطريقة من حرية للأبناء، كالحرية في طرح آرائهم وأفكارهم ومقترحاتهم حول قضاياهم الشخصية والأمور المرتبطة بشؤون الأسرة، وما تتيحه لهم من مشاركة في مناقشتها، وفي اتخاذ القرارات بشأنها، انطلاقاً من مبدأ حق الاختلاف في الرأي والأفكار مع الآخرين، ومن ثمّ فهي تسهم في إعدادهم وتأهيلهم لتحمل مسؤولياتهم المجتمعية في المستقبل لما يتضمنه هذا النمط من التوسط بين الشدة واللين والتدليل والقسوة والمساواة والعدل، بشكل عام (أبو حمدان، 2011: 12). ويمكن إجمال المقومات الأساس للنمط المثالي للتنشئة الاجتماعية فيما يلي:

- التوسط والاعتدال في معاملة الطفل بين الشدة واللين.
- معرفة أن أخطر أساليب التربية الخاطئة هي القسوة الزائدة والدلال الزائد.
- معرفة قدرات الطفل الطبيعية، وعدم تكليفه بما لا طاقة له به.

- وجود التفاهم بين الأب والأم على كيفية تربية الطفل، وعدم التشاجر أمامهم.
- والإيمان بما يوجد لدى الأطفال من فروق فردية في النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والانفعالية.
- ويُعرَّفُ كل ذلك بالنمط التربوي الذي يتميز بـالضبط المعتدل والحزم والتواصل والحب والعقاب البدني أحيانا، والمكافأة وإعطاء تفسـيرات للسـلوك والقواعد المتبعة، وهذا الأسلوب يوّلد عند الطفل شخصية تمتـاز بالتـوكـيد والضبط الذاتي والرضا والتعاون والتحصيل الدراسي المرتفع.
- معرفة أن مسـاعدة طفل على تخطي مشـكلة أو اثنتين هو بمثابة إطعامه وجبة ليوم واحد، غير أن تمكينه وإعداده وتزويده بأدوات التفكير الإبداعي وإتاحة المجال أمامه أفضـل؛ وذلك ليبزغ وينمو ويعتمد على نفسـه، وبهذا تخلق منه إنسـانا معتمدا على نفسه وليس اتكاليا.

سادساً: نمط الأساليب الروحية والنفسية للتنشئة الاجتماعية

(The pattern of spiritual methods of socializations)

بما أن الإنسـان كائن عجيب خلقه الله مزدوج الطبيعة، فيه عنصـر مادي طيني، وعنصر روحي سماوي، فإن عنصر الطين يشده إلى الأرض وما ترمز إليه من مشرب وملبس ومسـكن ومنكح وشـهوات وملذات وغرائز، في حين أن عنصـر الروح يدفعه إلى الرقي في مدارج السمو الروحي، مما يعني ضرورة مراعاة التوازن بين الجسم والروح، كي لا يطغى جانب على حساب آخر، فطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي يهبط بالإنسان إلى مستوى البهائم أو أضـل سـبيلاً. كما أن طغيان الجانب الروحي على المادي، يؤدي به إلى الرهبنة

والتصـــوف والانعزال عن الحياة، ومن ثم ترك القيام بمســؤولية عمارة الأرض، وبناء الحضـــارة وإدارة الحياة.

التنشـــئة على أســـس متوازنة بين المكونين، قد تشـــكل منطلقا قائما على حماية الإنســان من الخوف والفزع والاضـطراب وكل ما يحد حريته وإنســانيته، ويحرص على حقوقه المشـــروعة في الأمن والســـكينة والطمأنينة، لأن الكائن البشـــري وحدة فكر وروح وعمل؛ فالتفكير العقلي لابد أن يكون له انعكاســـات على الجانب النفســـي والاجتماعي للفرد والمجتمع، والمسلمون لا تنقصهم القوة الروحية والعاطفية بل يمتازون بها والمتصفح لكتاب الله يلاحظ اهتمامه بالانفعالات النفســية كالحزن والخوف والفرح والبكاء، لما تشـــكله من أهمية بالنسبة للإنسان، والتي يمكن ملاحظتها في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم والتي من بينها سورة يوسف.

وقد يرجع ذلك إلى ما أكدته الدراســـات والأبحاث من أنّ الصـــحّة النفســـية هي مصـــدر ســـعادة الإنســـان واســـتقرار المجتمع وحفظ النظام فيه، فالمجتمع الذي يتمتّع أفراده بالصحّة النفسية، وبالسلوك السوي يبني نظاماً اجتماعياً تندر فيه الجريمة والانحطاط والمشاكل والأزمات السـياسـية، الاقتصـادية والأمنية، ويسـلم من السـلوكية العدوانية، وقد أصـبح من المســـلم به أن عددا من الأمراض البدنية ترجع لأســـباب نفســـية ووجدانية، وأن التوتر والاضـطراب الانفعالي يعمل ضـد العلاج الطبي الناجح، فيفقد الشـخص قدرته الذاتية على اسـتعادة صـحته. وللحفاظ على مثل ذلك الاسـتقرار النفسـي والعاطفي، يوصـي الأطباء وعلماء النفس بإتباع التوجيهات التالية، على سبيل المثال لا الحصر:

1- مدّ جسور الصلة بين الطفل وخالقه من خلال الذكر والصلاة وقراءة القرآن؛ فللقرآن الكريم أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي، ولن تتحقق السعادة الحقيقة للإنسان إلا من خلال شعوره بالأمن والأمان.

2- إن استشعار الطفل لوجود الله فيما حوله من حقائق وأشياء ومخلوقات سيملأ ساحة نفسه أمنا، يقول الدكتور كامل يعقوب : "والحقيقة التي لامستها في حياتي – كطبيب – أن أوفر الناس حظًا من هدوء النفس هم أكثر نصيبا من قوة الإيمان ... وأشدهم تعلقا بأهداب الدين".

3- التمتع بالصحة البدنية.

4- تجنب أخذ الأطفال بأساليب الكبت والتخويف، وأن يتاح لهم إشباع غرائزهم المختلفة باللعب البريء تحت إشراف الأب أو المربي، وأن يكرس لهم بعضا من وقته كل يوم لإرشادهم وليشعروا بعاطفة الأبوة الدائمة.

5- اختيار المهنة المناسبة التي يحقق الطفل فيها ذاته ويثبت فيها كيانه ووجوده.

6- الاستقرار الأسري، فالطفل بحاجة إلى أسرة تنمي فيه الفضائل وحسن الخلق والإيمان.

7- تعلم ممارسة الاسترخاء والتخيّل الذهني والرياضة والهواية، فإنّ ذلك ممّا يحدّ من توتره الجسمي والنفس.

8- تجنب الضغوط ليكون سعيدا غير قلق ولا خائفا ولا مضطربا.

9- التدريب على الرفق وضبط النفس عند الانفعال، فما دخل الرفق على شيء إلاّ زانه.

10- مساعدة الطفل في حل المشكلات المحيطة به.

11- ممارسة الهوايات المحببة إليه ليبعد عن نفسه الضيق والملل.

12- الاستمتاع بكل ما هو جميل في ملكوت الله وتجنب كل ما هو رديء وسيء.

13- تغيير الروتين اليومي من فترة إلى أخرى فقد تأتي الضغوط الداخلية من جرّاء الضجر والرتابة والملل، ولذا فإنّ التغيير الايجابي البسيط ربّما يحوّل سيمفونية حياته الرتيبة إلى نغمات عذبة ودافئة ومسلية.

14- تلبية رغبات الطفل من حب وعطف وحنان ليشعر بالأمن والسعادة والاطمئنان.

15- من المهم أن يقتنع الطفل ويتأكد أن أهله يحبونه بشكل دائم ومستمر فلا يجد في أقوالهم وتصرفاتهم ما يجعله يشك في ذلك (حسين، 2011).

سابعاً: نمط الأساليب العربية في التنشئة الاجتماعية

(The pattern of Arab methods in socialization)

بالرغم من الرغبة في التوجه نحو تغليب تنشئة التسامح والحوار واحترام الفرد وتنمية المعرفة، وخاصة بين طبقات المجتمع المتعلم والمنتمية إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتوسط والمرتفع، إلا أن الوضع الراهن للتنشئة التنشئة في الأسرة العربية لازال متذبذبا بين استخدام أساليب التسلط التقليدية والعقاب البدني وأساليب التساهل والإفراط في الحماية، كما أن الصراع بين القيم في نسق التنشئة ما زال قائمًا ومكبلا لعملية اكتساب المعرفة.

هذا الصراع المتمثل في إشكالية أسلوب السلطة مقابل الأسلوب الديمقراطي القائم على حرية التعبير واحترام الآخر، وبين إشكالية التمسك بالماضي والخوف من التغيرات الحادثة في قيم الحاضر، مقابل الحاجة الملحة إلى إعداد أطفال مجتمعاتنا العربية لمستلزمات المستقبل، وبين إشكالية الشك في قدرات الأنثى والخوف عليها في مقابل توفير الفرص لها للتطور والنمو الإنساني، وبين إشكالية التلقين والحفظ وسلطة المعرفة في مقابل العقلانية والتفكير العلمي والتجربة والتعلم الذاتي.

وأمام كل هذه الإشـكالات ما زالت التنشـئة العربية وخاصـة في مجتمعات الفئات الفقيرة تفتقد إلى إثراء بيئة الطفل الحسية والعاطفية بمقومات النمو الطبيعي، والأخذ بيده نحو مجتمع المعرفة، وللتغلب على هذه العوائق يتطلب الأمر تضـــافر الجهود الحكومية والأهلية والاســـتفادة من تجارب الدول المتقدمة والنامية؛ لتوفير بدائل للأطفال الصـــغار من خلال التوسع في التعليم لما قبل الابتدائي ودعم برامج تعليم وتثقيف الأسرة.

وحين التركيز على تنشـئة الصـغار في المرحلة السـابقة للتعليم الابتدائي فسـنلاحظ الإشكالات الآتية:

1- إشـكالية تدني مسـتوى تعليم المرأة، وهي القائمة بالدور الأسـاس في التربية وخاصـة في السـنوات الأولى من عمر الطفل، إذ يبلغ عدد الأميين من بين البالغين العرب حوالي 65 مليونًا، ثلثاهما من النســـاء (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2002: 3)، وانخفاض تعليم المرأة مرتبط باسـتخدامها لأسـاليب تنشـئة تعتمد التسـلط والعقاب البدني والتخويف وتؤدي في الغالب إلى نشوء مظاهر نمو تكبح التفكير واكتساب المعرفة.
2- إشـكالية انتشـار الفقر في البلدان العربية، إذ يعيش واحد من خمسـة مواطنين عرب على أقل من دولارين أمريكيين في اليوم، وهذا يعتبر من أقل مسـتويات الفقر المادي في العالم بما يتبع الفقر المادي عادة من انحصـــار في فرص التعليم والبيئة الســـكنية والاجتماعية المناسبة لاستخدام أساليب التنشئة السوية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2002 : 5).
3- إشـكالية الحجم الكبير للأسـرة العربية، إذ تبلغ نسـبة الأطفال الذين يقل أعمارهم عن 15 سـنة 38% من عدد السـكان في المجتمع العربي، بالإضـافة إلى أن معدل الخصـوبة مازال مرتفعًا إذ يبلغ 3,5% في عام 1998مقارنة بمتوسط الخصوبة العالمي 2.7% (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2002 : 32). والحجم الكبير للأسرة كما تشير الدراسات يقف

عائقًا أمام تفاعل الأسرة وتواصلها واستخدامها لأساليب تيسر الحوار والتفكير وتوفر الفرص للاكتشاف والتعليم.

4- إشكالية تدني نسبة عدد الأطفال العرب الذين يحصلون على تعليم ما قبل الابتدائي، إذ لا تزيد النسبة عن 4% في مقابل 47% في البلدان الأكثر نموا في عام 1995 (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2002 : 42). وتزداد الفجوة اتساعًا إذا ما قورنت بالدول المتقدمة التي جعلت نسبة التحاق الفئة العمرية 3-5 سنوات بالتعليم تصل ما بين 75 – 85% أهلياً وحكوميًا في كل من ألمانيا والدنمارك وفنلندا والسويد، وترتفع إلى 95% في كل من بلجيكا وفرنسا وايطاليا (Kamerman,2000: 156)، وهذه النسبة المنخفضة لالتحاق الأطفال العرب في التعليم ما قبل الابتدائي تشير إلى حرمان غالبيتهم من فرص اكتساب المعرفة في بيئة تربوية ، قد يكون لها دور في تعويض النقص الذي يعاني منه الطفل العربي في بيئته الأسرية؛ المفتقدة في الغالب إلى أساليب التنشئة التي تنمي القدرات وتشحذها للتفكير والتعلم، بالإضافة إلى ما يشكله هذا الحرمان من تعميق الهوة وعدم المساواة وقت الدخول إلى المدرسة بين القلة الذين حصلوا على تعليم مبكر والأطفال الذين حرموا منه (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2000: 42).

5- إشكالية المنهج المقدم في تعليم ما قبل الابتدائي: بالرغم من الجهود المبذولة والتجارب الناجحة لتطوير تعليم ما قبل الابتدائي في بعض الدول العربية (الأردن، تونس، وبعض دول الخليج العربي)، إلا أن معظم الروضات في العالم العربي ما زالت وبإلحاح من الأهالي تركز على تعليم القراءة والكتابة دون الاهتمام بالنمو المتكامل للطفل، والذي يتم من خلال توفير المواد والأدوات التعليمية المناسبة، والمعلمة المدربة المتمكنة، والبيئة التربوية، وهي عناصر تسهم جميعها في تنمية حواس الطفل وتطوير قدراته الجسمانية

والعاطفية والاجتماعية والفكرية، حيث أثبتت نتائج الدراســـة (عجاوي، 1994: 66-71). أن أثر رياض الأطفال الإيجابي على التحصـيل اقتصـر على الأطفال في الصـف الأول الابتدائي، ثم بدأ الاختلاف في التحصـــيل الأكاديمي بين الأطفال الذين دخلوا روضات والذين لم يدخلوها يتلاشى بدءًا من الصف الثاني ابتدائي، وهذه الدراسة تؤكد ان الروضـــات بوضـــعها الحالي تركز على تعليم القراءة والكتابة، ويظهر أثر هذا التركيز واضـحًا في السـنة الأولى الابتدائية لأنها تصـبح تكرارًا لما تعلمه الطفل في الروضـة، أما التأثيرات البعيدة المدى والخاصة بتطوير مناحي النمو الأخرى الخاصة بالاستقلال والثقة بالنفس والقدرات المعرفية الشـاحذة للتفكير والإبداع والتعلم الذاتي فهي مهملة، وربما لا تعرف المعلمة / المعلم كيف تنميها.

6- إشـــكالية الندرة وغياب برامج التدخل المبكر في معظم الدول العربية الموجهة لتثقيف وتوعية الأسـرة ، وخاصـة الأم بهدف تمكينها من القيام بدور فاعل في تنشـئة الأطفال والتواصـل معهم بأسـاليب تنمي كفاءتهم الاجتماعية والعاطفية والفكرية .وهو ما يمكن تجاوزه بخطوتين أساسين:

أ- التوسع في تعليم ما قبل الابتدائي ودور الحكومات والمنظمات الأهلية في ذلك.

ب- تثقيف وتوعية الأسـرة العربية، وخاصـة الأم بأهمية سـنوات الطفولة المبكرة، وذلك من خلال برامج التدخل المبكر المفترض دعمها من قبل الحكومات والمنظمات الإقليمية والدولية.

الفصل الثالث

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

Socialization Institutions

الفصل الثالث

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

Socialization Institutions

تمهيد

هناك مؤسسات عديدة تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية وتساعد على توجيهها وبلورتها، وتساهم بطريقة أو أخرى في تشكيل شخصية الطفل، وعليه فلا بد من الاهتمام بهذه المؤسسات عند دراسة وتفسير عملية التنشئة الاجتماعية عند الطفل، فهذه المؤسسات تساهم مجتمعة في تشكيل الفرد، إذ يُمثّل لهذا بأن الفرد لكي يصبح إنسانا كأنه (وجبة غذائية) معينة، وهذه المؤسسات هي المكونات لهذه الوجبة كل بقدر معين، بمعنى أن الأسرة تلعب دورا معينا في التنشئة وكذلك المدرسة والرفاق والجامع وهكذا، وتتمثل هذه المؤسسات في:- الأسرة ودور العبادة ووسائل الإعلام والرفاق وتقنيات الاتصال والمدرسة، وغيرها، وسنتطرق لبعضها وستكون البداية بأهم هذه المؤسسات والتي يقضي فيها الطفل أطول فترة، بل وربما لا يستغني عنها مدى الحياة، ألا وهي مؤسسة الأسرة.

أولاً: دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية

(The family role in the process of socialization)

يمثل البعض للأسرة بالمصنع، فكما أن للمصنع (فورمات) أو تشكيلات معينة تصنع داخلها القطع الصغيرة لكي تُكَوِّنَ فيما بعد آلة كبيرة ونمثل لذلك بالسيارة، فإذا صنعت قطع غيارها الصغيرة بصورة متناهية ودقيقة ستكون السيارة متناغمة وجيدة وتصلح للاستخدام، وإلا ستكون فيها عيوب وتصدعات واضحة، يقول رسولنا ومعلمنا الكريم صلى

الله عليه وسلم: عن دور الأسرة في تربية أطفالها: "كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" "حديث شريف: متفق عليه". إذ تنفرد الأسرة بكونها البوتقة التي تتحقق فيها ثلاثة أشياء أساس من التكوين الشخصي للطفل خلال السنوات الثلاث الأولى من عمره داخلها، وهي: إنجاز الجانب الأســاس من تراثه الوراثي، اكتســاب القدرة على أن ينتصب على قدميه، إبداء خصائصه الانفعالية المتنوعة (أسعد، 1993: 78).

ما يعني أن الأسرة هي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وتشرف على صياغة نماذج النمو الاجتماعي وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، والأسرة هي التي تحدد بذور الشخصية كما تحدد فيها طبيعة الإنسان، وهذا ما ذهب إليه "تشارلز كولي "Charles Cooley فكما يتشكل الوجود البيولوجي للإنسان في رحم الأم يتشكل الوجود الاجتماعي للطفل في رحم الأسرة وحضنها، والأسرة المضطربة تنتج أطفالا مضطربين، وأن أكثر اضطرابات الأطفال ما هي إلا نتاج لأساليب المعاملة الوالدية المتمثلة في الظرف غير المناسب في التنشئة الاجتماعية" (أحمد، 1999: 13).

كما أثبتت دراسة (كودنوف و وتكين) Coodnouph and Witkin إن اضطرابات الشخصية ناجمة في الغالب عن نماذج سلوكية في إطار الوسط الاجتماعي، حيث ينتمي الأطفال الاتكاليون إلى أسر ممتدة، أو إلى أسر يكون حضور الأب فيها قليلا، أو تعاني من غياب الأنموذج الايجابي للدور الذكوري، وعلى العكس من ذلك، غالبا ما ينتمي الأطفال الاســتقلاليون إلى عائلات نووية يكون حضــور الآباء فيها فاعلا، وهم يرفعون نظاما تربويا يبدو طبيعيا بالنسبة للأطفال، كما تبين أن الأسر غير المستقرة التي تسودها المشاحنات المتبادلة بين الأبوين، غالبا ما يخفق الأطفال الذين ينتمون إليها في الدراســة، ويعانون مشــكلات تتعلق بالتكيف، مثل الانحراف والبغاء، كما تبين أن الهوية الســلبية للأب

(كتحديد يعطى من قبل الأسـرة) يعزز اتجاهات الانحراف الجنسـي للأطفال (ميكشـيللي، 1993: 124-125).

كما أن مرحلة الطفولة المبكرة تعتبر ذات أهمية بالغة وخطيرة في حياة الفرد، فهي أشـبه بمراحل الأسـاس للبناء، فإذا كانت أسـاسـات البناء قوية كان البناء متيناً، وإذا كانت الأساسات غير قوية كان البناء هشاً قابلاً للتصدع والهدم بسهولة.

وهناك خاصية مهمة تبرز في هذه المرحلة وهي مرحلة تكوين الضمير (الأنا الأعلى):

يتكون الضـمير خلال التنشـئة الاجتماعية وإطارها الأخلاقي للأسـرة في المواقف الحياتية اليومية التي يمر بها الطفل، واسـتجابة والديه لما يفعل، المتمثلة في الرفض أو القبول لسـلوكياته، فينشـأ خلال ذلك رقيب داخلي (الضـمير) يمنع الطفل عن الخطأ ويدفعه للصـواب، وتلعب القدوة دوراً مهماً في تكوين الضـمير، ذلك أن عامل التقليد الملازم للنمو يجعل الطفل يحاكي ما يراه من تصرفات؛ أكثر من امتثاله لما يؤمر به.

فمثلاً مهما حذرناه من الكذب، ومنعناه عنه وعاقبناه عليه، ولكن أحد والديه يمارس الكذب أمامه، فمن الصعب أن يمتنع الطفل عن الكذب، ونجده وهو كبير إنسـانا لا أمانة له، (يكذب، يسرق، يغش).

ويمكن إجمال أهمية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية فيما يلي:

1- دور الأسرة في وضع أسس السلوك الاجتماعي للطفل

فالطفل في هذه المرحلة (ذاتي) يدور حول نفسـه أناني بطبعه، العالم من حوله لا يسع سواه فهو لا يستطيع تقبل وجود الآخر، ومن خلال النمو الاجتماعي ورعايته من قبل الوالدين والمربين يكتسب الطفل السلوك الاجتماعي، وعلى نهاية هذه المرحلة يتحول الطفل تدريجياً من كائن لا اجتماعي إلى كائن اجتماعي فتخف أنانيته ويتعلم إقامة العلاقات

الاجتماعية، ويســتوعب وجود غيره ويكون أقدر على التفاعل إلا أن الذاتية مازالت موجودة لديه.

ومما يساعد على تخلص الطفل من الذاتية ويكسبه القدرة على التفاعل والتحول إلى كائن اجتماعي، وجوده في جماعة يتعامل ويتفاعل معها، لذلك من المفيد جداً ذهاب الطفل إلى الروضة، فالهدف الأساس منها هو النمو الاجتماعي للطفل وليس لقراءة والكتابة.

2- غرس القيم والمثل العليا وتكوين الاتجاهات

هذه المرحلة هي الأرض الخصــبة الطيبة التي يبذر فيها الوالدان والمربون ما يشــاءون من القيم والمثل العليا للسلوك والاتجاهات، وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية والتطبيع عن طريق أنشطة وبرامج اللعب التي تشكل مدخلاً أساساً لنمو الطفل معرفياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً وحركياً وخلقياً، وكذلك القصـــص والحكايات التي نرويها للطفل، وعلى الوالدين والمربين التدقيق في اختيار القصة والحكاية التي سوف تحكى للطفل، وأيضاً الانتباه بشدة لما يراه الطفل من أفلام الكرتون واسطوانات البلاستيشن- وتحضرني قصة حدثت مع صديق لي من المقيمين في بريطانيا، وهذا الصديق لديه ابن في الروضة، وفي أحد الأيام تم استدعاؤه من قبل المربية والتي سـألته مسـتغربة لسـلوك ابنه؛ لأنه يقوم بحركات غريبة قد تؤثر على صـحته، والتي من بينها أنه يصعد الأماكن العالية ويرمي بنفسه، وقد كان أول ما تبادر إلى ذهن المربية ســؤالها عن الألعاب التي تقدم للطفل، فأجابها صــديقي بأن لديه "بلاســتيشــن" فطلبت الاسطوانات وإذ بها تجد أن الأسطوانات مخصصه لأعمار أكبر من عمر طفله، فنصحته أن يسـتبدلها بما يناسـب عمر ابنه – واختيار ما يدعم ويثبت ما نزرعه من قيم ومُثل في الطفل، وللقدوة دور كبير في غرس القيم وتثبيتها وتكوين الاتجاهات وللوالدين أكبر الأثر في التوجيه الوجداني للطفل.

3- التعرف على البيئة المحيطة والعالم

من نعم الله على الإنســـان أن جعل هذا الدافع (حب الاســـتطلاع) غريزي؛ حتى يستطيع التعرف على العالم من حوله، وحب الاستطلاع يبدو واضحاً لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، ذلك أن الطفل في حاجة ماســة للتعرف على البيئة من حوله حتى يســتطيع إنشـــاء العلاقات والتفاعل معها، ومن خلال محاولته التعرف على الأشـــياء من حوله يقوم بعمليات الفك والتركيب، إلا أنه أحياناً يفك الشيء ولا يستطيع تركيبه مرة أخرى؛ مما يجعل الناس من حوله يظنون أنه مخرب (لجهلهم خصـــائص نموه) فالطفل مكتشـــف وليس مخرب، ولهذا يجب مســاعدته وإشــباع فضــوله وحاجته للمعرفة، وفى نهاية المرحلة يلجأ الطفل لإلقاء الأسئلة بدلاً من تفكيك الأشياء، فهو الآن لديه حصيلة لغوية تمكنه من إلقاء الأسئلة التي تشــبع فضــوله، وعلى الوالدين والمربين عدم التبرم أو الضــيق من أسـئلة الطفل الكثيرة جداً؛ حتى لا يلجأ لأخذ ما يريده من معرفة بطريقته الســابقة، أو الالتجاء لغيرهم لإشباع فضــوله، وفي ذلك أشـــد الخطر، ولابد للوالدين والمربين من إجابة الطفل على كل أســـئلته إجابات صحيحة، وفي مستوى عقله- وهذا ما يسمى الاستشفاف الوجداني، أي النزول إلى مستوى تفكير الطفل، لا أن يرقى تفكير الطفل إلى العقلاء والمحنكين- فالأفضـــل إثراء بيئة الطفل حتى تتسع مداركه.

4- اكتساب اللغة ومفرداتها

يكتســـب الطفل الكلمات ممن حوله في المنزل أو الروضـــة حتى يكون لديه في هذه المرحلة حصـــيلة لغوية تزيد عن 2000 كلمة؛ تمكنه من التفاعل الاجتماعي والتعبير عن رغباته.

يتعلم الطفل بداية لغة الأم وحدها دون لغة أخرى، رغم أن عقل الطفل قد يستوعب أكثر من لغة ويمكنه من التعلم لأكثر من لغة، ولكن هناك خطورة نفسية تكمن في انشطار الانتماء النفسي الذي تتبع اللغة، إضافة إلى السطحية التي قد تصاحبه في كلتا اللغتين وما إلى ذلك من مضـــار، والمهم أن يتعلم الطفل لغة الأم فقط في هذه المرحلة، وأن يعطى فرصـــة اســـتخدام اللغة وذلك عن طريق محاورته ومناقشـــته في أمور موضـــع اهتمامه، وإعطائه فرصـــة التعبير عن رأيه، وعن نفســـه، مع إحاطة ما يقوله بالتقدير والتشـــجيع على الاســـتمرار، حتى لو لم تكن آراؤه على المســـتوى المطلوب، أو ليس لها علاقة بالموضـــوع، فالوالدان ومن حوله مهمتهم تعليمه أســـلوب الحوار وغرس الثقة في نفســـه، ولغة الطفل في هذه المرحلة تتمركز حول الذات، ويغلب عليها الســـذاجة وعدم الدقة في بداية المرحلة ولكل طفل مفاهيمه وتراكيبه اللغوية.

5- تأكيد الذات في مرحلة الطفولة

يســـعى الطفل لتأكيد ذاته ووســـيلته في ذلك العناد (لدرجة أن هذه المرحلة سميت بمرحلة العناد) فالطفل هنا هدفه تأكيد ذاته من خلال إصراره ورفضه الطاعة للكبار، كذلك نجده يسعى للاستقلال والاعتماد على نفسه كتأكيد لذاته وأنه أصبح كبيرا، وعلى الوالدين في هذه المرحلة مساعدته في ذلك وتقبل عناده بتفهم، وعدم مقابلة العناد بالعناد؛ لئلا يتثبت فيه، ويصـــبح العناد سمة في شـــخصـــيته مســـتقبلاً، ولابد أن يفهم الوالدان والمربون أن عناد الطفل ليس ســـوء أدب، ويتجنبون العقاب وخاصـــة العقاب البدني، وأن يعتمدوا بدلا من

ذلك على محاورة الطفل وإفهامه الخطأ وتعليمه السلوك القويم، فالعقاب هنا لا يعالج العصيان أو العناد بقدر ما يشعر الطفل بالقسوة والرفض له وعدم حبه، وهذا شعور قاسٍ جداً على الطفل ويعلمه الكراهية والعدوان والحقد ...الخ.

فالطفل في هذه المرحلة يحتاج للشعور بالحب ممن حوله وتقبله، وهو في أشد الحاجة إلى مساعدة الوالدين على مزيد من الاستقلالية والاعتماد على النفس، ومزيداً من تأكيد الذات والثقة في النفس، ولكي يكسب الثقة في نفسه يتم (على سبيل المثال) تكليفه بمسؤوليات بسيطة يستطيع القيام بها، مع تجنب إعطائه مهام تفوق قدرته، لأن ذلك سوف يشعره بالعجز والضعف والدونية.

6- تكوين العادات الفسيولوجية والسلوكية وتعلم المهارات

عادة مرحلة الطفولة يتعلم فيها الطفل ضبط الإخراج، واكتساب عادات الأكل (كيف، ومتى، وماذا يأكل)، وأيضاً عادات النوم (كم، متى، وكيف ينام) كما تتميز هذه المرحلة أيضا بأن الطفل يكتسب خلالها المهارات اللازمة التي تساعده على التفاعل الاجتماعي السليم، وقضاء حوائجه، وتمنحه مزيداً من الاستقلال الذي يريده، وبذلك يشعر بذاته وينعم بالتكيف الشخصي والاجتماعي، حيث يشكل اكتساب المهارات ميزة شخصية كبيرة بالنسبة للطفل، نظرا لأنها تساعده على الاعتماد على نفسه، وتؤكد له ثقته في قدرته على القيام باتصالات اجتماعية من خلال اللعب، وهكذا، فكلما اكتسب الطفل مهارات أكثر كلما كانت صلاته الاجتماعية أكبر، كما أنه لاكتساب المهارات قيمة كبيرة من حيث تأثيرها على مفهوم الذات التي تتكون في هذه المرحلة.

أما أهم المعوقات لاكتساب الطفل للمهارات؛ فيتمثل في الحماية الزائدة، أو الخوف الزائد من الوالدين على الطفل، سواء بدافع كونه الوحيد لديهم، أم بدوافع وتعقيدات

المعوقات البيئة، أو نقص التدريب (كأن تكون الأم مشـــغولة في عملها أو دراســـتها وليس هناك من يتولى تدريب الطفل) لذلك على الوالدين والمربين توفير فرص تدريب وإثراء بيئة الطفل *بما يفيده* (الجرواني، 2011 : 54-70).

وقد تبرز أهمية الأسرة في بناء شخصية الطفل من خلال العوامل التالية:

7- أهمية السنوات الأولى من حياة الفرد

يؤكد الباحثون في هذا المجال على أهمية المراحل المبكرة من حياة الطفل، نظرا لما يميزها من معدلات النمو البيولوجي والسوسيولوجي وسيكولوجي؛ حيث يصل نمو دماغ الطفل إلى 90% من وزنه في سن الخامسة من العمر وإلى 95% من وزنه في العاشرة من العمر.

ويؤكد كل من "لين وكروس" إن الشخص المفضل لدى الأطفال الذكور والإناث في سن الثانية إلى الرابعة هو الأب، حيث يفضل هؤلاء الأطفال اللعب معه، ويشير "بيل" إلى أن الأب يلعب دوراً مهماً في نمو الطفل في مرحلة ما قبل المدرســـة (حســـين، 2011: http://www.ibtesamh.com).

وتزداد معارفه في السادسة من عمره، وترتفع هذه النسبة عند سن الثالث عشرة إلى 75%، وتصل إلى 100% في سن الثامن عشرة من عمره (عبدالله، 1979: 3).

وتتبع الأسرة في ذلك وسائلها من خلال الضبط الاجتماعي والتي من بينها:

أ- عاطفة الحب: وهي التي يبديها الوالدان، خاصـــة الأم للأطفال، فيتعلمون ســـلوكيات الطاعة ويتعودون على أخلاق آبائهم، لأن الطاعة مكافأة والمعصـــية عقاب.

ب- الحساسية الاجتماعية اتجاه الآخرين: أن يعمل الطفل على احترام الآخرين وتقديره لهم حتى يجد منهم الاعتراف بحسن خلقه ونبل طبعه وطيب معشره.

ج- القدوة والأسوة الحسنة: لا يستطيع الآباء دعوة الأبناء إلى إتباع نمط من السلوك ينهونهم عنه؛ إذا لم ير الأبناء ذلك في سلوك آبائهم، فهم قدوتهم ومثالهم ومحط تقمصهم، ويقول الشاعر: "لا تنه عن خلق وتأت بمثله... عار عليك إن فعلت عظيم".

د- التبكير في عملية الضبط الأسري: كلما ضبط سلوك الأبناء مبكرا كلما كان ذلك ناجعا، لأن الأطفال في سن مبكر كالصفحة البيضاء تستطيع أن تكتب عليها ما تشاء وكما يقال:" التعليم في الصغر كالنقش على الصخر".

هـ- محبة الله والخوف منه: يجتهد الآباء في تثقيف أولادهم دينيا، لأن العلاقة مع الله هي التي تجعل من الأطفال أسوياء نفسيا واجتماعيا، لأنهم سيدركون أن هناك من لا يضيع عنده حق.

و- القانون: تعريف الأولاد بوجود القانون في كل شيء، وأن الفرد مطالب باحترام قواعد مقننة ومتفق عليها، وهي تهدف إلى تنظيم العلاقات والتفاعلات وحفظ الأفراد والممتلكات، وليس الغرض منها كيدي، وإن الجميع متساوون أمامه (بركو، 2009: 17).

ثانيا: دور جماعة النظائر في التنشئة الاجتماعية

(The role of the isotope group in socializing)

لقد أطلق الباحثون والدارسون الاجتماعيون والنفسانيون عدة مسميات لغوية على هذه الجماعة، مثل: جماعة الرفاق، الأصدقاء، جماعة النظائر. والنظير هو: المثل في كل شيء

أو الند، والنظائر جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في كل شيء، الأخلاق والأشكال والأفعال والأقوال.

أما من الناحية الاصـــطلاحية، فإن جماعة النظائر تشـــير إلى مجموعة من الأفراد المتقاربين في السن وفي الهواية والرغبات والمصالح. وتعتبر هذه الجماعة أداة ضبط، إذ أنها تؤثر على سلوك أعضائها، فالعضو فيها يخضع لمعايير الجماعة، وقد يكون تأثيره أقوى من تأثير الوالدين، وكذا تأثير المدرسة، فمن المأثورات المعروفة: "لا تسل عن المرء وسل عن قرينه إن القرين بالقرين يعرف" لما للأصدقاء من تأثير قوي على أصدقائهم.

ويمكن تلخيص أثر جماعة النظائر في التنشئة الاجتماعية للطفل فيما يلي:

- المساعدة في النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي عن طريق ممارسة الرياضة ومختلف الهويات والنشاطات الرياضية.
- تكوين معايير اجتماعية وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.
- تشجيع القدرة على القيادة عن طريق أدوار اجتماعية معينة.
- ملء الفجوات والثغرات التي تتركها الأسرة والمدرسة في معلومات الطفل.
- العمل على تحقيق أهم مطالب النمو الاجتماعي وهو الاستقلال والاعتماد على النفس.
- إتاحة الفرصة لأداء السلوك بعيدا عن رقابة الكبار.
- تعديل السلوك المنحرف لدى أعضاء الجماعة.
- وتمثل جماعة النظائر المحطة الثانية في حياة الفرد الاجتماعية بعد الأســـرة، وأهم أهدافها هو تحرير الفرد أو الطفل من ضغوط أسرته أو حتى مدرسته، كما أن الطفل يحاول أن يحرر نفســه من الاعتماد الكامل على أســرته. وغالبا ما نلاحظ أن جماعة الزملاء توفر الحمايات أو الملاذات البديلة أو غير الموجودة في، فجماعة الزملاء غالبا ما تكافئ

وتعاقب الطفل، كما أنها تشجع بصورة ملحوظة نمو أنماط سلوكية ليست متفقة مع تلك السائدة داخل المجال الأسري، لهذا يحرص كثير من الآباء على اختيار جماعة كزملاء لأبنائهم، وتحديد العلاقة بينهم ومراقبتها.

وتمتاز هذه الجماعة بالخصائص الآتية:

- تقارب الأدوار الاجتماعية.
- وضوح المعايير السلوكية.
- وجود اتجاهات مشتركة.
- وجود قيم عامة.

وتستعمل جماعة النظائر من أجل تحقيق وظيفتها في التنشئة الاجتماعية أربعة أساليب أساس: (الرشدان، 1990: 138).

1- الثواب الاجتماعي ويتجسد في القبول الاجتماعي لشخصية الفرد بإيجابياتها وسلبياتها. واحترام رأيه والاستماع إليه، وإعطاء الحرية والاستقلالية له في التعبير عن مكنوناته الداخلية، ومن صور الثواب وضع فرد معين من الجماعة في منصب قائد أو مستشار.

2- العقاب الاجتماعي: ويتمثل في الرفض أو النبذ الاجتماعي، وعدم إعطاء أهمية أو تقدير لهذا النوع من الأفراد، ويكون هذا الأسلوب بقصد التأثير على السلوك الناشز عن الجماعة وتنظيمها، ومحاولة تعديله أو تغييره، ومن صور العقاب مقاطعة أو استبعاد أحد أفراد الجماعة بسبب خرق لقوانينها ومعاييرها وعدم التفاعل معها.

3- أسلوب النمذجة: أي تقديم نموذج سلوكي يحتذى به ويتوحد معه أعضاء الجماعة.

4- المشـــاركة الاجتماعية في اللعب: والمشـــاركة الاجتماعية تتم بالاشـــتراك باللعب في النشـــاطات المختلفة كالرحلات وغيرها، فعن طريق اللعب يتعرف الطفل إلى الحدود والقواعد والمعايير المتبعة، ويتعلم الرفض والقبول للقواعد، عندئذ يتم قبوله بالموافقة المتبادلة المشتركة، حين يدرك الجميع بأن هذه القواعد ضرورية لاستمرار اللعبة، كما هي ضرورية لاستمرار الجماعة، فيرفضونها أو يقبلونها على أنفسهم.

وبهذه الأســـاليب والآليات قد يكون تأثير جماعة النظائر أقوى من تأثير الوالدين، فالطفل يسـاير معايير الجماعة أكثر من مسـايرته لمعايير المدرسـة أو الأسـرة، لأنه يتفاعل مع أقرانه ويندمج معهم ويعبر بكل حرية عن أفكاره وانفعالات، وكما يقول المثل الشـــعبي في المجتمع الليبي: (كل عين تضـــحك لجيلها)، بينما تتأثر انفعالاته في الأســـرة أو المدرســـة باشتراط جلب الرضا أو الحصول عليه من قبل الوالدين أو المعلم.

ثالثاً: دور مؤسسة رياض الأطفال في التنشئة الاجتماعية

(The role of the kindergarten institution in socialization)

يخلط الكثيرون بين دور الحضـانة ورياض الأطفال، فمنهم من يعتبرونهما مؤسـسـات رعاية تربوية واجتماعية، ويطلقون عليها جميعاً دور الحضـــانة والبعض الآخر يطلق عليها أو على الجزء الخاص بالأطفال من سـن 3-6 سـنوات (مدرسـة الحضـانة) باعتبارها مؤسـسـة تعليمية ... وفي كل الأحوال يتم النظر إلى مؤســـســـة رياض الأطفال نظرة تربوية تتفق مع خصـــائص المرحلة العمرية التي يمر بها الأطفال الذين ينتمون إليها، ويلتحقون بها بين الثالثة والسـادسـة من العمر، حيث أن الطفل منذ ميلاده إلى أن يتم الثالثة تقريباً غالباً ما يكون في ظل أسـرته، أما بعد الثالثة وقبل دخول المدرسـة الابتدائية ربما يلتحق الطفل برياض الأطفال، وانطلاقا من ذلك فإنه يمكن أن توضيح دور رياض الأطفال في الجوانب الآتية:

1- تسعى رياض الأطفال إلى تحقيق النمو المتكامل للطفل، ولذا يجب أن يشمل هدفها تهيئة الطفل وإعداده إعداداً سويًا للمراحل العمرية اللاحقة.
2- كما تسعى رياض الأطفال على توجيه وإكساب الأطفال العادات السلوكية التي تتفق مع قيم وعادات المجتمع الذي يتنمون إليه... وتنمية ميول الأطفال واكتشاف قدراتهم، والعمل على تنميتها بما يتفق مع حاجات المجتمع الذي يسعى إلى التقدم.
3- في رياض الأطفال تنمو لدى الطفل الأسس العرضية لآداب السلوك، والإدراك المعنوي، والأحاسيس والعادات والعلاقات مع الآخرين، ففي جماعات الأطفال ذات السن المتقاربة يجمع طفل رياض الأطفال أولى تجارب وخبرات العلاقات الاجتماعية، وتتكون لديه الملامح الأولى لعلاقاته المتبادلة مع المجتمع.
4- يضيف (Barnett) إلى أن هناك العديد من الدراسات الطولية التي تثبت أن التدخل المبكر لرعاية وتعليم الأطفال المحتاجين يزيد من إمكانية النجاح المدرسي لاحقاً، وهذه النتيجة الإيجابية تم الحصول عليها من دراسات طبقت في مناطق مختلفة، وبرامج تربوية مختلفة في عدد من الدول المتقدمة (Barnett 2000:68).
5- في رياض الأطفال يتم خلق وإيجاد جو متناسق بين جماعة الأطفال وتنمية احتياجات الأطفال وعاداتهم السلوكية، وتوجيههم إلى نواحي السلوك السوية التي تتفق مع قيم وعادات المجتمع السائدة في هذه السن.

والشكل التالي يوضح حاجات النمو النفسية والاجتماعية والعقلية للأطفال، ودور معلمة الروضة تجاهها:

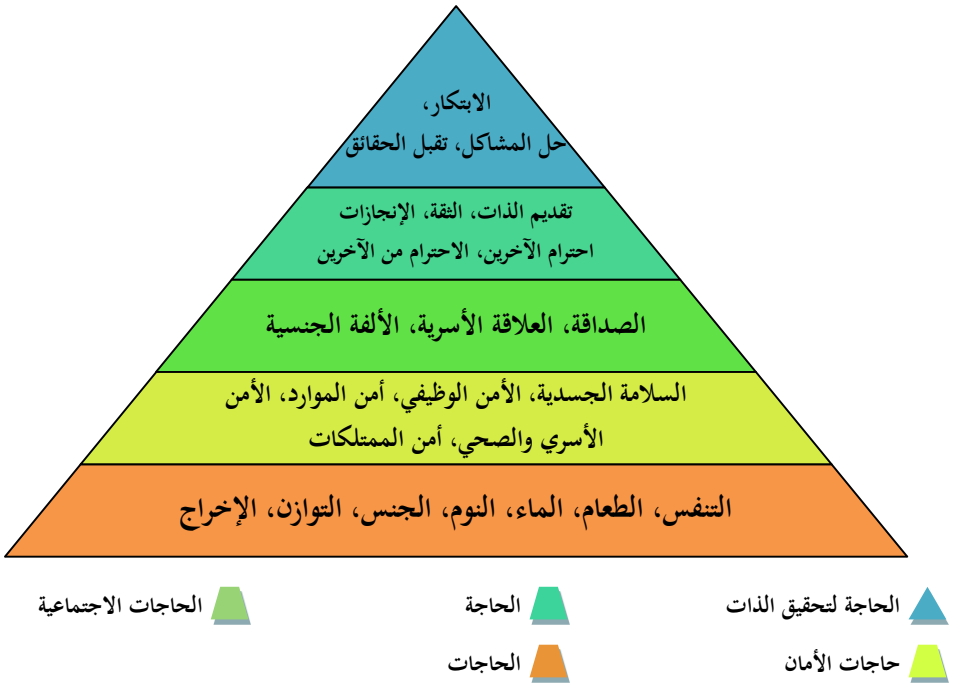

Maslow, A., Motivation and Personality Harper and Raw, N.Y, 1954.

شكل 1 يوضح حاجات النمو النفسية والاجتماعية والعقلية للأطفال، ودور معلمة الروضة تجاهها

يُنظر إلى مرحلة الطفولة بوصـــفها أهم المراحل الارتقائية التي توضـــع فيها أســـس شخصية الإنسان، وتضع فيه بذور التنشئة، وتتحدد فيها أهم الملامح العامة لهذه الشخصية من حيث الأصح أو الأسوأ، ولذا تأتي أهمية مرحلة رياض الأطفال – مرحلة ما قبل المدرسة Preschool – من كونها مرحلة تمهيد واســـتعداد وتأهب لدخول الأطفال المرحلة الابتدائية، وإذا لم يُهيئوا لهذه المرحلة قبل دخولها، فإن عملية الانتقال تعتبر في حد ذاتها صـــدمة عنيفة؛ الأمر الذي يؤدي إلى إخفاق الأطفال في المسيرة التعليمية والدراسة في المرحلة الابتدائية؛ لذا لا بدّ من تهيئة بيئة غنية ملائمة – بعيداً عن الصورة الرسمية والتقيد بأسلوب التعليم المعتاد –

لمدارك الطفل، وتوفير المناخ الاجتماعي المحفز والمشجع على الاستكشاف الذاتي، وحب الاستطلاع وتنمية القدرة على الإبداع لديه.

ومن الجدير بالذكر أن شخصية الطفل وتكوينها السليم يعتمد على إشباع حاجاته المادية والعقلية والاجتماعية والنفسية، وكل جهد لا يتناول هذه الأبعاد لا يمكن أن يحقق النمو السوي للطفل، ومن المفروض أن تقوم الأسرة بمهمة إشباع حاجات الطفل الأساس، وغرس القيم والاتجاهات والأخلاق وتنظيم سلوكه، وتضع الضوابط الاجتماعية التي تنظم علاقة الطفل بالمجتمع الذي يعيش فيه، وإذا تعذر على الأسرة القيام بهذا الدور لأي سبب من الأسباب؛ فإن مؤسسات المجتمع الأخرى تقوم بمساعدة الأسرة في القيام بهذا الدور، ويأتي على رأس هذه المؤسسات دور الروضة؛ فهي الجهة المؤهلة تأهيلاً علمياً وتربوياً للقيام بهذا.

بعد هذه البسطة عن الحاجات النفسية والاجتماعية والعقلية التي يحتاج إليها الطفل في هذه المرحلة، فإن العبء الأكبر في إشباع هذه الحاجات يقع على عاتق معلمة رياض الأطفال؛ فهي المؤهلة علمياً وتربوياً للتعامل مع هذه الفئة، ويمكنها إشباع هذه الحاجات للأطفال .. وذلك من خلال قيامها بالأدوار الآتية (الدويبي، 2010):

1- توسيع مجال النشاط والتفاعل الاجتماعي للطفل وتعليمه التعاون في اللعب داخل الروضة.
2- تخفيف حدة الخوف لدى الطفل والتهيب من المواقف الاجتماعية عن طريق إشراكه في ألعاب جماعية.
3- تدريب الانفعالات وتعلم ضبطها من خلال اللعب والمشاركة والعمل الجماعي والتعاون والتنافس.

4- زيادة المحصول اللغوي / الثروة اللغوية، وتنمية قدرة الطفل على النطق الصحيح.
5- تنمية المهارات الحركية للطفل والاستفادة من أنشطة اللعب.
6- التعزيز الإيجابي لسـلوكيات الطفل الصـحيحة، والثناء عليه أمام أقرانه، وإشـعاره بأنه موضع اهتمام كقيمة في حد ذاته.
7- العمل على رعاية النمو في كل أشكاله، وتلبية احتياجات الطفل على قدر المستطاع.
8- الاهتمام بنمو الشـخصـية ككل بكافة أبعادها العقلية والجسـمية والانفعالية والاجتماعية.
9- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال وتقديم ما يناسبهم من أنشطة وخبرات.
10- الاهتمام بملاحظة سلوك الطفل للوقوف على السلوك الشاذ أو غير السوي.
11- يجب التواصل مع الآباء لمتابعة سلوك الطفل حتى خارج أسوار الروضة.
12- تدريبه على الانضباط في سلوكه اليومي.
13- تدريب الطفل على احترام وتقدير قيمة وأهمية الوقت وكذلك القدرة على تنظيمه وعدم إهداره.
14- إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن رأيه، واحترام هذا الرأي ومناقشته فيه.
15- الابتعاد التام عن أسـاليب العقاب سـواء البدنية أو المعنوية... من قبيل الضـرب والسخرية أو التبخيس أو الازدراء أو السب أو الاحتقار أو أحكام الدونية.
16- إدارة المناخ الصفي للروضة وفق ثقافة الحقوق والواجبات، وتدريب الطفل على أن كل حق يقابله واجب، وأن الفوضى شيء مخالف تماما للحرية.

رابعاً: دور مؤسسة المدرسة في التنشئة الاجتماعية

(The role of school in socializing)

استطاع "جون ديوي" من خلال أبحاثه أن يظهر إفلاس التربية التي كانت تُدرَّس؛ لأن قوامها كان (حشو الذهن) بطائفة من المعلومات المدونة في الكتب والأسفار، وتلقين الطالب حلول المسائل بغية النجاح في الامتحان، فقد كانت وجهة النظر هذه تمثل الرأي السائد الذي يقول: "إن الطفل وجد للمدرسة"، مما جعله يضع مؤلف "المدرسة والمجتمع" يوضح فيه ربط المدرسة بالحياة وجعلها على اتصال بها، إذ أن النظرة الحديثة للتربية هي أن التربية لا تتم في المدرسة وحدها، بل في المنزل والملعب والسينما وفي ميادين الحياة، ومن واجب المدرسة أن تتدبر هذه الحقائق وتوفق نفسها للقيام بهذه المهمة الشاملة (ديوي، 1943: 9).

فالمدرسة الحديثة تمثل مجتمعا مصغرا منزها من الشوائب والأدران التي تعلق بالمجتمع الأكبر؛ ليعتاد الطفل فيها الحياة الفضلى ويتمرن على التعاون الاجتماعي والإخلاص للجماعة والوطن، وللمدرسة في وقتنا الحاضر وظائف وأدوار متعددة أهمها ما يلي:

1- الوظيفة السياسية

عادة ما يرسم كل مجتمع السياسة التي يرتضيها لنفسه، والتي تحقق له غاياته وأهدافه الإيديولوجية المسيطرة، فالسياسة هي أداة المجتمع في توجيه الطاقات والفعاليات المجتمعية نحو أهداف منشودة ومحددة، وهي بالتالي معنية بتحقيق التوازن بين جوانب الحياة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة، وتقوم بين مؤسسة المدرسة والمؤسسة السياسية علاقات جدلية عميقة وجوهرية. فالمؤسسة السياسية معنية بتحديد أهداف التربية وغاياتها وبتحديد استراتجيات العمل المدرسي ومناهجه، لتحقيق أغراض سياسية اجتماعية قريبة أو بعيدة المدى، وغالباً ما ينظر إلى المدرسة بوصفها حلقة وسيطة بين العائلة والدولة، لتحقيق الغايات الاجتماعية التي حددها المجتمع لنفسه، أو حددتها القوة المسيطرة عليه، ولذلك فإن عمل المدرسة يتغير بتغير

أنظمة الحكم القائمة والأيديولوجيات السـائدة، وكمثال لذلك فقد تحولت المدرسـة إلى أداة في يد الدولة الماركسـية لتحقيق أغراض وأيديولوجيات السـياسـة الشـيوعية. وبالمثل تحولت المدرسة في ألمانيا النازية إلى جهاز سياسي يهدف إلى تكريس مبادئ النازية، وكان عليها أن تقوم بمهمة تذويب وصـهر كافة الثقافات الاجتماعية للشـعب الألماني في بوتقة الانتماء إلى القومية الألمانية المتعالية، وفي الدولة الليبية إبان فترة حكم الرئيس القذافي اسـتغلت المدرسـة لزراعة ايديولجية الدولة في تلك الفترة.

وبهذا يمكن اختصار أهم الأدوار السياسية التي تلعبها المدرسة فيما يلي:

- التأكيد على الوحدة القومية للمجتمع.
- ضمان الوحدة السياسية.
- تكريس الإيديولوجية السائدة.
- تحقيق الوحدة الثقافية والفكرية.
- أدوار أخرى كالتعارف والزواج والاختلاط .

وبحسب رأي (جون ديوي) فإنه يمكن اعتماد العوامل التالية لخلق تربية حديثة:

- ربط المدرسة بالمجتمع، أي أن تكون المدرسة عبارة عن مجتمع مصغر خالٍ من الشوائب التي توجد في المجتمع الكبير، فالمدرسـة تلعب دورين أسـاسـين: أولهما نقل التراث بعد تخليصه من الشوائب، وثانيهما إضافة ما ينبغي إضافته لكي يحافظ المجتمع على حياته، أي تجديد المجتمع أو تغييره بشكل مستمر.
- التربية ليست عملية إعداد للمستقبل بل إنها عملية حياة، يجب أن ترتبط بالحاضر وليس بالمستقبل، ولذا فالنمط القائم الآن في مدارسنا العربية يظلم المتعلم ويضحي بحاضره في سبيل مستقبل غامض.

- الاهتمام بالعمل كعملية تربوية، إذ لابد من العناية بالأعمال اليدوية والمهنية في المنهج الدراسي، وذلك بالرفع من مكانة الموضوعات المهنية والعملية والنظر إليها على قدم المساواة مع الموضوعات النظرية.
- الربط بين التربية والديمقراطية ربطاً قوياً، "فليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة، وإنما هي في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعية والخبرة المشتركة المتبادلة" (ديوي، 1943: 19)، على حد قول "ديوي" المتخصص في التربية: المدرسة الديمقراطية يعيش فيها المتعلمون والمعلمون والعاملون الآخرون كلهم زملاء متعاونون لتحقيق هدف مشترك، يخدم الجميع، أي أن المدرسة تعتبر البيت الكبير للطالب والمدرس والعامل، إذ يجد فيها نفسه.

2- الوظيفة الاقتصادية

يكمن العامل الاقتصادي في أصل نشوء المدرسة، وخاصة في مرحلة الثورة الصناعية الأولى، التي تطلبت وجود يد عاملة ماهرة قادرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة، إذ كان على المدرسة أن تلبي حاجات الصناعة النامية من اليد العاملة المؤهلة، ومازال دور المدرسة قائم بتلبية حاجات التكنولوجيا الحديثة من الفنيين، والخبراء، واليد العاملة.

لقد بدأت المدرسة ترتبط تدريجيا، وعلى نحو عميق مع المؤسسات الاقتصادية الإنتاجية، ويتجسد ذلك عن طريق المدارس الفنية والمهنية، التي تتصل بشكل مباشر بعجلة الإنتاج الصناعي المتطور، وغني عن البيان أن المدرسة تلعب دورا مهما في زيادة الدخل القومي، وتحقيق النمو الاقتصادي في البلدان المتطورة والنامية على حد سواء، وزيادة الاستثمار البشري، والقوى العاملة، وتشير دراسة " دونيزون" التي أجريت في الولايات

المتحدة الأمريكية عام 1962 أن 23% من نسبة النمو الاقتصادي في أمريكا يعود إلى تطور التعليم.

3- الوظيفة الثقافية

تعد الوظيفة الثقافية من أهم الوظائف التي تتولاها المؤسسات المدرسية، فالمدرسة تسعى إلى تحقيق التواصل والتجانس الثقافيين في إطار المجتمع الواسع، وتأخذ وظيفة المدرسة الثقافية أهمية متزايدة وملحة كلما ازدادت حدة التناقضات الثقافية والاجتماعية بين الثقافات الفرعية القائمة في إطار المجتمع الواحد: كالتناقضات الاجتماعية، والعرقية، والجغرافية، وهي التناقضات التي يمكن أن تشكل عامل كبح يعيق تحقيق وحدة المجتمع السياسية، ومدى تواصله الثقافي، وتفاعله الاقتصادي. وقد تجلت أهمية هذه المسألة في مرحلة نشوء وتكون الأسواق القومية في أوروبا في مرحلة الثورات البرجوازية، وهي الثورات التي اقتضت وجود ثقافة واحدة لمجتمع اقتصادي واحد، كما لعبت المدرسة ومازالت تلعب دورا يتميز بالأهمية في تعزيز لغة التواصل القومي بين جميع أفراد المجتمع وتحقيق الوحدة الثقافية عبر تحقيق التجانس في الأفكار والمعتقدات والتقاليد والتصورات السائدة في المجتمع الواحد.

4- الوظيفة الاجتماعية

تعتبر المدرسة صورة مصغرة للمجتمع، وبما أن ثقافة المجتمع قد تشعبت وتعقدت ومتطلبات الحياة قد تزايدت، فإن كثيرا من أفراد المجتمع وجدوا أنفسهم يغادرون منازلهم يوميا للعمل في المصانع والمصالح التجارية والوظائف الحكومية وغيرها من الوظائف، وما نتج عنه من شطر للعائلة وانقسامها وإهمالها لدورها في التنشئة، مما جعل المدرسة تأخذ دورها وقيمتها

في التنشئة، بل ويتم التركيز عليها في مواقع كثيرة بأن تقوم بتنشئة الأجيال وتطبيعهم بما يفيد المجتمع.

بل تبين أيضـــا أن قوة المجتمع واســـتمراره لا تعتمد فقط على القراءة والكتابة وتعلم الفنون والإعداد لمعترك الحياة، إنما يعتمد ذلك الاســـتمرار وتلك القوة في البناء الاجتماعي على السلوكيات والاتجاهات والقيم؛ التي تغرسها المدرسة في الناشئة لخدمة الوطن والمجتمع، والانتماء إليه والتضحية في سبيله، واحترام العادات والتقاليد والنظم والتعليمات التي يرتضيها المجتمع.

وبناءً على ذلك فإن المدرســـة مطالبة بأن تعمل على التكيف الاجتماعي والثقافي للنشء، ليصـــبح الأفراد عاملين ناجحين في نهضـــة مجتمعهم، كما تمكنهم من توســـيع دائرة معارفهم وثقافتهم ليســـتطيعوا القيام بالأدوار التي تنتظرهم في الحياة العامة، وبهذا تكون المدرسة بحق الوكالة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال، والأجيال الشابة، حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحيا ومعرفيا وسلوكيا ومهنياً، وإن كانت المدرسة لا تقوم بدورها إلا إذا توفرت الشروط الآتية:

1. تعاون البيت والمدرسة على التربية والتوجيه.
2. التوفيق بين أعمال الطفل الاجتماعية وبين أعمال المدرسة.
3. وجوب إحكام الرابطة بين المدرسة والأعمال الإنتاجية في البيئة.

ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق العناصر الآتية:

أ- دراسة الطفل وميوله ورغباته وجعل ذلك أساساً في التعليم.

ب- التوجيه غير المباشر وغير الشخصي عن طريق الوسط الاجتماعي.

ج- التفكير والتحليل.

د- فهم معنى الأشـــياء في حياة الطفل دون الانهماك في الفعاليات العضـــلية والتسميعات الحسية.

هـ- الأخذ بالطريقة بمعناها الواسع لا بمعناها الضيق.

و- إتاحة الفرصـــة للأطفال أن يجمعوا الحقائق ويرتبوها ويســـتنبطوا منها النتائج، أي كما يقول "ديوي" يصبح الطفل هو مركز الجاذبية (ديوي، 1943: 11).

خامساً: دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية

(The role of the media in socializing)

تعددت الأبحاث التي تحاول اكتشـــاف أثر وســـائل الإعلام من (إذاعة، تلفزيون، سينما، كتب، مجلات) في التنشئة الاجتماعية، وقد دلت نتائج أغلب تلك الأبحاث الحديثة على أن الأطفال يقلدون ما يشاهدون من عنف وعدوان في القصص السينمائية والتلفزيونية، وأن مواقف القلق التي تعتمد عليها أحيانا بعض تلك القصـــص في جلب الانتباه تثير في نفوس الأطفال أنواعا غريبة من الخوف قد يتطور بعضها إلى القلق العصبي المرضي.

إضـــافة إلى إشـــاعة ســـلوك اللامبالاة وتشـــويه القيم التي تعتمد عليها تربية أجيال المســـتقبل، وذلك من خلال مشـــاهد أبطال القصـــص الســـينمائية والتلفزيونية وهم يحتســـون الخمر، ويدمنون الشـــراب في مواجهتهم للمواقف العصـــبية التي تمر بها أحداث القصـــة، أو يعتدون على غيرهم أو يقتلون آخرين.

ما يعني أن إعادة توجيه هذه الوسائل الإعلامية، نحو ترشيد مضامين ما تبثه، يمكنها من أن تصبح أداة فعالة وقوية في إرساء القواعد الخلقية والدينية في مجتمع سليم، والمساهمة في تحفيز العقل والتفكير والابتكار، بما تثيره من أسئلة، وما تضيفه من خصوبة في الخيال. بدلا

من أن تستمر فعاليتها في الخانات المصنفة بالسالب، وذلك بالنظر إلى التأثيرات المستهدفة من بثها والمتمثلة في الآتي:

1. إحاطة الناس علماً بموضوعات ومعلومات متعددة في جميع نواحي الحياة.
2. إغراء الناس واستمالتهم وجذب انتباههم لموضوعات وسلوكيات مرغوب فيها.
3. إتاحة فرصة للترفيه و الترويح.

وينقسم دور الإعلام إلى:

أ- دور الإذاعة والتلفزيون في التنشئة الاجتماعية

تلعب الإذاعة والتلفزيون دور وسيلة الإعلام الأكثر بروزا في التنشئة الاجتماعية للأفراد، خاصة الأطفال؛ إذ يبدأ الأطفال مشاهدة التليفزيون قبل استطاعتهم القراءة وقبل التحاقهم بالمدرسة، ويقضون ساعات طويلة في مشاهدة برامج التليفزيون التي لا تقل عن 45 دقيقة كل يوم من أيام الأسبوع عند طفل الثالثة من العمر، وتطغى البرامج المفضلة عند الأطفال خلال سنوات ما قبل المدرسة إلى توطين تلك البرامج المتعلقة بالحيوانات وشخصيات الكرتون أو العرائس، وتتسع اهتمامات الأطفال خلال السنوات الدراسية الأولى لتشمل المغامرات الموجهة للطفل.

وقد يرجع ذلك إلى أن طبيعة الإذاعة والتلفزيون لا تحتاج إلى الاستقرار الكامل الذي يميز وسائل الإعلام الأخرى، نظرا لانتشارها الواسع في جميع الأوساط أكثر من غيرها، الآمر الذي يمكنها من أن تكون الوسيلة الإعلامية المباشرة المؤثرة في التنشئة الاجتماعية للفرد والجماعة، بالسلب أو الإيجاب، فمن إيجابياتها أنها قد تكون أداة للتحديث في المجتمعات النامية، والرؤية النقدية المقابلة التي تعمل على مواجهة الإعلام الأجنبي الذي يعد نوعاً من الاستعمار الثقافي الذي يفرض القيم الغريبة؛ فالتلفزيون يلعب دوراً مزدوجاً؛ فهو يمكن أن

يكون أداة للضبط الاجتماعي وأداة للتحرر في الوقت ذاته، كما أنه يمكن أن يعبر عن الهيمنة الكونية للغرب، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون وسيلة لإنعاش وإحياء الثقافات المحلية، ذلك من خلال تأثيرها على شـخصـية الإفراد وأنماط سـلوكهم، وإمدادهم بالكثير من المعلومات والمعارف، وتعليم الأطفال بعض الأساليب اللازمة لمواجهة المواقف في الواقع المعاش.

مما يعني أن التلفزيون مؤسـسـة اجتماعية وثقافية، قبل أن يكون منتجاً وموزعاً للإعلام؛ فهو يقيم الاتصـال بأفراد المجتمع ويعيد (إنتاج الثقافة)، أو يقوم بتوزيع سـلع ثقافية عبر إقامة علاقات اجتماعية مع المتلقي؛ وذلك من خلال تعزيز الذاتية الثقافية وتدعيم الثقافات الوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الأخرى، والسـعي لغرس روح المبادرة والاعتماد على النفس وروح الابتكار والإبداع والتأكيد على بعض القيم، مثل روح الجماعة والتعاون والمشـاركة وإتاحة الفرصـة لكل التيارات الفكرية والثقافية السـائدة في المجتمع للتعبير عن ذاته بشـكل متواصـل؛ بما يخدم مصـلحة الشـعب والأمة، وتنظيم حوار داخلي حول موضـوعات تتعلق بقضـايا الشـباب وتوسـيع مداركهم الذهنية، وتعليمهم الطرق التحليلية والمنطقية (في علاج الظواهر) والشـعور بالفكاهة ومشـاعر الصـداقة والمسـاعدة المتبادلة بين المجموعات والأفراد.

فتحت تأثير دخول التلفزيون إلى المنازل واتساع المساحة الزمنية المخصصة للبث، مع إمكانية التحكم والتنقل بين القنوات الفضائية، أخذت العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً مختصراً أو ضيق النطاق، وأصبح هذا الضيف يفرض نفسه على سهراتها العائلية الحميمية، وكذلك إشـرافها على تنشـئة أطفالها، من خلال ما يلعبه من دور مثل ثالث الأبوين، وربما أولهم، بالنسبة للطفل، فإن الأبوين كثيراً ما يدفعون الأطفال في هذا الاتجاه تهرباً من المسؤولية الملقاة على عاتقهما، أو لإلهاء الأطفال وضـمان هدوئهم؛ وبذلك تضـاف إلى هذا الجهاز وظيفة

أخرى هي وظيفة جليس الأطفال، حيث يقضي الأطفال ساعات طويلة أمام الشاشة في مراحلهم العمرية المبكرة، وفي المرحلة الابتدائية والمتوسطة، وتمثل التسلية الدافع الأقوى لمشاهدتهم للتلفزيون، وبما أن الطفل يكتسب الكثير من مهاراته من خلال الترفيه، فإنه على الرغم من أنه لا ينظر إلى التلفزيون مثل مصدر للمعلومات والتوجيه والتعليم، وعلى الرغم أيضا من أنه لا يشاهد التلفزيون طلباً للمعرفة، ولا يجلس أمامه بقصد التعلم، وكذلك لا ينظر إلى البرامج التعليمية في التلفزيون وكأنها اعتداء صريح على وظيفتها الرئيسة وهي الترفيه، فإن البحوث الإعلامية تؤكد أن الأطفال يتعلمون من برامج التسلية والترفيه أكثر مما يتعلمون من البرامج التعليمية.

وبما أن التلفزيون أصبح يلعب الدور الأكبر في التنشئة الاجتماعية للأطفال منذ الشهور الأولى في حياتهم، حيث ينمو ويتطور مستوى إدراكهم من خلال مصاحبة الإذاعة المرئية؛ بما يعرضه من برامج خلقية أو فنية أو فكاهية أو طبيعية... في البيوت والمستشفيات ومحطات النقل العام...، فلا بد من تخصيص المزيد من الاهتمام بالبرامج الموجهة للأطفال، من حيث تخصيص ساعات محدودة لمشاهدة الإذاعة المرئية، والتفريق بين ما يعرض للصغار وما يعرض للكبار. ولعل الإعلاميين معنيون بالسعي للارتقاء بهذه الأمة عن طريق هذه الآلة الإعلامية، وأن يكونوا مع هذه الأمة في ضميرها وتوجهاتها وفكرها في سبيل تكريس المعاني الخيرة وتعميقها (الجرواني، 2011).

ب- دور السينما في التنشئة الاجتماعية

رغم أن الإذاعة المرئية أصبحت تطغى على دور السينما ذلك أن الأفلام أصبح الناس يشاهدونها داخل بيوتهم وبطريقة مجانية؛ إلا أن مازالت تلعب السينما دوراً مهما في عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية في بعض الدول، بما تحدثه المشاهد التمثيلية من جاذبية

خاصـة تشـد انتباه الصـغار والكبار، وتخاطب حاسـة السـمع والبصـر والعاطفة والوجدان، ويضـفى البعد الحركي على ما تعرضـه من أحداث تشـجع المشـاهدين على التعاطف والتوحد مع الشخصيات؛ بحيث يأسفون لأحزانهم ويشاركونهم انتصاراتهم، وبهذا تصبح السينما أيضاً من المؤسـسـات أو الوكالات المهمة، التي لها دور لا يمكن إهماله في إحداث تنشـئة الطفل الاجتماعية.

ج- دور المطبوعات في التنشئة الاجتماعية

تلعب الكلمة المقروءة في الصـحف والكتب والمجلات دوراً مهماً في التنشـئة الاجتماعية للطفل، وذلك بمسـاعدته على زيادة وتنمية خبرته الحاتية وإضـافة معلومات جديدة، وتقترح له دوراً سـلوكياً أوسـع، وتسـاعده على التمييز بين ما هو رديء و ما هو جيد، وتسـهم في نمو القيم لديه؛ أي أن ما يقرأه الطفل يؤثر في إدراكه للعالم، ويسـهم في إشباع الحياة التخيلية لديه.

وقد عنيت بعض دور الطباعة بطباعة سـلسـلة قصـص وكتيبات؛ تتضـمن قصـص مسـلية قصـيرة وبكلمات بسـيطة، تحاكي عقلية الطفل، وقد تأتي أحيانا على هيئة محاكاة لحيوانات أو قصـص خيالية، فيها الدعابة والحكمة، ولعل أكبر مثال على ذلك كتاب: "كليلة ودمنة" والذي صممه مؤلفة بحيث يكون متعة وتسلية للصغار وحكمة وعبرة للكبار، فالكتاب سهل الاحتفاظ به والرجوع إليه في أي وقت، إضافة إلى كونه يناسب كل الأذواق، لأنه متنوع ومتدرج في صعوبته، فهناك كتب تناسب الأطفال تطغى عليها الرسوم المصحوبة ببعض الكتابات التي تدلل عليها وتتدرج إلى أن تصل للكتب المتخصصة والفلسفية، وهي بذلك تساهم في تنشئة وتعليم الأطفال مهارات وسلوكيات معينة.

د- دور الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية

الانترنت أصبح أهم فاعل تكنولوجي في العصر الحديث، إذ لم يشكل وسيطاً اتصالياً فحسب، بل هي أكثر الوسائط الاتصالية راديكالية بقلبها لمفاهيم الزمان والمكان والفضاء والتواصل واستحداثها لمفاهيم واطر جديدة للعلاقات الإنسانية تؤثثها العوالم الافتراضية.

فمع تطور العالم وتزايد ابتكاراته حلت الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في المرتبة الأولى في التأثير في تشكيل عقلية وسلوك البشر، وذلك لسرعتها وسهولة انتقالها وصعوبة السيطرة عليها، في الآونة الأخيرة انتقلت الشبكات الاجتماعية إلى أجهزة الموبايل وتحول الموبايل إلى جهاز ربط وتفاعل بين مجموعات من الأصدقاء وأصحاب الشبكات الاجتماعية المختلفة، وأصبح جماهيري مجتمعي يقتنيه الجميع ويحرك عاطفة الجميع، بل واستغل حتى بطريقة إيديولوجية لتحريك مشاعر أفراد المجتمع وتفاعلهم ولعل أكبر مثال على قوة تأثيرها في ما حدث في دول الربيع العربي.

ويعرف الإعلام الاجتماعي بأنه مجموعة خدمات مختلفة تقدم عبر شبكة الإنترنيت تسمح للفرد بتكوين ملف شخصي رسمي أو غير رسمي وإتاحة الفرصة له للدخول إلى أسماء أشخاص متاح لهم بالتواصل والمشاركة معه، ومحددا في ملفاتهم الشخصية والرسمية، أما المواقع والشبكات الاجتماعية فيعرفها (Balas): "بأنها برامج تستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الانترنت، تمكن الأفراد من الاتصال ببعضهم البعض للعديد من الأسباب المتنوعة" .(Alrashad, 2010: 11).

هذه التكنولوجيا الحديثة فتحت آفاقا جديدة وأحدثت تغييرات عميقة في مختلف جوانب الحياة الإنسانية والثقافية والفكرية والاجتماعية، حيث جسدت مفهوم القرية الكونية كما يقول مارشال ماكلوهان، وأصبحت الانترنت من بين أكثر مظاهر تكنولوجيا الاتصال

الحـديثـة تجلياً، فقـد نجحـت في فتح فرص جـديـدة أمـام الأفراد للتفـاعـل، ونقـل همومهم ومشاكلهم من خلال بناء علاقات اجتماعية افتراضية دون معرفة مباشرة، فأصبح الأشخاص يقضون وقتا كبيرا مع آخرين يتبادلونهم نفس الاهتمام ويشاركونهم نفس الفضاء، وتغير مفهوم الاتصـال التقليدي من مرسل إلى جمهور، وأصبحت الرسالة من جمهور إلى جمهور، وأتاحت تقنية التواصـــل الاجتماعي عبر الإعلام الاجتماعي فرصـــة تبادل المعلومات للجمهور مع بعضـــهم البعض بدلاً من أخذها من وســـائل الإعلام مثل مصـــدر تقليدي للمعلومات والأخبار، وقد زاد الاهتمام وبدأ التنافس، وكثرت مواقع التواصل الاجتماعي، والتي من أبرزها في منطقتنا العربية المواقع الآتية:

1- موقع (الفيسبوك Facebook) مؤسس هذا الموقع هو (مارك زوكربيج)، أسسه في فبراير سـنة 2004 عندما كان طالبا في السـنة الثانية بجامعة هارفارد، ورغم أنه في البداية كان مقتصرا على طلاب جامعته؛ إلا أنه أصبح في فترة وجيزة من أشهر المواقع الاجتماعية، وأبرز الوسائل التي أحدثت حراكاً سياسياً واجتماعياً في الفترة الأخيرة، وأصبح المتنفس الأســاس للشــباب للتعبير عن آرائهم بكل حرية، وبعيدا عن الرقابة، خاصــة في ظل الأنظمة الدكتاتورية التي تمارس تكميم الأفواه، وفي الدولة الليبية يجد هذا الموقع إقبالا شبابيا كبيرا واستعمالا رائجاً دون المواقع الأخرى، مما يجعل له تأثيرا قوياً في توجيه سلوك النشء لسيطرته على عقولهم.

2- موقع "تويتر" وقد أسـس في أوائل عام 2006 كموقع للشـبكات الاجتماعية والتواصـل، ولا يختلف كثيرا عن الفيس بوك، إلا أن نشطاه في ليبيا عددكم بسيط، نظرا لأن الغالبية تتواصل عبر الفيس.

3- موقع "واتســـاب" هذا البرنامج يحتاج إلى جهاز تواصـــل أكثر تطورا، إلا أن من مزاياه تعامله مع الأرقام والأسماء التي في قائمة الجهاز، مما جعله ســـريع الانتشـــار وكثير الاستعمال، فهو يوفر اتصالات مباشرة عبر العالم شبه مجانية، ويُمكن المتصل من إرسال الصور والفيديوات والرسائل النصية بجودة عالية ودون تكلفة تذكر.

ويمكن هنا أن نوضـــح الدور الذي يمكن أن تلعبه تجليات الانترنت في التنشـــئة الاجتماعية لأفراد المجتمع (نور الدين وعائشة، 2015/12: 341-343):

- تمكن الفرد من صناعة المحتوى السياسي واستقباله وإرساله عن طريق الهواتف المحمولة ومختلف تقنيات الاتصال.
- إتاحة القدرة على المشاركة السياسية من أي مكان وفي أي وقت، ومتابعة الحدث من مكان حدوثه مباشرة وبمرونة ويسر.
- المشاركة الشخصية حيث توفر الانترنت القدرة على القيام بأعمال فردية تطوعية غير خاضعة لآي توجيهات من أحد.
- يمكن أن تقدم من خلالها الحكومة الخدمات بشكل سريع وديمقراطي ودون أي تكلفة تذكر، كما يمكن استخدامها كأداة تعليمية وتوعوية في جميع المجالات.
- تســهل عملية جمع المعلومات في حالة محاســبة الحكومة أو مســاءلتها، ونشــر المادة الإعلامية لنقدها.
- تعمل الانترنت كآلية ديمقراطية من خلال إتاحتها لطرق ميسرة في الممارسة السياسية كالتصويت والانتخاب وإجراء المشاورات وخلق تحالفات وغيرها.

وبهذا يتضــح أن وســائل التواصــل الاجتماعي أداة فعالة وقوية في إرســاء القواعد الخلقية والدينية لمجتمع فاضـل، وإكسـاب معايير السـلوك السـوي، والسـمو بالعقل وتحسـين

تفكيره وابتكاره، فكلما كانت هذه الوسائل الاجتماعية مستخدمة بطريقة مدروسة في خدمة وتنشـئة الطفل تنشـئة اجتماعية بناءة خلال تفاعله معها، كلما كان ذلك يسـاهم في خلق جيل ناضج.

ورغم المزايا العديدة للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي إلا أن لها سلبياتها إذا لم تســتخدم بطريقة علمية من بين ســلبياتها وتأثيراتها الســلبية زيادة الإدمان على الانترنت، والارتباط أكثر بالحياة الافتراضية، مما أعطى وقتا أقل للأشخاص الآخرين في حياتهم الواقعية، مما أصـبح يهدد العلاقات الحيوية السـائدة في المجتمع، ويشـكل خطورة على متانة العلاقات الأسرية وتماسكها، ويعزلها اجتماعيا (نومار، 2012: 55- 62).

سادساً: دور المؤسسات الدينية في التنشئة الاجتماعية

(The role of religious institutions in socialization)

تقوم دور العبادة بدور فعال في تربية الطفل وتشكيل شخصيته وتنشئته الاجتماعية، حيث تقوم على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمدهم بإطار ســـلوكي معياري، لتنمية الضمير وتوحيد السلوك الاجتماعي.

أي أن الدين يرســم أطراً عامة واضــحة في توجيه الأدوار المختلفة لأفراد الأســرة في الاعتناء بأطفالهم وتنشئتهم بطريقة سليمة، بمعنى أن تأثير هذه المؤسسة يتم بشكل تراكمي تاريخي أو بشكل مقصود لتوجيه الناشئين، وهو تأثير أكبر من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، وخاصـة في المجتمعات الإسـلامية حيث "يفوق تأثير المؤسـسـة الدينية كل التأثيرات

المختلفة في المؤسسات التربوية الأخرى، كالأسرة والمدرسة، والشارع، والإعلام، سواء كان التأثير أساساً أو ثانوياً" (الحارثي، 1999: 10).

ويأتي هذا الدور من المساجد والكنائس ومختلف دور العبادة وما يرتبط بها من مؤسسات أو أشخاص يعلّمون الأسس الدينية، وما يتعلق بها من أفكار اجتماعية اقتصادية تاريخية ثقافية إنسانية، إذ "تتميز المساجد والكنائس بمكانة عظيمة في الدول العربية، لأن الدين يؤدي فيها دوراً كبيراً في حياة الناس" (أبراش، 1998: 221)، كما أن المؤسسات الدينية اليهودية لها تأثيرها الأكبر في التربية وخصوصاً في التركيز على الرموز اليهودية التي تعطي لليهود هوية اجتماعية وسياسية متميزة، في الأماكن التي بها نسبة كبيرة للمعتنقين للديانة اليهودية، خلال الصلوات والتجمعات التي تقام للتأثير في الشباب والرأي العام، والتوجيه نحو مفاهيم معينة.

والمسيحية ممثلة عادة بالفاتيكان باعتباره مهد المسيحية وله دورا في التأثير على الرأي العام الأوروبي في قضايا تهم أوروبا وبقية المسيحيين في العالم. أما في العالم الإسلامي، فيظهر دور المؤسسات الدينية في التربية بوضوح لكون الدين يدخل في النسيج الاجتماعي للمسلم، وغالباً ما تكون المؤسسات الاجتماعية الأخرى (كالمدرسة والأسرة والإعلام) مقيدة بالتعاليم التي تلقّنها المؤسسات الدينية، ولا تشذ عنها.

ومن هنا يمكن القول أن دور العبادة تعمل على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمد الفرد بإطار سلوكي معياري، فيتم توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين الطبقات وترجمة التعاليم الدينية إلى سلوك عملي، ذلك كونه مرتبطاً بالعقيدة وله قدسية خاصة وطقوس خاصة، تجعل من الفرد يعتقد في أشياء تصبح راسخة لدية وصعب أزاحتها،

ولعل الأمثلة الكثيرة التي نراها في مجتمعنا على ذلك من التمســـك بمعتقدات يضـــحي من أجلها معتقديها بحياتهم (العابد، 2010: 76).

وبهذا تؤدي دور العبادة وظيفة حيوية في حياة الأفراد والجماعات بتأكيدها للقيم الخلقية والروحية ودعوتها إلى الاتصال بالله والخضوع لشرعه، ولا يخفى ما لهذا من أهمية في نمو الأفراد وتنشئتهم على معتقدات راسخة ويتلخص دور مؤسسات العبادة في عملية التنشئة الاجتماعية للطفولة فيما يلي:

1- تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية، التي تتحكم في السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع.
2- إمداد الفرد بإطار سلوكي مرتضى ونابع من تعاليم دينية .
3- تنمية الضمير عند الفرد والجماعة.
4- الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية إلى سلوك عملي.
5- إكساب الطفل قيما واتجاهات ومعارف دينية واجتماعية وخلقية وثقافية متنوعة.
6- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

وقد يكون ذلك راجعًا حســـب دوركايم Durkheim إلى ما تحققه الشـــعائر الدينية والحفلات المراســـيمية من أنموذج للمعنى والتماســـك الاجتماعي، من خلال أدائها لأربعة وظائف:

- تهيئ مراسم الحفل الفرد للحياة الاجتماعية، من خلال فرض الطاعة عليه.
- تقوي الشـــعائر الدينية من تماســـك المجتمع وترابط العلاقات بين الأفراد والمجموعات.
- تجدِّدُ الشعائر الدينية لدى ممارستها التزام الفرد بتقاليد المجتمع.

- يشـــعر الفرد بالراحة والطمأنينة والحيوية والحماس الاجتماعي أثناء مشـــاركته بالحفل الديني (الخريجي، 1990: 100- 105).

وتتبع دور العبادة في غرس قيمها الدينية التي لها كبير الأثر في التنشـــئة الاجتماعية للطفل الأساليب النفسية والاجتماعية مثل:

- الترغيب والترهيب والإرشاد العملي.
- التكرار والإقناع والدعوة إلى المشاركة الجماعية.
- عرض النماذج السلوكية المثالية.

سابعا: دور تشريع حقوق الأسرة والطفل في التنشئة الاجتماعية

(The role of family and child rights legislation in socialization)

فرض واقع الحياة الحديثة المعاصـــرة وتعقيداتها إدراج الأســـرة والطفل في التشـــريع الدستوري المعاصر، نظراً لأهمية هذا الموضوع، ولأن كثيراً من معايير أخلاق الطفل ترجع إلى التنشئة والبيئة التي عاش فيها من جهة، وإلى الوسط الذي يترعرع فيه الطفل من جهة أخرى، وبما أن عالم اليوم تحكمه القوانين والدســـاتير، فلا تضـــمن الحقوق إلا عندما تتوافق عليها الدولة وتسن لها لوائح وقوانين تضمن تطبيقها، خاصة وأن الطفل والمرأة هم الحلقة الأضعف التي إذا لم تحميها الدولة ستستهدف وتضيع حقوقها، والطفل عندما يعيش في دولة تضمن حقوقه سيكون ولاؤه وانتماؤه لها، و سيتنشأ على حبه لوطنه ومجتمعه.

ولضمان حقوق الطفل نرى أن أغلب الدساتير إذ لم يكن جميعها خاصة في الدول الغربية اهتمت بالطفل وتنشئته، ولعل الدستور الفرنسي كان سباق إلى هذه النقطة إذ نص في عام 1791م على أن تنشـأ مؤسـسـة رئيسـة عامة تعتني بالأطفال الذين فقدوا أماكنهم، وكذلك تســـهيل مشـــاركة المعاقين في البحث عن عمل، والأشـــخاص الذين لا تؤهلهم

أوضاعهم الصحية للعمل والأشخاص الذين فقدوا أعمالهم، وتقرر بعد مضي قرن ونصف من صدور الدستور السابق أي عام 1946م إضافة النص الآتي: "تضمن الأمة للفرد والأسرة الشـــروط الضـــرورية لتطورها، وتكفل الأمة الجميع، وبالذات الأطفال والأمهات والمســـنين والعمالة، والحفاظ على الصحة والضمان المادي والراحة لكل كائن حي يفقد إمكانية العمل بسبب العمر أو الحالة المعنوية أو البدنية أو الوضع الاقتصادي، وحصول الأطفال والكبار على التعليم".

تبعه في ذلك دستور ألمانيا سنة 1919م والذي اتفق على ضمان حقوق الأطفال، وبأن الزواج أســاس الحياة الأســرية، ويقع على عاتق الدولة والمجتمع مهمة الحفاظ على نقاء وصحة وحماية الأسرة، وبأن تربية الجيل الصاعد هو الدين السامي والحق الطبيعي للوالدين، وذلك بهدف إعداد الطفل إعدادا جيدا مادياً وروحياً ونوعياً، وتراقب الدولة الاهتمام بالطفل بشكل عام.

ووصل الأمر في دستور اليونان (1975م المادة 21) "إلى أن الأسرة أساس استمرار وتطور الأمة، ويقع الزواج والأمومة والطفولة تحت رعاية الدولة، وتتمتع الأســرة الكبيرة العدد والمعوقون من الحرب وغيرها من الكوارث والأيتام والأشـــخاص المتضـــررون من المصـــائب بالحماية من قبل الدولة"، وما أحوجنا إلى مثل هذه المادة في دســـتورنا بالدولة الليبية والذي مضى عليه العام السابع وصرفت عليه الملايين ولم ير النور بعد.

أما عربياً كان دستور سوريا أول دستور عربي ينص صراحة على حقوق الطفل إذ نص بما يلي: "الطفولة في حمى المجتمع، وتربية الأولاد حق طبيعي للآباء والأمهات وواجب اجتماعي عليهم، تسهر الدولة على القيام بهذه المهمة" (م20، دستور سنة 1953). وحذت كذلك أحكام دســـتوري 1969، 1973، حذو دســـتور 1953 على أن الأســـرة هي خلية

المجتمع الأســـاس وتحميها الدولة، وتحمي الدولة الزواج وتشـــجع عليه وتزيل العقبات المادية والاجتماعية التي تقوم فيه، وتحمي الدولة الأمومة والطفولة وتكفل الدولة كل مواطن وأســـرته في حالات الطوارئ والمرض والعجز واليتم والشيخوخة "المادة 4 من دستور 1969 السوري"، ثم أضيف في دستور 1973 إلى ما تقدم: "وترعى الدولة النشء والشباب وتوفر لهم الظرف المناســـب لتنمية ملكاتهم"، وتبعتهم في ذلك أغلب الدول العربية، إذ نجد الجزائر مثلا في دستور (1963 المادة 17) نص على: "أن تحظى الأسرة بحماية الدولة والمجتمع، وتحمي الدولة الأمومة والطفولة والشيخوخة بواسطة مؤسسات ملائمة". أما في دستور العراق (1989): أعتبر الأسـرة نواة المجتمع وتعمل الدولة لتنشـئتها بموجب القيم والمفاهيم السـامية في المجتمع العراقي المستمدة من تراثه وقيمه الحضارية، ومن القيم الأصلية العريقة في تراث الأمة العربية، وتكفل حمايتها ودعم مقوماتها الأخلاقية والوطنية وترعى الدولة الأمومة والطفولة، وأضـــاف في 2005م أن الأســـرة أســـاس المجتمع وتحافظ الدولة على كيانها وقيمها الدينية والأخلاقية والوطنية، وتكفل الدولة حماية الأمومة والطفولة والشـيخوخة، وترعى النشء والشـباب وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم.

كما حظر الدسـتور العراقي الاسـتغلال الاقتصـادي للأطفال بكافة صـوره (المادة 29)، ومنع أشكال العنف والتعسف في الأسرة وبخاصة الطفل والمرأة، ولهم الحق في الضمان الصـــحي والمقومات الأســـاس للعيش في حياة كريمة، تؤمن لهم الدخل المناســـب والســـكن الملائم، وكفلت الدولة الرعاية الاجتماعية للعراقيين في حالة الشـــيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل أو التشـــرد أو اليتم والبطالة، وكما تؤمن لهم الدولة خدمات التأمين الاجتماعي، وتعمل على وقايتهم من الجهل والخوف والفاقة، وتوفر لهم السكن والمناهج الخاصة بتأهيلهم والعناية بهم.

وأكد دســـتور البحرين 2002م على إضـــافة جديدة، تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسـرة وعملها في المجتمع، ومسـاواتها بالرجل في ميادين الحياة والسـياسـة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية دون إخلال بأحكام الشريعة الإسلامية.

وفي ليبيا كفل قانون الضـمان الاجتماعي لسـنة 1981م حياة كريمة للأسـرة وتكفل بوجود علاوة للطفل الذكر حتى سـن الثامنة عشـر وللطفلة حتى زواجها – حتى وإن كانت هذه العلاوة رمزية فهي تحدد بدينارين فقط وأربعة دنانير للزوجة – وأهتم بالأرامل والمطلقات والمعوقين والمسـنين والحوامل، بل كان التعليم إجباريًا والعلاج مجانيًا، وكانت بذلك تلعب دور الضـامن حتى في توفير فرص عمل لكل الخريجين بعد تخرجهم، وغالبا ما تتحصل الأسر على سـكن مجاني أو قروض ميسـرة لغرض السـكن، كما كان من حق الأسـرة أن تتحصـل على قروض إنتاجية لغرض إنشاء تشاركيات إنتاجية وخدمية، إلا أنه كانت من عيوب القوانين في ليبيا لم تنبع من دستور يضمن ثباتها واستقرارها؛ بل كانت تعتمد على لوائح وقوانين تستطيع أن تغيرها حتى الهيئات التنفيذية المتمثلة في الوزارات، هذا في الحقبة القذافية التي عايشـــها المؤلف، أما بعد ثورة (17 من فبراير 2011) فقد زاد الأمر ســـوءاً لعدم وجود دولة ولعدم وجود دسـتور حتى كتابة هذا الكتاب، وسـادت الفوضـى والانقسـامات والحروب بالدولة الليبية، وزاد الفساد وإهدار ثروات الدولة وانعدمت مشاريع التنمية التي قد تستوعب الأجيال الناشئة، وأصبح الأطفال يفتقدون لأبسط الحقوق، الأمر الذي يضطرهم للانضمام لبعض الجماعات المسلحة، وأصبحت القوات المسلحة جاذبة لصغار السن مما جعل أعدادًا كبيرة من الشباب لا ترى مستقبلها وضمان حقوقها إلا في الالتحاق بالجهات الأمنية؛ نظرا لمرتباتها المجزية.

أما وسط وجنوب إفريقيا فنجد أن أغلب الدول الناطقة بالفرنسية صارت على منوال دساتير الدولة الفرنسية، إذ اعتبرت الرجال والنساء متساوين أمام القانون، والزواج والأسرة هما الأساس الطبيعي والأخلاقي للمجتمع البشري وتحت حماية الدولة، وتحمي الدولة والهيئات العامة الشباب من الاستغلال والإهمال النفسي، وتوفر لهم حق التعليم العام والتعليم المهني. ففي دستور كمبوديا لعام (1993 المادة 28) مثلا نص على: "أن الأسرة والمرأة والطفل أساس المجتمع ويجب اتخاذ التدابير الخاصة بمصالح النساء والأطفال"، بل أن دستور انجولا في (1992 المادة 29) اعتبر أن: "الأسرة هي النواة الأساس للمجتمع تحميها الدولة سواء كانت قائمة على الزواج أو خارجه، والرجال والنساء متساوون في إطار العائلة يتمتعون بالحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها، وتقوم الدولة بالتعاون مع الأسرة بضمانة تربية الأطفال والشباب تربية حديثة، وتساعد الدولة على تطوير شخصية الأطفال والشباب وتخلق الظروف الخاصة بإشراكهم النشط في حياة المجتمع".

بينما في دولة أوزبكستان وتركمانيا فقد ألقيت المسؤولية على الوالدين في التربية إذ نص دستور 1993، 1995م على الوالدين مسؤولية الإنفاق على أطفالهما وتربيتهم حتى يبلغوا سن الرشد وتؤمن الدولة والمجتمع تربية الأطفال اليتامى والفقراء وتنفق عليهم، كما حظر دستور تركمانيا تعدد الزوجات.

أما في أمريكا الجنوبية فقد اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالأسرة والطفل إذ أفردت بعض الدول مثل نيكارجوا في دستورها 1987م باباً كاملًا عن الأسرة والطفل وحق النيكارجويين في إنشاء الأسرة، وضمان ورثة الممتلكات الأسرية وعدم مصادرتها. وتحمي الدولة الطفولة مستخدمة كافة الوسائل الضرورية الخاصة بحماية حقوق الأطفال وفقا لما تنص عليه المعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الطفل مقرراً أن تستند العلاقات الأسرية على الاحترام

والمســـؤولية المشـــتركة والمســـاواة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، وحقوق الأبوين المتسـاوية في شـأن تربية الأطفال، وتحمل المسـؤولية المتسـاوية في توفير السـكن وتأمين التربية والتعليم للأطفال، وبالمقابل احترام الأولاد لأبويهم ومساعدتهم وفقا لما تنص عليه التشريعات الخاصة بالأسرة ومنحها حق التبني والتسمية، كما قضى أيضا هذا الدستور بحماية المرأة أثناء الحمل والولادة وحقها في الحصـــول على إجازة مدفوعة الآجر والمســـاعدات الاجتماعية الضرورية، وحظر هذا الدستور عدم قبولها في العمل أثناء حملها، ومنع طردها من العمل أثناء الحمل أو الفترة المحددة لراحتها بعد الولادة، وكانت أغلب دول أمريكا الجنوبية متقاربة في هذه الحقوق.

وفي أسـيا نجد في الصـين الشـعبية مثلا هناك شـذوذ عن دسـاتير دول العالم، وذلك نظراً للكثافة السـكانية، إذ نجد في دسـتور 1982م نصـت على أن يلتزم الزوجان بتخطيط المواليد، حيث أن الزواج والأسرة والأمومة والطفولة تحت حماية الدولة، واقتصرت على أن من حق كل أسـرة طفل واحد فقط، وفي دولة أسـيوية أخرى كبنغلاديش قد نص دسـتورها لعام 1996م المادة 46 على:

1- يحظر الاتجار بالبشر والدعارة والمجون الذي يؤثر على سمعة النساء.

2- لا يجوز أن تفقد المرأة عملها بسبب الحمل، إذ لها الحق في الإجازة في حالة الولادة، ويدفع الآجر كاملا، ولا تخسر النسـاء بسبب ذلك الأقدمية في العمل أو العلاوات و الحوافز الأخرى.

3- تعطي الدولة والمجتمع الفرصة الكافية للحصول على الوظائف والمساعدات الطبيعية وتعليم الأطفال، والعيش في ظروف معيشـــية محترمة، وخاصـــة تلك التي تعيش في المناطق الريفية البعيدة.

كما أن هناك دساتير كثيرة من الدساتير الأجنبية أصرت على مساواة الأطفال غير القانونيين بالأطفال القانونيين في الأسرة، وحصولهم على حقوق متساوية، تعكس وجود عدد كبير من الأطفال المولودين خارج الزواج في أمريكا الوسطى والجنوبية، وكذلك في أوروبا وأفريقيا جنوب الصحراء وغيرها، وفي ذلك تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن أكثر من 60% من عدد الأطفال في أمريكا الوسطى من آباء غير شرعيين، وتنخفض هذه النسبة في الأرجنتين نظراً لتأثير الكنيسة الكاثوليكية، ويصل عدد الأطفال غير الشرعيين إلى ما يقارب 30% من السكان في بعض البلدان الأوربية (منها 28% في بريطانيا).

- في حين لا توجد نسب محددة حول الأطفال غير الشرعيين في الدول العربية والإسلامية، وبذلك فإن عدم نص الدساتير العربية التي قررت دعم الأسرة والطفل تمثل أما لتعارضها مع الثقافة، أو عدم وجود هذه الظاهرة بشكل واضح، في حين آتى التشريع الدستوري الأجنبي بهذا الخصوص كانعكاس للواقع المعاش في الدول التي سنت هذه الأحكام (طربوش، 2007: 20-35).

الفصل الرابع

الاتجاهات النظرية للتنشئة الاجتماعية

Theoretical Trends of Socialization

الفصل الرابع

الاتجاهات النظرية للتنشئة الاجتماعية

Theoretical Trends of Socialization

تمهيد

انطلاقا من أن النظرية عبارة عن "نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة، يحوي إطارا تصوريا ومفاهيم وقضايا نظرية؛ توضح العلاقات بين الواقع وتنظيمها، بطريقة دالة وذات معنى، كما أنها ذات بعد إمبريقي، بمعنى أن اعتمادها قائم على الواقع ومعطياته، وذات توجيه تنبؤي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية (رحيمة، 2005: 75)، وبناء على ذلك يحتوي هذا الفصل على النظريات الآتية: نظرية التحليل النفسي، ثم نظرية التعلم ونظرية الدور الاجتماعي، ثم النظرية البنائية الوظيفية، نتطرق بعدها لنظرية التبادل الاجتماعي، والتفاعلية الرمزية، إضافة إلى نظرية الضبط الاجتماعي، وأخيرا النظرية المعرفية الإنمائية، وسيتم عرضها وفق أنساقها النظرية وأبعادها فيما يلي:

أولاً: نظرية التحليل النفسي (Psychoanalytic theory)

ينطلق أنصار هذا المدخل النظري بزعامة "سيغموند فرويد" من أن جذور التنشئة الاجتماعية تكمن في ما يسمى "بالأنا الأعلى"، الذي يتطور عند الفرد بدءا من الطفولة، نتيجة تقمصه أثناء نموه لدور والده من نفس جنسه؛ حيث أن الطفل يولد مزودا بطاقة "الهو" فقط، التي تمثل مجموعة من الدوافع الغرائزية، وهمّ الطفل الوحيد إشباعها، ولكنه أثناء نموه يتعرض لتعلم ما يسمى بالتسامي أو التصعيد، سواء من طرف والديه أو غيرهم من

القائمين على تربيته في المجتمع، في طريق إشـباعه لهذه الغرائز بلا ضـوابط؛ في محاولة لتطبيعه وتنشئته على قبول قوانين مجتمعه، ومساعدته على تحقيق التقبل الاجتماعي والاندماج بيسر في مجتمع الراشـدين، ونتيجة لعملية الضـبط هذه يتحول جزء من "الهو" إلى ما يسـميه فرويد بالأنا الأعلى، أي "الضـــمير"، الذي يعمل على إخضـــاع مطالب اللذة للتحكم وفق معايير المجتمع، ويرى فرويد أن كل ما يجده الفرد في "الأنا" صـــعبا للتحقيق؛ يكبت ويحول إلى لجة اللاشـــعور، والتي تجد لها تعبيرا في الأحلام والشـــرود، إضـــافة إلى ما تســـببه من متاعب ومشكلات عقلية واجتماعية ونفسية.

إن عملية التنشـــئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي عند فرويد هي عملية نمو وتطور حتمية وأساس متداخلة فيما بينها وذات تأثير بالغ في شـخصـية الفرد مسـتقبلا، ومن أهم هذه المراحل:

1- **المرحلة الفمية:** وتبدأ هذه المرحلة من الولادة حتى النصف الثاني من السنة الأولى، فشـخصـية الطفل ونمط علاقاته تتحدد بمدى تعلقه بأمه، وبمدى إشـباعه لحاجاته الفمية من رضـاعة وفطام، وفي هذا الصـدد يقول إيرين بوسـلين (Erin Bouslan): "إن الطفولة التي يجد فيها الطفل رعايةً وإشـــباعاً لشـــؤونه؛ ســـوف تعطي الطفل إحساسا بالطمأنينة المريحة في العالم الذي يحيط به، بحيث يراه مكانا آمنا يعيش فيه وليس مكانا باردا أو مكانا معاديا لابد أن يحمي نفســـه منه" (العيســـوي، 1993: 355).

2- **المرحلة الشـــرجية:** وتقع هذه المرحلة بين العام الثاني والثالث من عمر الطفل، يصل فيها إلى المتعة واللذة من خلال تعلمه ضبط الإخراج، وتلعب التنشئة الأسرية

في هذه المرحلة دورا مهماً من حيث درجة التأثير على شـــخصـــية الطفل ونموه الاجتماعي ونوع علاقاته مع الآخرين.

3- **المرحلة القضـــيبية:** وتغطي هذه المرحلة العام الرابع والخامس من عمر الطفل، حيث نجده يهتم بأعضـائه التناسـلية باعتبارها مصـدرا للإشـباع واللذة، والظاهرة الرئيســـة في هذه المرحلة هي "عقدة أوديب" حيث يرتبط الذكر بأمه راغبا في الاســـتئثار التام بحبها، أما البنت فترتبط ارتباطا قويا بأبيها وتحس بالغيرة والعدوانية اتجاه أمها، وعلى أي حال فإن كل من الذكر والأنثى يكبت مشاعره نحو والده من الجنس الآخر خوفا من العقاب وفقدان الحب.

4- **مرحلة الكمون:** وفي هذه المرحلة يتعلق الطفل بالوالد "ابن، أب" "بنت، أم" وبالتالي فإنه يتقمص دور أحد الوالدين، كما يمتص بعض المعايير التي يؤكد أنه عليها، ومن خلال هذا التقمص ينشـــأ الضـــمير "الأنا الأعلى" ومن ثم نجد أن الشـــخصـــية تتطور تدريجيا من "الهو" أو (اللبيدو أو مخزن الطاقات الغريزية) إلى "الأنا" أو (الذات أو الشـخصـية) ثم إلى "الأنا الأعلى" أو (الضـمير) والذي يعد بمثابة مراقب للسلوك.

5- **المرحلة الجنسية التناسلية:** والتي تبدأ مع مرحلة البلوغ فقد يواجه المراهق في هذه المرحلة ظروفاً غير مواتية ومحبطة في حياته، تدفع به إلى النكوص والارتداد إلى الاعتماد الزائد، أو أية صورة من صور الإشباع، وقد تؤدي الدوافع الجنسية المتبعة إلى التصادم مع معايير السلوك عند الأنا العليا، مؤدية إلى صراع داخلي شديد.

من خلال ما سبق ذكره نجد أن نظرية التحليل النفسي، ترى أن التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب الطفل لمعايير وسلوك والديه، وعن طريق أساليب التنشئة الاجتماعية مثل

الثواب والعقاب يتكون لدى الطفل الضبط الداخلي أو الضمير الموجه لسلوكه، ثم الفرد فيما بعد، وبذلك يعتبر التقليد من أبرز أساليب التنشئة الأسرية في نظر فرويد (العيسوي، 1993: 356).

ثانياً: نظرية التعلم الاجتماعي (Social learning theory)

يعتبر التعلم هو أساس هذه النظرية، ويعتبر الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى من أقدر المخلوقات على التعلم وأكثر حاجة إليه؛ وذلك لما للتعلم من فائدة في حياته، باعتباره عملية دائمة ومستمرة فمعظم السلوك الإنساني متعلم.

وينطلق أنصـــار هذه النظرية أمثال "البرت باندورا" (1977) من أن التعلم يمثل القاعدة الأساس في عملية التنشئة الاجتماعية، إذ أن كثيرا من أنماط السلوك مكتسب من خلال التعلم، وتركز هذه النظرية على ذلك الجانب من التعلم الذي يهتم بالســـلوك الاجتماعي عند الفرد، لما تتضـــمنه من تغيير وتعويد في الســـلوك، وذلك نتيجة التعرض لممارســات وخبرات معينة، كما أن مؤســســات التنشـئة الاجتماعية تســتخدم أثناء عملية التنشـئة الاجتماعية بعض الوسـائل والأسـاليب في تحقيق التعلم؛ سـواء كان ذلك بقصـد أو بدون قصـــد، لمســاعدة الأفراد على أداء أدوارهم الاجتماعية، من خلال اكتســاب مهارات مختلفة، كما هو الحال بالنسبة للتطور الاجتماعي.

وتشير الدراسات التي تناولت التعلم إلى الآتي:

أولاً – أهمية مبادئ التعليم العامة؛ لذلك يعطي أصـــحاب هذه النظرية أهمية كبرى للتعزيز والعقاب والتدعيم والتمييز في عملية التعلم الاجتماعي، فمنهم من اعتبر أن الســـلوك الفردي يتدعم أو يتغير تبعا لنمط التعزيز في تقوية الســـلوك، مثل: دولارد (Dolard) وميلر (Miler)، ومنهم من وافق على مبدأ التعزيز في تقوية الســـلوك، مثل باندورا

Bandora)و ولتزر(Walter) إلا أنهما يضيفان أن التعزيز وحده لا يعتبر كافيا لتفسير التعلم أو تفسير بعض السلوكيات التي تظهر فجأة لدى الطفل.

ثانياً – المحاكاة والتقليد: بمعنى أن اكتساب القيم وتعلمها يتم من خلال ملاحظة نماذج اجتماعية ومحاكاتها وتقليدها، ويعتمد مفهوم أنموذج التعلم بالملاحظة على افتراض مفاده أن الإنسان مثل كائن اجتماعي يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وينطوي هذا الافتراض على أهمية تربوية بالغة، تأخذ بعين الاعتبار أن التعليم بمفهومه الأساس عملية اجتماعية.

يرى باندورا "أن الناس يطورون آراءهم حول أنواع السلوك التي سوف توصلهم إلى أهدافهم، حيث يعتمد قبول أو عدم قبول آرائهم على النتائج التي تتمخض عن هذا السلوك عادة، من ثواب وعقاب، ما يعني أن هناك الكثير من تعلم السلوك يحدث عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين ونتائج أفعالهم، وانطلاقا من هذا، فإن الفرد لا يتعلم نماذج السلوك فقط، بل قواعد السلوك أيضا، ويقترح "باندورا" ثلاث مراحل للتعلم بالملاحظة، على النحو التالي: (الهمشري، 2003: 67):

أ- تعلم سلوكيات جديدة

يستطيع الطفل تعلم سلوك أو سلوكيات جديدة عن طريق الأنموذج الموجود أمامه؛ فعندما يقوم فرد ما باستجابة جديدة لم تكن من قبل في حصيلة ملاحظته فإنه يحاول تقليدها، غير أن "باندور" يؤكد على أن الملاحِظ لا يتأثر بالنماذج الحقيقة للملاحظة التي أمامه فقط، بل يؤكد على أن التمثيليات الصورية الموجودة في الصحافة والتلفاز والسينما تقوم مقام الأنموذج الحقيق كذلك.

ب- الكف والتحرر

والكف والتحرر مفادهما أن عملية الملاحظة قد تؤدي بالطفل إلى الكف أو التحرر عن بعض السـلوكيات أو الاسـتجابات وتجنبها، خاصـة إذا واجه أنموذج صـاحب السـلوك عواقب ونتائج سلبية غير مرغوب فيها من جراء انغماسه في هذا السلوك، وقد تؤدي عملية ملاحظة السلوك أيضا إلى تحرر بعض الاستجابات المكفوفة أو المقيدة، خاصة عندما تكون نتائج السـلوك إيجابية، ومن ثم فهي تدفع بالطفل إلى إتيانها والقيام بها إذا ما اقتضـت الضرورة.

ج- التسهيل

تؤدي هذه العملية إلى تسـهيل ظهور بعض النماذج السـلوكية، أو الاسـتجابات التي قد تقع في حصـيلة الملاحِظ السـلوكية، التي تعلمها على نحو مسـبق؛ إلا أنه لم تسـمح له الفرصـة لاسـتخدامها؛ بمعنى أن "السـلوك الأنموذج" يسـاعد الملاحظ على تذكر اسـتجابات مشابهة؛ فالطفل الذي تعلم بعض الاستجابات التعاونية ولم يمارسها؛ يمكن أن يؤديها عندما يلاحظ بعض الأطفال منهمكين في سلوك تعاوني، وتختلف عملية تسهيل السلوك عن عملية تحريره، فالتسـهيل يتناول الاسـتجابات المتعلمة غير المكفوفة، أما تحرير السـلوك فيتناول الاستجابات المقيدة أو المكفوفة التي تقف منها التنشئة الاجتماعية موقفا سلبيا، فيعمل على تحريرها بسـبب ملاحظته أنموذجا يؤدي مثل هذه الاسـتجابات دون أن يصـيبه سـوء (الهمشري، 2003: 68).

أثناء التنشـئة الاجتماعية، يتعلم الفرد تدريجيا سـلوكيات تمكنه من مسـايرة حياته الاجتماعية بصـورة جيدة، فمن بين أهم المكونات الأسـاس لعملية التنشـئة الاجتماعية؛ ما يسمى بالتعلم الاجتماعي، والذي ينقسم إلى التعلم المباشر والتعلم غير المباشر:

التعلم المباشر: ويتم عن طريق إكساب وتلقين الكبار للصغار ما ينبغي وما لا ينبغي القيام به، وذلك بطريقة مباشـرة؛ حيث أن الكبار يعملون على تحفيز الصـغار معنويا، وحتى ماديا في بعض الأحيان، كلما أتوا بسلوك حسن، ويتم عقابهم كلما أتوا بسلوك مستهجن، ومن ثم يعمل الطفل على تكرار السلوكيات التي تدر عليه المزيد من التحفيز والدعم المعنوي، ويعمل في نفس الوقت على الابتعاد عن السـلوكيات التي تشـكل مصـدر عقاب له... وهكذا.

أما التعلم غير المباشـر: فيتجلى في اكتسـاب الفرد لسـلوكيات ومعارف بطريقة غير مباشرة، وغير مقصودة انطلاقا من محيطه، وذلك عبر اللعب والتقمص والتقليد، على نحو:

- أن للعب دورا مهما في تسـريع عملية التنشـئة الاجتماعية للطفل؛ إذ يقوم الطفل عادة في لعبه بتقمص دور الطبيب أو المعلم أو الأب والأم ...الخ. وهذا مما يكسـبه خبرات عديدة تؤهله للتكيف بصـورة أفضـل مع محيطه الاجتماعي، حسـب رأي بعض علماء النفس الاجتماعي.
- أما عن التقمص؛ فقد أكد "سـيوارد Seward" على أهميته في التعلم الاجتماعي، فما دام الطفل يتقمص دور الأب أو الأم ، فهذا ما يسـرع عملية اكتسـابه للقيم و المعايير السلوكية؛ وخاصة قيم والديه.
- أما بخصـوص التقليد؛ فيرى كل من: "ميلر و دولارد Meller et Dollard" أنه نمط من الاستجابات المتعلمة، ويلعب دورا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية (حسين، 2011).

ثالثاً: نـظرية الدور الاجتماعي (Social role theory)

يشـــير الدور الاجتماعي لدى "رالف لينتون" إلى أنه إذا كانت المكانة عبارة عن مجموعة الحقوق والواجبات، فإن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة، فالســـير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور، ويشـــمل الدور عند "لينتون" الاتجاهات والقيم والسلوك التي يمليها المجتمع على كل الأشخاص الذين يشغلون مركزا معينا.

في حين يعرف "كوتول" الدور بأنه: "سـلسـلة اسـتجابات شـرطية متوافقة داخليا لأحد أطراف الموقف الاجتماعي، تمثل نمط التنبيه في سـلسـلة اسـتجابات الآخرين الشـرطية المتوافقة داخليا بنفس المستوى في هذا الموقف".

كما يرى "جونســون" أن التنشــئة الاجتماعية؛ هي عملية تعلم، يتعلم من خلالها الفرد أداء أدوار معينة. والدور الاجتماعي هو عبارة عن تتابع نمطي لأفعال متعلمة، يقوم بها فرد من الأفراد في موقف تفاعلي، أي أن كل دور يرتبط بالمركز الاجتماعي للفرد، مثل: الدور الاجتماعي – التعليمي المنوط بالمعلم أو الأستاذ، والذي يتجلى أساسا في تقديم التوجيهات والإرشـادات والمعارف للتلاميذ، كما أن دور التلميذ يتجلى بالضـرورة في الإنصـات واحترام المعلم، وذلـك طبقـا للمركز الاجتمـاعي لكـل واحـد منهمـا؛ و من ثم من خلال الأدوار الاجتماعية، فإن الأفراد يتمكنون من تنظيم توقعاتهم وسلوكياتهم وأنماط تصرفاتهم، مما يضفي على أفعالهم الصبغة الاجتماعية بالمفهوم المناسب.

عليـه يمكن القول وفق هـذه النظريـة، أن الـدور ثمرة تفـاعـل الـذات والغير، وأن الاتجاهات نحو الذات هي أساس فكرة الدور، وتكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية وتتأثر كثيرا بالمعايير الثقافية السـائدة، كما تتأثر بخبرة الشـخص الذاتية، ولهذا حاولت نظرية الدور تفهم السـلوك الإنسـاني بالصـورة المعقدة التي كُوِّنَ عليها، باعتبار أن السـلوك الاجتماعي

يشمل عناصر حضارية واجتماعية وشخصية، ومثال ذلك ما يكتسبه الأطفال من أدوار اجتماعية مختلفة من خلال علاقاتهم مع أفراد لهم مغزى خاص بالنسبة لحياتهم: (الأم والأب والإخوة).

ما يعني أن عملية إِكْسَاب الأدوار الاجتماعية بصفة عامة، ليست مسألة معرفية فقط، بل هي ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي واكتساب الأدوار الاجتماعية من خلال ثلاث طرق:

أ- طريقة التعاطف مع الأفراد ذوي الأهمية وهم المحيطون بالطفل؛ وتعني قدرة الطفل على أن يتصور مشاعر أو أحاسيس شخص ما في موقف معين.

ب- طريقة دوافع الطفل وبواعثه على التعلم... فالطفل يحرص على التصرف وفق ما يتوقعه أبواه ويجتنب ما لا يقبلانه.

ج- طريقة إحساس الطفل بالأمن والطمأنينة؛ وهذا الشعور يجعل الطفل أكثر جرأة في محاولة تجريب الأدوار الاجتماعية المختلفة، وخاصة في مجال اللعب.

وفقا لذلك فإن لكل فرد دورًا يعد بمثابة مركز اجتماعي يتناسب مع الأداء الذي يقوم به، إذ يكتسب الطفل مركزه ويتعلم دوره من خلال تفاعله مع الآخرين وخاصة الأشخاص المهمين في حياته، الذين يرتبط بهم ارتباطا عاطفيا.

من خلال ما سلف، نستنتج بأن نظرية الدور الاجتماعي، تعتمد على جملة من المفاهيم ولعل من أبرزها مفهومي: "المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي"، فالمكانة الاجتماعية للفرد هي التي تحدد نمط سلوكياته، ونمط توقعاته لأدوار الآخرين كما سبق في مثال (التلميذ والمعلم) إذ أن مكانة الطفل الاجتماعية؛ هي التي حددت له أن يتصرف اتجاه معلمه بالاحترام والمودة والتقدير... كما أن مكانة المعلم الاجتماعية، هي التي تحتم عليه أن

يتصرف تجاه تلميذه بالتوجيه والإرشاد والتعليم، ومن ثم فالحياة الاجتماعية وفق نظرية الدور الاجتماعي ما هي إلا عملية تعلم لأدوار اجتماعية (حسين، 2011).

رابعاً: النظرية البنائية الوظيفية (Functional structural theory)

يمكن القول بأن النظرية البنائية الوظيفية تستمد أسسها من النظرية الجشطالتية في علم النفس، والتي تدور فكرتها المحورية حول تكامل الأجزاء في كلّ واحد، بتحليل العلاقة بين الأجزاء والكل، بمعنى أن كل عنصر في المجموعة يساهم في تطور الكل. فأصحاب هذه النظرية يرون في الأفراد والجماعات أو أي نظام أو نسق اجتماعي يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، ومن ثم فإن كل جزء من أجزاء النسق يكون وظيفيا، تماما مثل جسم الإنسان يتكون من مختلف الأعضاء ولكل جزء وظيفته، وتشير النظرية البنائية الوظيفية إلى أن كل أسرة تشكل نسقا فرعيا للنسق الاجتماعي، تتفاعل عناصره للمحافظة على البناء الاجتماعي وتحقيق توازنه، وتركز هذه النظرية على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة والوحدات الاجتماعية الكبرى، من خلال الدور الذي تؤديه في عملية التنشئة الاجتماعية للأعضاء الجدد في المجتمع (عبدالعزيز، 2005: 82).

خامساً: نظرية التبادل الاجتماعي (Social exchange theory)

ترى هذه النظرية الحديثة، أن الإنسان يتصرف بشكل منطقي وعقلاني، فكل إنسان يضع أمامه مجموعة من الأهداف، ويحدد لنفسه أكثر الوسائل كفاءة، في إطار المجتمع والحياة الاجتماعية لبلوغ هذه الأهداف، ولما كان السعي وراء تحقيق هذه الأهداف يتم في وسط اجتماعي ومع أفراد آخرين، فإنه لابد على الفرد أن يضع الآخرين في اعتباره دائما، لأنهم غالبا ما يؤثرون أو حتى يتحكمون في عملية سعي المرء لتحقيق أهدافه، وهذا الموقف هو

الذي ينتج العلاقات الأساس للتبادل، ويصبح السلوك بهذا المعنى؛ وبعبارة "ماكس فيبر" سلوكا أو فعلا اجتماعيا، والذي يتخذ عادة شكل التبادل، وذلك لأن المصادر الاجتماعية والنفسية موجودة لدى الآخرين.

إن نظرية التبادل الاجتماعي (كنظرية للتنشئة الاجتماعية)، ترى أن القوة التي يمتلكها الآباء على الأبناء، تبدو جلية في السنوات الأولى أو في مرحلة التنشئة الاجتماعية الأولية، فهي على حد تعبير "بيرجير و لوكمان" علاقة تبادل اجتماعي، ففي الوقت الذي يكون فيه الطفل محتاجا بشكل كبير إلى العناية والاهتمام المادي والمعنوي، يكون لزاما عليه أن يحترم ويطيع بالمقابل والديه، ليضمن لنفسه الحصول على ذلك المطلب والإشباع النفسي الذي يحتاجه، وتتغير حاجات الطفل بتغير عمره، وعليه تتطور العلاقات التبادلية التي تحكم بين الأفراد، لتمتد إلى المؤسسات الاجتماعية الكبرى.

سادساً: النظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactive Theory)

تؤكد نظرية التفاعل الرمزي أن التنشئة الاجتماعية مستمرة مدى الحياة، حيث يتفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي، وترتبط هذه النظرية بعالم الاجتماع الأمريكي "جورج هربرت ميد" George h. Mead ناهيك عن إسهامات "تشارلز كولي" وكذا رايت ميلز "وارفنج كوفمان" وغيرهم. فهي نظرية في التنشئة الاجتماعية بامتياز، لا تسعى إلى تحليل المجتمع ككل، وعليه فهي نظرية محدودة النطاق، لكن هذا لا يعني أن مضمونها غير ذي قيمة كبيرة، بل على العكس، فهي من أهم النظريات المعاصرة في التنشئة الاجتماعية، إذ ترتكز على أن الحقيقة الاجتماعية حقيقة عقلية، تقوم على التصور والتخيل، وترتكز كذلك على قدرة الإنسان على الاتصال من خلال الرموز وقدرتها على تحميلها معان وأفكار ومعلومات وسلوك وتوقعات وأدوار تعلب دورها بالكيفية الآتية:

أ- بخصـــوص الرموز و المعاني: ينطلق "جورج هيربرت ميد" من مســـلمة أســـاســـية مؤداها؛ أن الإنســـان شـــأنه شـــأن الحيوان؛ كائن يمارس حركات وإشـــارات ويصـــدر أصـــواتا كما تفعل باقي الحيوانات الأخرى، بيد أن النوع البشـــري يمتاز بخاصـــية تجعله في آخر المطاف، يســـــمو عن هذه الكائنات، إذ ســـــرعان ما يحول تلكم الإشـــارات والأصـــوات وتعابير الوجه ...الخ، إلى رموز وأفعال تنطوي على معنى، وتكتســـب الرموز أهميتها وتصـــبح ذات دلالة، وذلك عندما تكتســـب نفس المعنى لدى مســـتقبلها؛ أو بعبارة أكثر وضـــوحا؛ حينما يصـــبح للرمز معنى مشـــترك فهي تصـــبح في هذه الحالة رموزا اجتماعية، وتكتســـب من خلال التفاعل مع الآخرين، فالنـاس في نظر "هربرت ميـد" كـائنـات اجتمـاعيـة، وإنســـــانيتهم نتـاج للتفـاعـل الاجتماعي الرمزي مع الآخرين (الهمشري، 2003: 78).

وقد اهتم ميد كثيرا بدراسة علاقة اللغة بالتنشئة الاجتماعية، حيث بإمكان الإنسان أن يتصل ويتفاعل من خلال رموز تحمل معاني متفق عليها اجتماعيا، فالإشارة الصوتية هي جزء من الفعل الفردي الذي يســـتدعي داخل العملية الاجتماعية تكيف الآخر، فالإشـــارة الصـــوتية تمثل موضـــوعا محددا في حقل ســـلوكي اجتماعي، حيث أن اللغة تعتبر عاملا مهما في تحقيق وتنمية الشـــخصـــية الاجتماعية، ووســـيلة أســـاســـا للتفاعل الاجتماعي، وهي جوهر العلاقات الاجتماعية.

ب- أما بخصـــوص التوقعات والســـلوك: فإنهما ينبعان من فكرة قائمة على أنه إذا كان المجتمع يتشـــكل كبناء من التفاعلات التي تجري بين أعضـــائه وأفراده وجماعته، فإن السلوك داخل الجماعات وبين الأفراد بعضهم البعض ينتظم من خلال التوقعات؛ فالناس من خلال التفاعل يتعلمون التصـــــرف بالطريقة التي يتوقعها الآخر منهم،

وعليه فالفاعل يضع دائما في حسبانه الآخر توجها وتصرفا، حيث تتشكل أنماط العلاقات بين الناس وجماعاتهم كبنية اجتماعية، تتجلى طبيعة المجتمع فيها في أنها نتاج للتوقعات المتبادلة بين أفراده.

فالمجتمع في ضوء النظرية التفاعلية الرمزية إذن؛ هو شبكة معقدة من الأفعال الفردية والتفاعلات بين الأفراد، وإن كانت جميع هذه الأفعال والتفاعلات منظمة ومراقبة ومدفوعة بالعضوية الجماعية، بما يترتب عليها من أدوار وتوقعات أدوار، مع ضمان استمرار المجتمع في أداء مهامه وفي البقاء، بفضل عملية التنشئة الاجتماعية للناس، وتأهيلهم ابتداء من لحظة الميلاد حتى يصبحوا قادرين على مواجهة التوقعات، مما يؤكد اعتماد الأفراد على بعضهم البعض في المصالح والمنافع والخدمات الضرورية لبقائهم، القائم على استدماج كافة متطلبات أداء الأدوار في شخصياتهم، بحيث يتطلع كل منهم إلى انجاز الأدوار المتوقعة منه، ومن ثم فالمجتمع يعمل في تناسق وتعاون من أجل انجاز التوقعات، ويتخذ من التدابير المتمثلة في أشكال الثواب والجزاء ما يراه ملائما وكافيا لإنجاز هذه التوقعات (عمر، 2004: 109-112).

يرجع ذلك حسب تصور مؤسس الاتجاه التفاعلي الرمزي "جورج هربرت ميد" حول ما تتضمنه النفس البشرية من مشاعر ومواقف وتصورات للمحيطين بها والمتفاعلين معها، أي أن الفرد يعرف نفسه ويدرك صورته من خلال رأى الآخرين المحيطين به والمتفاعلين معه، هذه الصورة تحدد معالم نفسيته الشخصية بقسميها: "الذات والأنا" اللتان تكونان "النفس أو الشخصية" مشيرا "بالذات" إلى الشعور، والخبرات والبواعث التي تنمو مع نمو الفرد، كعناصر تولد الذات، وهي في نفس الوقت إحدى قواعد "الأنا" وهما ينموان عبر مراحل تطورية ثلاث:

1- **مرحلة نشـــوء الذات:** وهي تولد مع ميلاد الفرد وليس لها أية صـــفة من صـــفات التفاعل الاجتماعي ولكنها مطلعة على الضوابط الداخلية للأنا.
2- **مرحلة نشـــوء الأنا:** وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، وممارســـة أدوار الآخرين وتقليدهم، مما يظهر تأكيد "ميد" على أهمية الآخرين ودورهم في جذب الفرد لتقليدهم ومحاكاتهم.
3- **مرحلة الأنا الاجتماعي:** وفيها ينتقل الفرد ليعمم رؤية وحكم الآخرين المحيطين به والمتفاعلين معه، بعد أن يكون قد استدمجها في شخصيته، كمؤشر على نمو الأنا الاجتماعية عنده (عمر، 2004: 109-112).

سابعاً: نظرية الضبط الاجتماعي (Social control theory)

من بين أهم الخاصيات التي تميز الإنسان عن الحيوان؛ هي عملية الضبط الاجتماعي التي تسم وتميز الكائن الإنساني، فالتنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ طفولته، ما هي إلا ضوابط داخلية عند الإنسان، توجهه وترشده وتقيده بضرورة الخضوع للمجتمع؛ فمن خلال التنشئة الاجتماعية يتعلم الفرد ضوابط السلوك؛ حسنه وقبيحه، فيتصرف بالطريقة التي تضمن له تحقيق تفاعل ايجابي مع غيره من بني جنسه، ومن ثم فعملية الضبط الاجتماعي تمثل الأساس الذي يضمن للفرد توافقه مع مجتمعه، لوجوده وتكيفه مع الآخر.

من خلال ما سلف؛ يتبين أن التنشئة الاجتماعية؛ هي حصيلة عمليات اجتماعية متعددة، وتعتبر عملية الضبط الاجتماعي من بين أهم وأبرز تلكم العمليات، والتي يكتسب منها الطفل عادات وسلوكيات وقيم مجتمعه، ويبني تمثله لعالمه وواقعه.

ثامنا: نظرية تطور الطفل أو النظرية المعرفية الانمائية

(Cognitive-development-Theory)

تزعم صـــياغة هذه النظرية عالم النفس جون بياجيه Jean Piaget 1932 كتتويج لاهتمامه بدراسـة عملية الاسـتدلال العقلي للأطفال Reasoning في ثنايا حل المشـكلات المنطقية، ولقد قادته هذه الدراســـة إلى الاعتقاد بأن العمليات التفكيرية لدى الأطفال تمر بتغيرات في أثناء النمو، حيث يولد الطفل في حالة اللاتمايز والتمركز حول الذات، ثم يبدأ تدريجيا يتحرر من ذلك عن طريق عاملي اللغة واللعب، فالأطفال الأكبر ســـنا، يحلون المشـاكل بطريقة منطقية أفضـل من الأطفال الأصـغر سـنا، كما أن الأطفال أنفسـهم يلعبون دورا إيجابيا وفعالا في عملية تطبيعهم الاجتماعي.

وقد اعتمد جون بياجيه J. Piaget في نظريته هذه على تطور عامل الذكاء عند الطفل والذي قسمه وأسنده إلى أربع مراحل في حياة الطفل:

أ- مراحل الذكاء الحسي (0-2سنتين).

ب- مرحلة الذكاء ما قبل الإجرائي (3-7 سنوات).

ج- مرحلة الذكاء العيني الإجرائي (8-12 سنة).

د- مرحلة الذكاء الشكلي (13-20 سنة) (المراهقة).

مما مكنه من التميز مثل أول عالم نفس يفحص كيفية تفكير الأطفال في القضـــايا الأخلاقية في المراحل المختلفة، حيث حاول معرفة ماذا يمكن أن يعرف الأطفال حول القواعد Rules؟ ومن أين تـأتي القواعـد الاجتمـاعيـة؟ وكيف يحكم الأطفـال على أن قـاعـدة معينـة صـــائبة أو عادلة أو خاطئة؟ وقد انتهى "بياجيه" إلى الاعتقاد بأن هناك تغيرا كبيرا في الاســتدلال الخلقي يحدث خلال الطفولة الوســطى أي ما بين 7 و 9 ســنوات من العمر (العيسوي، 1993: 357).

الأساليب العلمية الحديثة للتنشئة الاجتماعية

هناك عدة أساليب ترتبط بالتنشئة الحديثة المبنية على العلم والتي من بينها:

أ- أسلوب الحوار والنقاش: هذا الأسلوب من أفضل الأساليب في التنشئة الحديثة، وبقصد به إدارة الحديث وتناوله بين طرفين أو أكثر، عن طريق الاستفسار والجواب، في وجود موضوع واضح، وعادة ما تكون لكل منهم رؤية وموقف من هذا الموضوع، ومن خلال النقاش يقنع أحدهما الآخر أو يختلف معه، أو يتمسك كل منهما برأيه وكما يقول المثل (الخلاف لا يفسد للود قضية) بمعنى أن لا يشخصن أحدهما الموضوع ويعتبره شخصيا، وهذا الأسلوب مهم إذا بني على خطوات صحيحة، فتجد المتعة ورحابة الصدر واحترام رأي الآخر، والإنصات لمن يخالفك في الرأي، ويقول بعض المربيين: يجب أن تتعلم أن رأيك خطأ وقابل أن يكون صحيحا وأن رأي غيرك صحيح واحتمال أن يكون خطأ، فلا تتمترس خلف رأيك، بل كن منفتحا، ولا تقاطع محدثك واستمع إليه، وطريقة الحوار والنقاش مهمة جدا لأنها تقوي الحجة لديك وتعودك على سرعة التعبير والمنافسة، والتعود على الثقة بالنفس، وكل هذه النصائح ليست حديثة كما يسوقها لنا مفكرو الغرب بل موجودة بين ثنايا القرآن الحكيم وليس أدل على ذلك من وصايا لقمان الحكيم.

ب- أسلوب الشورى والديمقراطية: وهذا الأسلوب أُخذ صراحة من تربيتنا الإسلامية إذ يقول الله عز وجل: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ (آل عمران: 159)، وقوله عز وجل أيضا: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشورى: 38).

فالديمقراطية التي تكلموا عنها مفكرو الغرب ليست جديدة بل سبق بها القرآن الكريم، إذ تعني "الشورى" والتي في مجملها تعني: أخذ أكثر من رأي والنقاش والاتفاق على

رأي معين، فبدل أن يقرر عقل واحد وقد يكون غير ذي دراية في موضـــوع معين، يكون هناك أكثر من عقل، وكل يتناول الموضــوع المطروح من زاوية، فيصــبح الإلمام أكثر وتصــبح الموضوعية والرشد هما المسيطران بدل العشوائية والاستعجال ويخرج القرار حكيما مدروسا.

الفصل الخامس

ماهيـــــــة المواطنـــــة

The Nature of Citizenship

الفصل الخامس

ماهيـــــــة المواطنـــــــة

The Nature of Citizenship

تمهيد

منذ فجر الخليقة كان الإنســـان يبحث عن الانتماء، والمواطنة، فحرص على بناء تكوين اجتماعي قائم على العلاقات الإنســـانية، وبهذا تطور معنى الانتماء للوطن مع تطور فكرة الوطن، وبدأت تظهر أولى بذور الانتماء من الأسرة؛ وتطورت حتى وصلت إلى الانتماء إلى الوطن.

وتعتبر المواطنة هي الغاية ووســـيلتها في ذلك للوصـــول لهذه الغاية هي التنشـــئة الاجتماعية، وبيئتها هي الثقافة الاجتماعية والســـياســـية، إذا تعتبر المواطنة نقطة البداية في علاقة الشـــخص بالدولة التي ينتمي إليها، فيقدم واجباته بســـخاء نحوها ومن ثم يبحث عن حقوقه، فلا يمكن تقديم الواجبات دون الوفاء بالحقوق حتى لا تتحول مواطنته إلى ســـخرة وعبودية، ونظرا لأهمية المواطنة فقد ركزت دســـاتير الدول الحديثة ونظمها على تحديد مواصفات المواطن وأبعاد المواطنة، حتى تضمن له حياة كريمة.

وفي ســـبيل ذلك ســـنعرض في هذا الفصـــل المواطنة تاريخيا، ثم نتعرف عليها وعلى أبعادها وأنواعها وشروطها، وننتقل إلى المواطنة في الإسلام، بعد ذلك كيف أضحت المواطنة بعد الثورة الفرنسية، وما هي أهميتها والأهداف المناطة بها، إضافة إلى متطلباتها والأسس التي تقوم عليها المواطنة، وأخيرا معرفة عناصرها وطرق قياسها.

أولاً: المواطنة تاريخياً (Citizenship historically)

لم يكن مفهوم المواطن مفهوما قديما بدلالته التي يعرف بها الآن، إذ تدرج واقتصـــر على فئات معينة، كما ارتبط بقيام الدولة حيث نجد أن الإغريق والرومان هما أول من استعملا مفهوم المواطنة، فقد أُستعمل مصطلح (Civitas) للدلالة على المواطن، إذ استعمل الرومان المصطلح (Civis) والإغريق مصطلح (Civitas) للدلالة على المواطنة، وكان للتمتع بلقب المواطن أو المواطنة في تلك الحضـــارات العديد من الحقوق والامتيازات، مثل: الحق في تقلد الوظائف العامة والعضـوية في الجمعيات والتنظيمات، وحق الانتخاب في المؤسـسـات الرسمية والمشاركة في الدفاع عن الوطن.

إلا أن مفهوم المواطنة عندهم كان امتيازياً إذ تمنح بعض المواطنين امتيازات أكثر من الآخرين، فقد كان قاصـرًا ومحصـورًا على الطبقات العليا من الأرسـتقراطيين والنبلاء، في حين حُرِم (منها العبيد والنساء والأطفال).

فالحضـارات السـابقة ميزت بين أفرادها في اكتسـابهم للمواطنة، ولم تكفلها للجميع، إلى أن قامت الثورة الفرنسية التي أشعلها المفكرون والحقوقيون على رجال الدين والنبلاء، وما أعقبها من إصـدار إعلان حقوق الإنسـان والمواطن في العام 1789، حيث كانت أول نقطة تحول في تاريخ مفهوم المواطنة، إذ اشتمل هذا الإعلان على الحقوق المدنية والسياسية بالمعنى الذي يتضمنه المفهوم المعاصر للمواطنة، فمفهوم المواطن والمواطنة الشامل مفهوم حديث نشأ في سياق الفكر الغربي بداية من عصر النهضة، على يد الفلاسفة المؤسسين للفكر السياسي الحديث وتبلور في صـــورته النهائية بعد الثورة الفرنســـية التي غيرت مفهوم (الحق الإلهي) في الســـلطة إلى مبدأ (العقد الاجتماعي) بين الفرد والدولة، ومنذ ذلك التاريخ برزت في الوجود فلســـفة الدولة الحديثة التي تتكون من الســـلطات الثلاث؛ الســـلطة التشـــريعية، والســـلطة

القضائية، والسلطة التنفيذية، مع وجوب الفصل التام بين هذه السلطات في مهامها المنوطة بها (الشكري وآخرون، 2017: 2-5).

وفي القرن الحادي والعشرين شهد مفهوم المواطنة تطورًا أُخذ به في أغلب دول العالم وتحددت مواصفات المواطنة الدولية فيه على النحو الآتي:

- الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة.
- احترام حق الغير وحريته.
- الاعتراف بوجود ديانات مختلفة.
- فهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة.
- فهم اقتصاديات العالم.
- الاهتمام بالشؤون الدولية.
- المشاركة في تشجيع السلام الدولي.
- المشاركة في إدارة الصراعات بطريقة اللاعنف.

إن هذه المواصفات لمواطن القرن الواحد والعشرين يمكن فهمها بشكل أفضل في صورة كفاءات تنميها مؤسسات المجتمع لتزيد فاعلية الارتباط بين الأفراد على المستوى العالمي (الغابد، 2019/1/30 http://albechir.net/all/?p=549).

ثانياً: تعريف وأبعاد وأنواع وشروط المواطنة

(Definition of citizenship)

المواطنة من أكثر المفاهيم المرتبطة بالإنسان، والمتشكلة معه حسب وضعه الإيديولوجي والثقافي، وتتطور معه حسب تطور البيئة والزمن الذي يعيشه، وتبقى لدى

الكثير من المتلقين مفهوما مبهما يتكيف في الأذهان وفقا لمعطيات البيئة الثقافية والسـياسـية التي يعيشـها المواطن، فقد ارتبط أحيانا بالولاء لنظام بعينه، وأحياناً بالمواطنين الأصـليين دون غيرهم، وأحياناً بمعانٍ عنصـــرية تتنافى مع المفهوم المعتمد في الســـياق الحقوقي، وفي الفترة الأخيرة أصـــبحت للمواطنة نظرة حديثة ومختلفة عن ســـابقاتها؛ ولتوضـــيح المفهوم الحديث للمواطنة، لابد من الإشارة إلى عدد من التعريفات والتي من بينها:

1- المفهوم اللغوي للمواطنة

بالبحث في معجم مختار الصـــحاح وجد أن لفظ الوطن هو منزل الإقامة، وجمعه أوطان ووطن به يطن، وأوطن: أقام، واسـتوطنه: اتّخذهُ وطناً، ومواطِنُ مكة: موقِفُها (الزاوي، 1980: 662)، وفي القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾ (التوبة: الآية 25) بمعنى أماكن أو مواقع.

وإذا القينا نظرة على مدى اتفاق الباحثين العرب تجاه فهم مصـــطلح المواطنة ودقته في اللغة العربية للتعبير عن مصـــطلح Citizenship في دائرة الحضـــارة العربية، فإننا نجد من يوصّـل المصـطلح العربي ويوظفه ليجعله معبراً خير تعبير عن مفهوم المواطنة Citizenship في العصـر الحديث، وبين من يعتقد أن الترجمة العربية تثير إشـكاليات، حيث يقول هيثم مناع: إن أول رجاء "هو أن نضـع جانبا المعنى اللغوي العربي التقليدي للمواطنة والذي ترجم حرفيا من المصطلح الأجنبي حتى نفهمها فهما يتمشى مع واقعنا" (مناع، 1997: 6)، وعلى عكس هيثم مناع فإن أغلبية الباحثين والمفكرين العرب لا يرون القصور الذي يراه في ترجمة مصطلح Citizenship بكلمة المواطنة في اللغة العربية، ومن هؤلاء الباحثين خالد محمد خالد وكتابه (مواطنون لا رعايا) وفهمي هويدي وكتابه (مواطنون لا ذميون) وغيرهم الكثير كبرهان غليون وعبدالكريم غلاب؛ إذ يرون أن كلمة المواطنة التي اختارها العرب لمصـــطلح Citizenship

نجحت في إيصـال المعنى، وكان اسـتخدامها مقروناً بالسـعي إلى المسـاواة والمطالبة بالعدل، والإنصـاف وممارسـة المشـاركة السـياسـية بالنسـبة لجميع من يحمل جنسـية الدولة، وسـعيهم لتوظيفه من أجل تطوير الحياة السياسية العربية وصولاً إلى نظم حكم ديمقراطي.

2- المفهوم الاصطلاحي والتصوري للمواطنة

المواطنة من منظور علم الاجتماع تعد مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شـخص طبيعي وبين مجتمع سياسـي أو ما يعرف اليوم بالدولة، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون، كما حددها مفكرو العقد الاجتماعي أمثال هوبز وجون لوك وجون جاك روسو.

والمواطنة ليسـت سـلوكا وراثيا يولد الفرد وهو مزود بها، بل يكتسـبها اكتسـابا كما يكتسـب غيرها من السـلوك، وهي في أبسـط معانيها هي: التزامات متبادلة بين الأشـخاص والدولة، وفي هذا تُعرف دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضـمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"، تؤكد هذه الموسـوعة أيضـا على أن المواطنة لابد أن تدل على نوع من الحرية تقابلها مسؤوليات، وفي نفس الوقت تسبغ حقوقا سياسية على المواطن كحق الانتخاب، أو تولي المناصب في الدولة وخارجها (Encyclopedia Britannica Inc, 1992:Vo13P.332).

ورغم الاختلافات التي نراها بين المفكرين في تحديد مفهوم المواطنة، إلا أنهم يتفقون جميعا على ارتباطها بالوطن والذي لا يعني مجرد أرض فقط، لكنه قيمة دينية ونفسـية واجتماعية تعيش داخل الأفراد وتحركهم بالإضافة إلى الثقافة المشتركة والتنظيم الاجتماعي.

وبما أن كلمة Citizenship هي المرادف لكلمة مواطنة بالعربية نجد أن موســـوعة كولير الأمريكية تعرفها بالقول: "المواطنة لا تختلف عن الجنســـية ومن ثم فهي أكثر أشـــكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالا" (الدجاني، 1999: 96).

ويُعرف أيضـــا آخرون المواطنة بأنها عبارة عن "تمتع الشـــخص بحقوق وواجبات وممارســـتها في بقعة جغرافية معينة، لها حدود محددة، تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون" (فوزي، 2007: 7).

بهذا تكون المواطنة هي الرابطة الاجتماعية والقانونية بين الأفراد ومجتمعهم السياسي الديمقراطي، كما في تعريف Patrick لها بأنها "المؤسسة الرئيسة التي تربط الأفراد ذوي الحقوق بمؤسـسـات الحماية للدولة" (Patrick, 1999: 120)، وعليه فهي عنصـر رئيس للديمقراطية، ومن ثم فهي تستلزم واجبات ومسؤوليات مهمة تصبح الديمقراطية عاجزة من دونها، وتتضمن تلك الواجبات: دفع الضرائب، والخدمة في القوات المسلحة، وإظهار الولاء للمجتمع والنظام السياسي، والمشاركة في الحياة المدنية والسياسية، كما تتضمّن مسؤوليات المواطنة العمل على تضييق الفجوة بين المثالية والواقعية (Holmes,1980: 155).

3- أبعاد المواطنة

من أهم أبعاد المواطنة التي تتكامل وتترابط وتتناسق وتتطور عبر التاريخ ما يلي:

- بعد ثقافي حضـــاري يعنى بالجوانب الروحية والنفســـية والمعنوية للأفراد والجماعات على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية والحضارية، ويرفض محاولات الاستيعاب والتهميش والتنميط، ويهتم بما يوفره الوطن من إحســـاس بالانتماء إلى جماعة تتمثل فيها الهوية، وتتجسـد هذه الهوية المشـتركة فيما يجمع الفرد مع غيره من ممارسـات الحياة اليومية؛ من

عـادات الأكـل واللبـاس والأغـاني وطقوس الأعيـاد والحفلات والمـآتم والمنـاســبـات الاجتماعية.

- بعد اقتصادي اجتماعي يستهدف إشباع الحاجات المادية الأساس للبشر، ويحرص على توفير الحد الأدنى اللازم منها؛ ليحفظ كرامتهم وإنسانيتهم، والذي يسميه البعض شروط الحياة الكريمة.
- بعد قانوني ســـياســـي يتطلب تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكومين اســـتناداً إلى عقد اجتماعي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع (العجمي، 2010).

مما يعني أن المواطنة شـــعور وجداني بالارتباط بالدولة التي ولد بها وبأفراد المجتمع الآخرين الســاكنين على أرض تلك الدولة، وخضـوعه للقوانين الصـادرة عنها وتمتعه بشـكل متســـاو مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق والتزامه بأداء مجموعة من الواجبات تجاهها، ويترجم بمجموعة من القيم الاجتماعية والتراث التاريخي المشـــترك، ومن ثم فإن المواطنة هي جذر الهوية الاجتماعية وعصب الكينونة الاجتماعية.

4- أنواع المواطنة

وتنقسم المواطنة إلى أربعة أقسام:

أ- **المواطنة المطلقة:** وفيها يجمع المواطن بين دوره الإيجابي ودوره السلبي تجاه المجتمع وفق الظرف الذي يعيش فيه.

ب- **المواطنة الإيجابية:** وهي التي يشـعر فيها الفرد بقوة انتمائه الوطني وواجبه المتمثل في القيام بدور إيجابي لمواجهة السلبيات.

ج- **المواطنة الســلبية:** وهي التي يشـعر فيها الفرد بانتمائه للوطن ولكن يتوقف عند حدود النقد السلبي ولا يقدم على أي عمل إيجابي لصالح وطنه.

د- **المواطنة الزائفة:** وفيها يظهر الفرد حاملا لشعارات جوفاء بينما واقعه الحقيق ينم عن عدم إحساس واعتزاز بالوطن (تدوينات مواطنات، تاريخ الزيارة 2020/6/5- .(wordpress.com/2013/11/29 nedu2394182.

5- شروط المواطنة

وتتمثل فيما يلي:

أ- الوضع القانوني

تتمثل أبسط معاني المواطنة في أن يكون المرء عضوا في مجتمع سياسي معين أو دولة بعينها، فالقانون يؤسس الدولة ويجعل من المساواة معيارا بين مواطنيها، ويرسي نظاما عاما من الحقوق والواجبات تسري على الجميع دون تفرقة، والمقياس عادة هو الجنسية والتي تحدد من هو المواطن.

ب- المشاركة في الحياة العامة

المعنى الثاني للمواطنة يتمثل في المشاركة في الحياة العامة وعادة ما يشار إلى ذلك بـــ "المواطنة الفعالة" وتشمل مجالات كثيرة كالأحزاب والنقابات وفتح مجال المنافسة بينهم، وعدم وجود أي قيود أو تهديد للناخبين في ممارسة حق التصويت والترشيح سواء في السلطة التشريعية أو الرقابية أو التنفيذية.

ج- العضوية السياسية

المعنى الثالث للمواطنة هو "العضوية في مجتمع سياسي معين" وهذا يرتبط بجانب نفسي مهم يتمثل في الشعور بالانتماء للوطن وليس مجرد إقامة فيه، فإذا شعر الأفراد – المختلفون في الدين والمذهب والثقافة والخلفية الاجتماعية والارتباط السياسي – بالانتماء إلى

الوطن؛ فإن ذلك يؤدي تلقائيا إلى اندماج وانصهار كل المواطنين معا في كيان سياسي واحد دون تفرقة بينهم.

د- الرفاهية الاجتماعية

والتي تعني حق كل مواطن في الحصول على فرص متساوية لتطوير جودة الحياة التي يعيشها، يتطلب ذلك توفير الخدمات العامة للمواطنين، خاصة الفقراء والمهمشين، وإيجاد شبكة أمان اجتماعي لحماية الفئات المستضعفة في المجتمع (فوزي، 2007: 41).

وبصفة عامة نستطيع أن نقول أن المواطنة تعني صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى وطنه، أياً كان وضعه الاجتماعي والاقتصادي.

هـ- الديمقراطية

الديمقراطية تعني كل نظام سياسي يكون نابعا من إرادة الشعب (عبر الانتخاب) وتكون فيه كل السلطات مستقلة عن بعضها البعض – السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية – وخاضعة لسيادة القانون، كما لا يمكن أن نتحدث عن نظام ديمقراطي إلا إذا كان يقوم على أحزاب متعددة، وعلى وجود مجموعات ضغط: كالمجتمع المدني والإعلام الحر وعلى احترام حقوق الإنسان.

ومن أهم الشروط للمواطنة هي توفر الممارسة الديمقراطية، حيث أن المواطنة الحقيقة لا يمكن أن تمارس فعليا إلا في محيط ديمقراطي حقيق يستطيع أن يحدث توازنا بين الحقوق والحريات والالتزامات والواجبات.

وللديمقراطية عناصر معينة تتمثل في:

- **التعددية:** تعني وجود أحزاب سياسية متعددة تتنافس فيما بينها على السلطة في إطار انتخابات نزيهة.

- **احترام القانون:** أي أن كل المواطنين متســـاوون أمام القانون بلا تمييز من أي نوع كان (جنسي، ديني، عرقي) وإن كل العلاقات في الدولة بين المواطنين فيما بينهم أو المواطنين والدولة ينظمها القانون الذي يخضع له الجميع بلا استثناء.
- **ترتيب القوانين تفاضـليا:** بمعنى أن الدسـتور في أعلى الهرم وهو أعلى درجة في القواعد القانونية، ولا يمكن أن يصدر قانون يخالفه، ثم تأتي المعاهدات الدولية والقوانين ثم الأوامر واللوائح، وكل قاعدة قانونية يجب أن تحترم القاعدة التي قبلها.
- **مجموعات ضـاغطة:** وهي وجود سـلطة مضـادة تنتقد الحكومة عند تقصـيرها وتصـحح مسارها بالطرق السلمية من خلال المجتمع المدني والإعلام الحر.
- **انتخابات دورية:** بمعنى اختيار الهياكل المنتخبة لمدة زمنية يحددها القانون مســبقا وعادة ما تتراوح بين أربع وخمس سـنوات حتى تمكن من عدم احتكار السـلطة من طرف حزب أو جهة واحدة (عبد المولى، 2014: 49). أو يندمج ويتوحد مع الكرسـي ويصـبح ولاؤه للكرسي الرئاسي كما يحدث في الأنظمة الدكتاتورية بالعالم الثالث والعربي خصوصا.

ثالثاً: مفهوم المواطنة في الإسلام

(The concept of citizenship in Islam)

الإسلام دين آتى من رب العالمين، دين صالح لكل زمان ومكان، للماضي والحاضر والمســـتقبل، يختلف عن الأديان الأخرى، والتي عبثت فيها الطبيعة البشـــرية القاصـــرة، التي ربطتها بزمن معين، فكل التطورات التي لامسـت الوطنية نجد الدين الإسـلامي قد اخبرنا بها، فالعدل والمسـاواة والشـورى واحترام الإنسـانية مفاهيم وردت في القرآن الكريم قبل أربعة عشـر قرنا، فقد وضـع الإسـلام أول دسـتور مكتوب في تاريخ البشـرية متمثل في "وثيقة المدينة" التي وضعت أسساً للمواطنة بين سكان المدينة المنورة (الشعيبي، 2006: 156).

فمفهوم الشورى مثلا الذي يمثل مصطلح الديمقراطية الآن ورد في قول الله سبحانه وتعالى: "وأمرهم شورى بينهم"، وفي المساواة أقام المسلمون العهود مع أهل الكتاب، وممن سكن معهم وفق قاعدة إسلامية "لهم مالنا وعليهم ما علينا" فلم تحصر المواطنة في الدولة الإسلامية الأولى في المسلمين وحدهم، بل نصت الوثيقة على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من أتباع "الأمة" سياسيا، وحددت ما لهم من الحقوق، وما عليهم من واجبات، وتقرر وثيقة المدينة أن "يهود بني عوف أمة مع المسلمين ولهم دينهم الذي يخصهم"، كما أن الإسلام قد كفل لأهل الذمة حياة كريمة عزيزة لحمتها العدل معهم، والمساواة بينهم وبين المسلمين؛ وفق أحكام الإسلام التي تقرر ذلك، وسادها الرفق بهم والتسامح معهم، وبهذا تكون المساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة هي أولى مقدمات المواطنة المؤسسة على الحرية والديمقراطية والعدل في العرف الإنساني المعاصر، فالله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (الآية 90 سورة النحل).

وتأتي أهمية وثيقة المدينة في كونها حددت القوى والفعاليات الاجتماعية بالمدينة المنورة على مختلف مكوناتها القبلية والدينية حقوقاً وواجبات تجاه هذه الدولة الوليدة، فمن المعروف أن المدينة المنورة التي هاجر إليها الرسول الكريم كانت تتعدد فيها الانتماءات القبلية والدينية، فقد كانت المجموعات البشرية التي بها تتكون من المسلمين واليهود والوثنيين، فأطلقت الوثيقة عليهم اسم أمة حددت العلاقات والواجبات والحقوق بينهم.

المسلمون عندما تمسكوا بهذه التعاليم كانوا أكثر تسامحا حتى مع أعدائهم، وكان من الممكن أن يبنوا نظاما سياسيا يراعي مبدأ المواطنة؛ إلا أنهم كانوا عرضة لممارسات عصرهم، فحولوا حكم الشورى إلى ملكية مطلقة يتلقفها من غلب، وابتعدوا بذلك عن مبدأ الشورى ومقاصد الشريعة، وتطور بعد ذلك مفهوم المواطنة ليأخذ تعبيرات متعددة.

كتب الفيلسوف الفرنسي "روجيه جارودي" جاء النبي منذ عام 622 هـ وقد أصبح مؤسساً لدولة بأول أنموذج للمجتمع، ولم يكن معروفاً من قبل، وهو ليس مجتمع القبيلة القائم على رابطة الدم لدى البدو، ولا يقوم على الالتصـــاق بالأرض لدى الحضـــر، وهو ليس أمة بالمعنى الغربي للكلمة، يعتمد على وحدة الأرض لدى الحضر أو المصالح الاقتصادية أو اللغة أو التاريخ، وإنما مجتمع ديني يقوم على السعي المشترك في إعلاء شأن الله.

وفي ردود العلماء على من نكر في مفهوم المواطنة والجنســـية واعتبرهما بدعة وإحداثًا وليست من الإسلام في شيء، ويستدلون على ذلك بأن رسولنا الكريم نهانا عن ذلك بقوله: "...**وَشَـرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَـلَالَةٌ**..." أخرجه: مسـلم، أبو داود، النسائي، ابن ماجه، أحمد"، وهنا نجد المنهي عنه هو الإحداث في الدين أو الخروج عن مقاصـــده، أما الإحداث لتمكين الدين وتحقيق مقاصـــده فهو من التجديد الممدوح شـــرعا، فالمواطنة والجنسية يتحقق بهما معيار اقتسام الحقوق والواجبات والتراضي، العدل، والعدل هو مقصد الشرع، وبهذا نكون بالمواطنة والجنسية قد أبدعنا وأحسنا ولم نبتدع أو نستحدث في الدين. كما أن هناك من يقول أن مصـــطلحي المواطنة والجنســـية غربيان ونهانا الإســـلام عن التشـــبه بالغرب، والرد على ذلك النهي عن التشـــبه في الأمور الدينية، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: الآية 6"، أما ما لم يرد فيه نص فكان رســـولنا الأعظم يأخذ به كما في فكرة "عقد الســـلم" وهي فكرة يهودية. والإســـلام دائما يقر ما فيه الخير للبشـــرية، والمواطنة تعني حب الوطن ويعتبر من مات مدافعا عن وطنه شهيدًا.

رابعاً: مفهوم المواطنة بعد الثورة الفرنسية

(The concept of citizenship after the French Revolution)

تعتبر الثورة الفرنســـية (1789- 1799) من أهم الأحداث التي غيرت معالم الحياة على الكرة الأرضـــية، لدرجة أن هناك من حاول أن يؤرخ بها؛ وذلك للانقلاب الكبير أو الثورة التي لحقت على إثرها بجميع المجالات المرتبطة بالإنسانية، إذ كانت فترة تحولات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ الســـياســـي والثقافي لفرنســـا وأوروبا بوجه عام، حيث عملت الحكومـات بـالثورة الفرنســـيـة على إلغـاء الملكيـة المطلقـة، والامتيـازات الإقطـاعيـة للطبقـة الارسـتقراطية، والنفوذ الديني الكاثوليكي، وأدت إلى خلق تغيرات جذرية لصـالح التنوير عبر إرسـاء الديمقراطية وحقوق الشـعب والمواطنة، وحول المفهوم الأخير المتمثل في المواطنة كان لها الأثر الكبير في إلغاء نظام الطبقات بين أفراد الشـــعب، حيث أخذ الثوريون الفرنســـيون يخاطبون بعضـــهم بعضـــاً بلفظ "مواطن" منقلبين بذلك على مفهوم "الرعية"، تدليلا على اشتراكهم في العيش في المدينة الواحدة، دون تمييز في الحقوق والواجبات.

فمع الثورة الفرنسية ارتبط المفهوم بالجمهورية، باعتبار أن الهوية الجماعية التي تتشكل من مجموع المواطنين وحدها تملك السـيادة داخل الدولة، وكان تعريف المواطن عند دسـتوريي 1793 "هو الوطني والسـياسـي في الممارسـة"، لأن المواطنة فعل أكثر منها صـفة، هذا الفعل مرتبط مباشرة بالمشاركة في الحياة العامة ومشكلات المجتمع.

وقد تمثلت التطورات التي أحدثتها الثورة الفرنسية فيما يلي:

- كانت ثورة على المفهوم الكلاســـيكي للمواطنة والذي يعبر عن الواجب وأدرجت معه عنصـــراً مهماً متمثل في حقوق المواطنة، وذلك عبر الدســـتور الذي أقر ســـنة 1791، وأهم ما جاء به: السيادة مصدرها الأمة، وفصل السلطات الثلاث التنفيذية والقضـــائية والتشـــريعية، وأصـــبحت فكرة الجمهورية هي الســـائدة بدل الملكية التي تستند إلى نظرية الحق الإلهي، وتعتبر نفسها مصدر التشريعات (الصطوف، 2011).

- أعقب الثورة الفرنسـية مباشـرة إعلان حقوق الإنسـان كنتاج لها واعتبر المواطن فردًا حرًا ومستقلًا، ويتساوى مع غيره في الحقوق دون تمييز.

وبهذا تقوضت سلطة الكنيسة وتجاوز الناس الاعتقاد الديني إلى مبدأ المواطنة، وبات عليهم أن يُسَـلِّمُوا بأن مبدأ الاختلاف في العقيدة لا يحول دون الانتسـاب لمواطنة مشـتركة (الكواري، 2000: 117).

خامساً: أهمية المواطنة

الأوطان في عصـــرنا الحالي لم تعد مقتصـــرة على جنس واحد أو قومية واحدة، بل أصبحت تضم أجناسا بشرية متعددة وقوميات وديانات وطوائف كثيرة، إلا أن الذي يجمعهم جميعا ويحتضـــنهم ويوفر لهم ســـبل الحياة الكريمة هو الوطن، فاختلاف المواطنين في عقيدتهم وعاداتهم وأشـــكالهم وأعرافهم؛ ينبغي أن لا يلغي حقوق المواطنة وواجباتها، وفي ذلك نجد أن المجتمعات المتقدمة تتجاوز الكثير من الانقســـامات والحروب الداخلية بفضـــل المواطنة، التي تميزت بالمســـاواة في الحقوق والواجبات لكل من ينتمي لتلك الدولة، وبنت أمنها واســـتقرارها السياسي والاجتماعي على قاعدة دستورية تضمن العدالة والمساواة للجميع فالكل سواسية أمام القانون، ويمكن أن نجمل أهمية المواطنة في الآتي:

- والوطن هو وعاء المواطنة، فهو يجمع المواطنين على خطة واحدة ومصـلحة مشـتركة ومصـير وآمال واحدة، فالخير للجميع والســوء والشــر يعم الجميع، مما يدفعهم إلى التغاضي عن كل المشاكل الداخلية التي بينهم ويكون همهم الوطن.
- والمواطنة تتناول الوطن بالدرجة الأولى باعتباره الهدف الأسمى من عملية الإصـــلاح وأن اســـتقرار الوطن وتنميته لا تتحقق إلا من خلال إصـــلاح أول لبنة من لبنات تحقيق الوحدة الوطنية، ويمكن أن نجمل أهمية المواطنة في الآتي:

- المواطنة تخفف الخلافات والاختلافات بين عناصـر المجتمع فتكون هذه الاختلافات داعمة لتقوية الولاء للوطن.
- تحقق العدالة والمســـاواة من خلال القانون بين المواطنين، مما يتيح تكافؤ الفرص في الوظائف العامة ومناصب الدولة، وكذلك في توزيع ثروة المجتمع والمسؤوليات.
- تحافظ على حق المواطن، وتضـــمن حقوق الآخرين، وتؤدي إلى ترســـيخ الثقة بين المواطن والدولة.
- لا يكتمل مفهوم المواطنة إلا بنشوء الدولة الديمقراطية، وذلك لممارسة الحياد الإيجابي تجاه معتقدات وإيديولوجيات مواطنيها.
- تعترف بالتنوع العقائدي والديني والطائفي، وتضـــمن حق كل منهم دون المســـاس بحقوقهم أو تفضيل أحدهم على الآخر.
- تعطي الفرصـــة للجميع في المشـــاركة الســـياســـية والانتخابية من خلال انضـــمامه للمجتمع المدني.

سادساً: أهداف المواطنة (Citizenship goals)

للمواطنة أهداف وغايات يمكن أن نذكرها في الآتي:

1- دعم قيم الولاء والانتماء وتعزيزها لدى جميع الأفراد.
2- الوصول إلى درجة المساواة الكاملة بين الجميع في الواجبات والحقوق.
3- دعم المشاركة الجماعية في صناعة القرارات الوطنية المتعلقة بحياة الفرد والمجتمع.
4- المساهمة في تشكيل شخصية المواطن والهوية الجماعية للوطن (الثقافية والاجتماعية، والفلسفية ودعم قدرة الأفراد على التعامل مع الأزمات).

5- بناء نظام سياسي مدني تعددي متنوع في (الحزب السياسي، النقابة، ...) من حيث الثقافة والأيديولوجيا والدين.
6- العمل على ضـــمان اســـتمرار الدولة والمجتمع من خلال تمكين المواطن من حقوقه والدولة من حقوقها، والعمل من أجل رفعة الوطن وتقدمه ونمائه.
7- العمل على تعزيز الانتماء للوطن وخدمته والدفاع عنه، والســـعي من أجل العيش المشترك مع الشريك الاجتماعي الذي يتقاسم الحياة مع الآخرين في الوطن.

سابعاً: متطلبات المواطنة (Citizenship requirements)

تظهر المواطنة بمعناها الحقيق في ظل مجتمع سياسي مؤسسي يحترم الحقوق والواجبات في إطار القانون، الذي هو فوق أي اعتبار مهما كان، وبذلك لا يمكن أن توجد المواطنة الحقة إلا في وجود:

أ- دولة وطنية ونظام ســـياســـي لخدمة الديمقراطية التي تؤكد على (حكم الشـــعب بالشعب وللشعب).
ب- نظام ديمقراطي يوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الخاص والعام، ملتزم بالتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.
ج- نظام قانوني لمعرفة الحقوق الإنسانية للمواطن وواجباته.
د- نظام اجتماعي يعتمد على حب الوطن، ومعرفة حقوقه.
هـ- ســـلوك عملي يعبر عن احترام الأبناء لحقوق وطنهم عليهم، مثل الدفاع عنه وعن المواطنين وحقوقهم وعن حقوق الدولة.

و- احترام نظام الدولة وعلاقته بالحاكم على جميع المســتويات (الدســتوري والقانوني والســياســي والاجتماعي والاقتصــادي والثقافي) فيعبر المواطن في الدولة عن رأيه ومصالحه بحرية في مظلة ضمانات مقررة.

ثامناً: الأسس التي تقوم عليها المواطنة

(The foundations of citizenship)

المواطنة ليست قالبًا جاهزًا آلياً يمكن استحضارها متى دعت الحاجة، إنما هي صيرورة تاريخية، وديناميةمستمرة، حيث تكتسب عندما يتهيأ لها الظرف، ولديها أسس ومتطلبات تختلف نسبيا من دولة إلى أخرى بسبب اختلاف الثقافات والحضارات، والعقائد والقيم، ومستوى النضج السياسي، وبهذا لابد من توفر مجموعة من الأسس والمقومات المشتركة، وحد أدنى من الشروط التي تتجلى من خلالها المواطنة ومن هذه الأسس ما يلي:

أ- وجود بناء ونظام تشريعي قوي وعادل يقوم على الحرية وعدم استبداد الحاكم.

ب- وضوح الأهداف المشتركة للجميع، والتجانس الاجتماعي وقبول الآخر.

أ- توافر المســاواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الدين أو المذهب أو العرف، إذ لا تتحقق المواطنة إلا بتساوي الجميع وإتاحة الفرصة أمامهم، بمعنى التساوي أمام القانون الذي يعتبر المرجع الوحيد في تحديد الحقوق والواجبات، إذ في حالة اهتزاز واختلال مبدأ المساواة؛ سيؤدي إلى تهديد الاستقرار، فعادة كل من يشعر بالغبن والظلم والتقليل من حقوقه مقارنة ببني وطنه، ســيتمرد على القيم، وعلى المجتمع ويصــبح قنبلة موقوتة قابلة للانفجار (غليون، 2006: 14) ولعل ما حصــل في ولاية "مينيســوتا" في شـهر مايو 2020 عندما قتلت الشـرطة الأمريكية شـابًا أسـودَ اسمه "جورج فلويد" ظلما

ثار على إثرها كل السـود وحصـلت أعمال نهب وخراب وتدمير للمنشـآت امتدت إلى أغلب الولايات الأمريكية.

تاسعاً: عناصر المواطنة (Elements of citizenship)

للمواطنة ثلاثة عناصر أساس تتمثل في:

1- **العنصـــر المدني**: الذي يتضـــمن الحرية الفردية وحرية التعبير والاعتقاد، وحق التملك والحق في العدالة، وتحقيق العنصر المدني في المواطنة في المؤسسات القضائية.

2- **العنصر السياسي**: ويعني الحق في المشاركة في الحياة السياسية؛ بوصف المواطن عنصراً فعالاً في السلطة السياسية من خلال البرلمان.

3- **العنصـــر الاجتماعي**: يعني تمتع المواطن بخدمات الرفاهية الاجتماعية، وإشـــباع حقوقه الاقتصادية؛ التي تتضمن التعليم وحسن الرعاية الصحية، وهذه العناصر مجتمعة يمكن أن يتم توضيحها أكثر من خلال المفاهيم الآتية:

- **الانتماء**: أي شـــعور الإنســـان بالانتماء إلى مجموعة بشـــرية ما(مجتمع)، وفي مكان ما (وطن) على اختلاف تنوعه العرقي والديني والمذهبي، مما يجعل الإنســـان يندمج مع خصوصياته، ومن صور الانتماء الولاء للوطن والذي يعني أن الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه تســـمو عن العلاقات القبلية والعشـــائرية والحزبية والعائلية، ولا خضـــوع فيها إلا لسيادة القانون، وأن هذه الرابطة لا تنحصـر في مجرد الشـعور بالانتماء وما يطبع ذلك من عواطف، وإنما تتجلى إلى جانب الارتباط الوجداني، في إدراك واعتقاد المواطن بأن هناك التزامات وواجبات نحو الوطن لا تتحقق المواطنة دون التقيد الطوعي بها.
- **الحقوق**: التمتع بحقوق المواطنة الخاصـة والعامة مثل الحق في الأمن والسـلامة والصـحة والتعليم والعمل والخدمات الأساس العمومية وحرية التنقل والتعبير والمشاركة السياسية.

- **الواجبات:** كاحترام النظام العام والحفاظ على الممتلكات العامة والدفاع عن الوطن والتكافل والوحدة مع المواطنين والمساهمة في بنائه وازدهاره.
- **المشاركة:** المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية (الانتخاب والترشيح) والمشاركة في إدارة المؤسسات العمومية وكل ما يهتم بإصلاح وتقوية وتدعيم مصالح الوطن، بمعنى إمكانية الولوج في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لكل المواطنين بإتاحة الفرصة أمامهم، بما يضمن المساهمة والفاعلية لكل النخب لكي تنخرط في المشاركة والمساهمة في اتخاذ القرارات (كيسلاسي، 2006: 48).

عاشراً: مؤشر قياس المواطنة (Citizenship Measurement Index)

وضع الخبير علي خليفة الكواري مؤشراً لقياس المواطنة، فقد اعتبر الحد الأدنى لاعتبار دولة ما مراعاة لمبدأ المواطنة مرتبطًا بشرطين:

- زوال مظاهر حكم الفرد أو القلة من الناس، وتحرير الدولة من التبعية للحكام، وذلك باعتبار الشعب مصدراً للسلطات وفق شرعية دستور ديمقراطي، يضمن مبادئ ومؤسسات وآليات الديمقراطية على أرض الواقع.
- اعتبار جميع السكان الذين يتمتعون بجنسية الدولة، أو الذين لا يحوزون جنسية دولة أخرى ويقيمون على أرضها، وليس لهم في الحقيقة وطن غيرها، مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، وتوفر ضمانات وإمكانيات ممارسة كل مواطن حق المشاركة السياسية الفاعلة وتولي المناصب العامة.

كما أن هناك جملة من القيم القياسية أو المعيارية تتمحور حول مدى الشعور بالفخر القومي كجماعة سياسية وليس جماعة أولية، من خلال تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وإلى أي درجة يتم تفضيل المصلحة الوطنية على المصلحة المحلية، وكذلك

مدى الوعي بأنواع وأســـاليب حل المشـــاكل الخاصـــة والمحلية والوطنية، والتخلي عن النظرة الدونية لأي طائفة أو جماعة، وأن يكون الجميع تحت طائلة القانون مهما كانت مكانتهم أو مركزهم الاجتماعي أو السياسي، لأن هذه المبادئ ستكون الضامن الحقيق لمنع أي مطالب تقســـيمية أو انفصـــالية كوســـيلة ليتخلص من خلالها المواطن من الظلم والجور (بجك، 2006/12: 102-103).

الفصل السادس

الجنسية وحقوق الإنسان والوطنية من منظور المواطنة

Nationality, Human rights and Patriotism from Citizenship of Perspective

الفصل السادس

الجنسية وحقوق الإنسان والوطنية من منظور المواطنة

Nationality, Human rights and Patriotism from Citizenship of Perspective

تمهيد

نســـتعرض في هذا الفصـــل المواطنة والمفاهيم المتداخلة معها فتارة تحتوي المواطنة وتصـــبح جزءا منها، وتارة تكون أصـــغر منها أو فرعا من المواطنة، هذه المفاهيم تتمثل في: الجنسية وحقوق الإنسان والوطنية والهوية، والتربية الوطنية.

بعض المصطلحات المتداخلة مع المواطنة

Some terms intertwined with citizenship

- الجنسية والمواطنة.
- المواطنة وحقوق الإنسان.
- المواطنة والوطنية.
- المواطنة والهوية.
- التربية الوطنية.

أولاً: الجنسية والمواطنة (Nationality and citizenship)

يمثل الحصول على الجنسية أمراً حيوياً للاعتراف بالشخص بناءً على القانون الدولي، الذي يشمل بنداً مفاده "كل شخص له الحق في الحصول على الجنسية، ويجب عدم حرمان أي شخص تعسفياً من جنسيته أو إنكار حقه في تغييرها.

أما المواطنة فترتبط عادة بحق العمل والإقامة والمشاركة السياسية في دولة ما، أو هي الانتماء إلى مجتمع واحد يضمه بشكل عام رابط اجتماعي وسياسي وثقافي موحد في دولة معينة. وتبعا لنظرية جان جاك روسو "العقد الاجتماعي" المواطن له حقوق إنسانية يجب أن تقدم إليه وهو في نفس الوقت يحمل مجموعة من المســـؤوليات الاجتماعية التي يلزم عليه تأديتها. وينبثق عن مصـــطلح المواطنة مصـــطلح "المواطن الفعال" وهو الفرد الذي يقوم بالمشاركة في رفع مستوى مجتمعه الحضاري عن طريق العمل الرسمي الذي ينتمي إليه أو العمل التطوعي، ونظرا لأهمية مصـطلح المواطنة تقوم كثير من الدول الآن بالتعريف به وإبراز الحقوق التي يجب أن يملكها المواطنون، كذلك المسؤوليات التي يجب على المواطن تأديتها تجاه المجتمع، فضلا عن ترسيخ قيمة المواطن الفعال في نفوس المتعلمين.

إذ قانوناً يدل مصـطلح المواطنة على وجود صـلة بين الفرد والدولة، وبموجب القانون الدولي المواطنة هي: مرادفة لمصـطلح الجنسـية، على الرغم من أنه قد يكون لهما معان مختلفة وفقا للقانون الوطني، والشـخص الذي لا يملك المواطنة في أي دولة هو عديم الجنسـية، وبهذا تُعرف الجنسية على إنها رابطة قانونية سياسية تربط شخصاً ما بدولة ما، مما يجعله واحداً من مواطنيها.

هناك بعض الفروق بين الجنسية والمواطنة تتمثل في:

- المواطنة عرفت في القرن الثامن عشـر بينما الجنسـية لم تعرف سـوى في القرن التاسـع عشر.
- مفهوم المواطنة أوســع وأشمل من مفهوم الجنســية، إذ أن المواطنة ذات رابط معنوي لا تستطيع أن تحدده الدساتير والقوانين.

- عمليا لا تعني اكتساب الجنسية المساواة في الحقوق والواجبات، وهذا ما نلمسه في التمييز الذي يحصل بين المواطنين.
- لا تقتضي الجنسية في بعدها الداخلي المشاركة الديمقراطية، لكنها تشير إلى الأفراد باعتبارهم رعايا لسلطة سياسية سيدة.
- المواطنة مصطلح فضفاض قد يطلق على المجال العالمي وقد يطلق على المجال المحلي، بينما الجنسية تقتصر على المستوى الوطني (رستم، 2015/8/25).

العوامل التي تحدد الجنسية والمواطنة

- الولادة في الوطن (حق التراب).
- جنسية الوالدين (حق الدم): سابقاً كانت محصورة في جنسية الوالد، كما هو الحال في بعض الدول العربية، ثم مع حملات حقوق المرأة أصبحت للوالدين، وتحدد بعض الدول عدد الأجيال التي يمكن أن تحصل على الجنسية دون إقامة في البلد.
- المواطنة بالزواج: إذ تسعى بعض الدول التي تعاني من موجات الهجرة إلى مكافحة حالات الزواج المزورة بغرض الجنسية، ولكن في بعض الدول العربية لا يؤخذ بمسالة الزواج إلا من جهة الأب فقط.
- التجنيس: تعطى الجنسية للأشخاص الذين دخلوا البلاد بشكل قانوني ومنحوا إذن للإقامة أو منحوا اللجوء السياسي مع إقامة لفترة معينة، في بعض الدول يحتاج التجنيس إلى شروط إضافية كاجتياز اختبار يظهر المعرفة بلغة البلد أو عاداتها أو وجود حد أدنى لحسن السلوك كخلو السجل الجنائي من أي حكم، وبعض الدول تمنحها لمن يدخل في حسابه مبلغا كبيرا من العملة الصعبة وإن كان هذا الشرط الأخير غير معلن.

- شروط الولاء للدولة الجديدة: بعض الدول تشترط التبرؤ من الانتماء للمواطنة السابقة وبعض الدول تسمح بازدواج الجنسية؛ ولا تتطلب التبرؤ من الجنسية السابقة.

وهناك عوامل أخرى تقتضـــيها طبيعة الدولة كما في بريطانيا نتيجة الإرث الاستعماري، فإن هناك ستة أنواع من الجنسية البريطانية وهي كالآتي: مواطنون بريطانيون، ورعايا بريطانيون، ومواطنون بريطانيون في الخارج، ومواطنون تحميهم بريطانيا، ومواطنون بريطانيون فيما وراء البحار، وبهذا تختلف حقوقهم إذ يســـجلون في أرض بريطانية في الخارج ويحصلون على جوازات لكن لا يمكنهم العيش أو العمل في بريطانيا، أم في بعض دول أمريكا اللاتينية والمكسيك، فإنه يمكن للشخص اكتساب الجنسية بالميلاد، لكن المواطنة فقط يحصل عليها عندما يبلغ من العمر 18 عاماً، ومن ثم فإن أطفال المكســـيك يمنحون الجنســـية ولا يمنحون المواطنة، وفي أمريكا ليس كل من يحمل الجنســـية الأمريكية مواطنًا أمريكيًا، فهناك أشخاص ولدوا خارج أرض تملكها الولايات المتحدة يملكون جواز سفر أمريكي، يمكنهم من العيش بداخلها ولا يمكنهم من التصويت والترشيح للانتخابات التشريعية والرئاسية أو البلدية (الجازي، (2019/6/24).

ثانياً: المواطنة وحقوق الإنسان (Citizenship and Human Rights)

لاشـــك أن المواطنة بمفهومها الواســـع تعني الصـــلة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشـــكل ثابت، ويرتبط بها جغرافياً وتاريخياً وثقافياً، وبهذا يعد ازدياد الشـــعور بالمواطنة من التوجهات المدنية الأساسية، التي من أهم مؤشراتها الموقف من احترام القانون والنظام العام، والموقف من ضمان الحريات الفردية واحترام حقوق الإنسان، والتسامح، وقبول الآخر، وحرية التعبير وغيرها من المؤشـــرات التي تمثل القيم الأســـاس للمواطنة، مهما اختلفت المنطلقات الفكرية والمرجعيات الفلسفية لهذا المجتمع أو ذاك (أبو حشيش، 2010: 15).

وحقوق الإنسان هي: مجموع النصوص الدولية والوطنية التي تضبط حقوق البشر بمختلف أصنافهم وفئاتهم ومواقعهم، إذ يتمتع كل إنسان بصفته إنسانا بحقوق مختلفة بغض النظر عن جنسيته ولونه وعرقه ودينه وجنسه، ولا يمكن التنازل عنها: كالحق في الحياة والكرامة والحرية، وأساس هذه الحقوق هي أن كل البشر خلقوا متساويين في الحرية والكرامة، أما خصائص حقوق الإنسان هي: الكونية لأنها لا تستثني أي بلد من بلدان العالم، والترابط أي أن كل حق يترابط مع الحقوق الأخرى لا ينفصل عنها، فهي شاملة ولا يمكن حماية حق دون آخر، بمعنى أن حقوق الإنسان يتمتع بها كافة الأفراد الذين على أرض الدولة بغض النظر عما إذا كانوا يحملون الجنسية أو من جنسيات أخرى (عبد المولى (2014: 47).

فالمواطنة وحقوق الإنسان وجهان لعملة واحدة للحياة الكريمة، غير قابلين للفصل أو التجزئة، بل يتسمان بالتكامل والتداخل، ويعتمدان على بعضهما البعض، فهما من أهم أجنحة الديمقراطية، فحقوق المواطنة لا يتمتع بها سوى من يحمل جنسية الدولة التي يقيم بها سواء كانت جنسية أصلية أو مكتسبة، ويترتب على ذلك تمتع مواطني الدولة بكافة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بغض النظر عن النوع أو الدين أو العرق.

أما حقوق الإنسان فيتمتع بها كافة المواطنين على أرض الدولة بغض النظر عما إذا كانوا يحملون الجنسية أو من جنسيات أخرى، كما أن المواطنة وحقوق الإنسان لا تفرق بين الرجل والمرأة، فالمرأة نصف المجتمع، وهي التي تلد النصف الآخر وتشارك في تربيته.

إضافة إلى أن بكل دولة مؤسسات ومنظمات كثرة غير هادفة للربح، يطلق عليها المجتمع المدني تهتم بحقوق المواطنة وحقوق الإنسان وقضايا المرأة والوعي السياسي.

ويمكن أن نجمل بعض النقاط التي توضح الفروق بين المواطنة وحقوق الإنسان في ما يأتي:

- حقوق الإنسان صفة عامة يمكن أن يحصل عليها الجميع، أما المواطنة فمقيدة ومضبوطة ومشروطة بمجموعة من المتغيرات أهمها شرط الجنسية.
- حقوق الإنســـان مجموعة من الحقوق، بينما المواطنة حقوق تقابلها واجبات محددة وفق قوانين معينة.
- يتمتع الفرد بحقوق المواطنة في دولة معينة أو في تحالف معين، بينما حقوق الإنســـان عالمية تسري بكل الدول وكل الأماكن.
- حقوق الإنســـان تتجه أكثر نحو العالمية والوحدة، بينما المواطنة تتجه أكثر نحو الخصوصية.

أما العلاقة بينهما فتتمثل في:

- المواطن إنسان، ولا تمنح صفة المواطنة لغيره من الكائنات الحيوانية والنباتية.
- يعتبر مفهوم المواطنة المحرك الرئيس لتكريس وتفعيل حقوق الإنســـان، وتحويلها من مجرد نصوص قانونية إلى منظومة قيمية.
- لا تزدهر المواطنة ويعترف بها وتمارس بطريقة صـــحيحة إلا في دول تعترف بحقوق الإنسان.

لذا ينبغي أن يكون نوع التربية الذي نعتمده يســـاعد المتعلمين على إدماج قيم حقوق الإنسان من قبيل الاحترام والمساواة في حياتهم اليومية على نحو أفضل، ويشجع على اســـتخدام حقوق الإنســـان كإطار مرجعي في علاقاتنا مع الآخرين، ويشـــجعنا على فحص مواقفنا وسلوكياتنا بشكل نقدي، ومن ثم تحويلها من أجل السلم والوئام الاجتماعي، واحترام حقوق الجميع، حيث أن التربية على حقوق الإنســـان ليســـت معرفية بقدر ما هي قيمية (العماري، 2012: 33).

ثالثاً: المواطنة والوطنية (Citizenship and patriotism)

الوطنية "Patriotism" تتخلق في الفرد جغرافياً وأيديولوجياً فيغدو طابع انتمائه عاطفياً يتلمس كل فعل يظهر هذا الانتماء، بغض النظر عن صوابية هذا الفعل وخدمته لمبدأ المواطنة الحقة، والوطنية مأخوذة أصلا عن "Patriota" الأصل الفرنسي ومعناها "Countryman" أي "إنسان الوطن" وهنا منشأ اختلاف المفهوم فعلاً وممارسته عن مفهوم المواطنة "Citizenship"، وهي محددات لحقوق وواجبات المواطن وولائه للقوانين واللوائح الواردة في دستور الدولة.

ورغم الترابط القوي جداً بين المواطنة والوطنية، هناك بعض الاختلافات التي تتمثل فيما يلي:

الوطنية ترتبط بالوجدانية والعاطفة، بينما المواطنة مفهوم حقوقي قانوني.

- الوطنية تمثل أعلى درجات المواطنة من حيث عمقها وقوتها، إذ يمكن للإنسان أن يكون مواطنًا بمجرد انتسابه إلى دولة، بينما لا يكتسب الوطنية إلا بالعمل لصالح لهذه الدولة أو الجماعة التي انتمى إليها، وذلك بتفضيل المصلحة العامة على مصلحته الخاصة.
- الوطنية أحد البنيات والأبعاد الرئيسية لمفهوم المواطنة، فالجانب النفسي والوجداني للمواطنة لا يفهم إلا في ضوء الوطنية.

ومن هنا فالوطنية والمواطنة ليست كلمات تقال وشعارات وهتافات مرتبطة بالانفعال والحمية، مثل ما يحصل دائما لدى شعوب العالم الثالث، فنتمسك بالكلمات البراقة ولا نقوم بالجانب الفعلي منها، ونترك المهمة والوظيفة المكلف بها، ونمارس الفساد بأنواعه، وننحاز أو ننتخب من منظور قبلي أو عشائري، بل ينبغي أن نحترم العمل ونقوم بواجبنا حياله، وتكون كامل تحركاتنا لغرض زيادة الإنتاج والرفاهية.

رابعاً: الهوية والمواطنة (Identity and citizenship)

مفهوم الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضـــمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة، لتدل على كلمة ماهية الشخص أو "الشيء" المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها (عمر، 2014: 65)، والهوية تعني القواسم المشتركة التي تجعل مجموعة من الناس وحدة واحدة، بمزايا تميزهم عن غيرهم، ومن العناصـــر الأســـاســـية للهوية انطباق اللّغة والدين المشـترك، والتاريخ والمكان المحدد، والتكوين الثقافي والنفسـي، والاقتصـاد والإدارة النوعية والدولة الحاضـــنة، إضـــافة إلى أن من مزايا التربية على المواطنة في تعزيز الهوية إنها تعيد التوازن بين ما هو محلي وما هو كوني عالمي للتخفيف من ســـيطرة قيم العولمة على قيم الهوية، وما ترتب عنها من انهيار للحدود بين الثقافات المحلية والعالمية، وذلك للمحافظة على الهوية الوطنية والخصـوصـية الثقافية بشـكل يضـمن الانتماء الذاتي والحضـاري للمواطن دون تصادم مع الأفكار الرائجة في محيطه.

وبهذا يُعرف "غودولييه" الهوية: بأنها تعني تبلور العلاقات الاجتماعية والثقافية داخل فرد ينخرط فيها ويُحمل على إعادة إنتاجها أو نبذها، وتعرف الهوية أيضـــا بأنها: مركب من العناصـر المرجعية والمادية والذاتية المصـطفاة التي تسـمح بتعريف خاص للتفاعل الاجتماعي، كما تُعرف أيضا بمعنى التفرد، فالهوية الثقافية تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميول وقيم ونظرة إلى الكون والحياة (الحاج، 2000: 145).

وتختلف الهوية عن المواطنة في كونها انتســـاب ثقافي مرتكزة على معتقدات وقيم ومعايير معينة تحددها الثقافة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، والتي يكتســـبها من خلال الولادة وعملية التنشـئة الاجتماعية السـوية التي يمر بها في حياته، فليس الوطن الذي ينتمون

إليه هو الذي يحدد لهم نوع الهوية، بينما المواطنة انتســـاب جغرافي، مرتكزة على الانتماء لأرض محددة تتمثل في مدينة أو دولة ما، (اللطيفي، 2008: 22).

قد تتعارض الهوية مع المواطنة والتي تتجاوز سمات الهوية المتمثلة في الجانب العرقي والديني، إلا أن هذا التعرض قد يُحل إذ اعتبرنا أن الهوية مكوّن تاريخي ارتضاه الأفراد مثله مثل المواطنة، التي تعتبر عقداً اجتماعياً وسياسياً ارتضاه الأفراد أيضا، لدرجة اعتبروا المواطنة هي الهوية المشتركة.

إلا أن هذا قد أدى إلى غياب المواطنة في معظم مجتمعات العالم الثالث، وإحلال الهويات الفرعية محلها، وغياب روح الانتماء عن المجتمع؛ الأمر الذي أفرز ظواهر سلبية يمكن ملاحظتها بسهولة، من هجرة للكفاءات والرغبة المستشرية في الهجرة بأي شكل (بن دحمان، 2011: 5).

خامساً: التربية الوطنية

تعد التربية الوطنية من الأهداف التربوية العامة التي تســـعى إلى غرس قيم المواطنة لدى الطلبة، وترسـيخ انتمائهم لوطنهم من خلال زيادة وعيهم لإيجاد المواطن الصـالح الذي يســـهم في تنمية مؤســـســـات المجتمع المدني بفاعلية، والذي يمتلك القدرة على الحكم على الأشياء وتكوين الرأي الشخصي لهم، وتعتمد تربية المواطنة على الممارسات والتطبيقات التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني ككل فهي مسؤولية مشتركة بين هذه المؤسسات كالأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع الأخرى.

ويرى دوركايم بأن التربية انتقال للثقافة والقيم الاجتماعية من جيل لآخر، أي من الجيل الناضـــج إلى الجيل الناشـــئ، وهي كذلك عملية اجتماعية شـــاملة ومســـتمرة تتولاها

مؤسـسـات متعددة، ويتم توجيهها بأهداف معينة من أجل توجيه الأفراد وفق فلسـفة معينة متفق عليها من قبل المجتمع وتوزعت أدوارها على المؤسسات المختلفة.

ومن وظائف التربية ما يأتي (الجرواني 2011: 5-6):

أ- المحافظة على المجتمع واستمراره، حيث أن من أهم أهداف التربية جعل الفرد قادراً على التكيف مع البيئة المحيطة به، حيث لا يقتصـــر دور التربية هنا على المحافظة على المجتمع بل إضـــافة إلى ذلك إعداد المواطنين وتوليد شـــعور الولاء والانتماء للوطن لديهم.

ب- استمرار وتجديد ثقافة المجتمع، وقد ازدادت أهمية هذه الوظيفة في العصـور الحديثة تحت تأثيرين هما: تعقد الجماعة وحاجة الجماعة إلى مضـــاعفة الجهود من أجل المحافظة عليها، بالإضـافة إلى ظهور النظم الديمقراطية التي تحتم تعميم هذه الثقافة بين كافة أفراد المجتمع.

ج- التماسـك الاجتماعي، ويكون هذا التماسـك من خلال خلق جيل جديد يتمتع بصفات اجتماعية تضمن استمرار وتقدم المجتمع وتوحيد الأفراد ضمن أطر تربوية اجتماعية معينة.

د- إرساء قواعد الديمقراطية، فالتربية تعرف الأفراد بقدراتهم وتشـجعهم على التمسـك بحقوقهم والقيـام بواجبـاتهم وعلى أن يتمتعوا بـدرجـة عـاليـة من الثقـافـة والوعي والمشاركة الفعالة في تطوير مجتمعاتهم.

هـ- تحقيق التقدم الاقتصادي والتنمية المستقبلية حيث أن أهداف أي نظام تربوي هي تأهيل الأفراد للمساهمة في العمليات الإنتاجية وسوق العمل بكفاءة.

سادساً: المواطنة والتنمية

أصبح الوصول إلى المواطنة الحقيقة يُشكل هما أساساً لدى المفكرين وذلك ليقينهم أنه بدون المواطنة لا يمكن أن تتحقق التنمية الحقة، التي تنعكس على الفرد والمجتمع بصورة مخرجات حضارية تساهم في البناء الإنساني، وقد أدى غياب المواطنة في معظم مجتمعات العالم الثالث إلى إحلال الهويات الفرعية، وغياب روح الانتماء عن المجتمع العام؛ الأمر الذي أفرز ظواهر سلبية يمكن ملاحظتها بسهولة، من هجرة للكفاءات والرغبة المستشرية في الهجرة بأي شكل، والفساد وتخريب وسرقة المال العام، وغيرها من الظواهر الهدامة.

هذه المظاهر الهدامة والتي أصبحت سمة للمنطقة العربية، رسخت فكرة لدى السكان زعزعت اليقين لديهم بإمكانية التغيير والتنمية، مما ولدت نظريات سلبية تتمحور حول التعايش مع وضعيات تغيب فيها قيم المواطنة، وتروج لانتماءات بديلة يرى فيها الإنسان نفسه كالانتماءات القبلية والعشائرية وهذا من شأنه أن يضعف الولاء للدولة (بن دحمان، 2011: 5).

وتربية المواطنة تسعى عادة إلى تنمية وعي المواطن بنظام حقوقه وواجباته وترسيخ سلوكه وتطوير مستوى مشاركته في حياة المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك بتغليب الانتماء إلى الوطن على أي انتماء آخر، وإذا كانت التنشئة مرتبطة بالمواطنة ارتباطاً قوياً، فإن المواطنة ترتبط مع التنمية ارتباطاً عضوياً وجدلياً، الأمر الذي يجعلها جزءاً لا يتجزأ من عملية التنمية المستدامة، إذ أن التنمية خاصة المستدامة منها تشكل البعد العملي للانتماء الوطني اجتماعيا وبيئيا واقتصاديا، حيث أنها مشاركة فعلية تهدف إلى التطوير باستخدام الموارد والأدوات والوسائل والطرائق الملائمة لبلوغ الأهداف، وفقا للمعادلة التالية (قل لي فأنس، علمني فأتذكر، أشركني فأتعلم)، ولاشك أن مبادئ المواطنة تلتقي مع أهداف التنمية المستدامة إذ

كلاهما يدعو إلى الحرية والمســاواة والديمقراطية والحياة الكريمة، وســيادة القانون والتي لا يمكن إحراز التنمية والتقدم دونهم، فلا يمكن أن ننمي شعبا مهمشًا ومستعبدًا وفاقد حريته وممارسًا عليه الإقصاء.

الفصل السابع

دور التربية والتعليم في تعزيز قيم المواطنة

The Role of Education in Promoting the Values of Citizenship

الفصل السابع

دور التربية والتعليم في تعزيز قيم المواطنة

The Role of Education in Promoting the Values of Citizenship

تمهيد

يتطرق هذا الفصـــل إلى دور التربية والتعليم في تعزيز قيم المواطنة، هذه القيم التي أصبحت في العصر الحديث تتسم بأزمة حقيقة نتيجة لطغيان المادة على ما حولها من قيم ومبادئ، فالتقدم الباهر الذي وصل إليه الإنسان لم يحقق له التوازن النفسي الذي يبتغيه، بل أنه ساعد على اهتزاز القيم وضحالتها بداخله، فأصبح كل ما يهمه المادة فحسب، فهو لا يرى إلا ذاته، ولا يســـمع إلا صـــوته، ونتيجة لهذا ضـــعفت القيم التي تحافظ على الترابط الاجتماعي (العماري، 2012: 30)، لعل ذلك ما أكده "أجبرن" عندما تكلم عن الهوة الثقافية، باعتبار أن الجانب المادي دائما يسبق الجانب الثقافي.

من هنا أصـــبحت الحاجة ماســـة إلى التربية والعملية التعليمية التي هدفها عادة مد الأفراد بالقيم الاجتماعية الإيجابية، كقيم الانتماء الوطني ومشاعر الوحدة الوطنية، وتماسك المجتمع وتنظيم العلاقات الإنسانية الجيدة بين الأفراد (بوحرده، 2018/6: 374).

وتوضيحا لذلك سنستعرض مكونات الفصل في الآتي: دور المؤسسة الأسرية في تعزيز قيم المواطنة، ثم دور المؤسسة التعليمية في تعزيز قيم المواطنة، إضافة إلى أساليب تعزيز قيم المواطنة عبر التنسيق والشراكة.

أولا: دور المؤسسة الأسرية في تعزيز قيم المواطنة

(The role of the family institution in promoting the values of citizenship)

تعد الأسـرة من أهم مؤسـسـات التنشـئة الاجتماعية وأداة من أدواتها؛ التي تحاول غرس القيم والعادات والمعايير لدى أفرادها، حيث تبدأ عملية اكتسـاب القيم منذ الصـغر وبتأثير الوالدين يكتسب الأبناء القيم التي تعزّز المواطنة لدى الأطفال من خلال التأكيد على القيم الآتية:

1- ربط الطفل بدينه، وتنشـئته على التمسـك بالقيم الإسـلامية، والربط بينها وبين هويته الوطنية، وتوعيته بالمخزون الإسلامي في ثقافة الوطن باعتباره مكونا أساسًا له.
2- تأصـيل حب الوطن والانتماء له في نفوس الناشـئة في وقت مبكر، ويتم ذلك بتعزيز الشـعور بشـرف الانتماء للوطن، والعمل من أجل رقيه وتقدمه، والدعوة إلى إعداد النفس للعمل من أجل خدمة الوطن ودفع الضـرر عنه، والحفاظ على مكتسـباته، والمشاركة الفاعلة في خطط تنميته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
3- تعويد الطفل على الطهارة الأخلاقية وصـيانة النفس والأهل والوطن من كل الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الذميمة، وحثه على التحلي بأخلاقيات المسـلم الواعي بأمور دينه ودنياه.
4- تعزيز الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية للطفل، وبث الوعي فيه بتاريخ وطنه وإنجازاته، وتثقيفه بالأهمية الجغرافية والاقتصادية له.
5- العمل على إدراك الطفل للمعاني التي يرمز لها "العلم"، والنشـيد الوطني، وذلك لاحترام قادة وولاة أمر الوطن، حسب الطريقة التي تم بها اختيارهم.
6- تعويد الطفل على احترام الأنظمة التي تنظم شؤون الوطن وتحافظ على حقوق المواطنين وتسير شؤونهم. والعمل بها.

7- تهذيب سلوك وأخلاق الطفل، وتربيته على حب الآخرين والإحسان إليهم، وعلى الأخوة بين المواطنين، وحب السعي من أجل قضاء حاجاتهم لوجه الله تعالى والعمل من أجل متابعة مصالحهم وحل مشاكلهم ما أمكن ذلك.

8- تعويد الطفل على حب العمل المشترك، وحب الإنفاق على المحتاجين، وحب التفاهم والتعاون والتكافل والألفة بين كافة المستويات الاقتصادية في الوطن.

9- تعزيز حب الوحدة الوطنية في نفس الناشئة، وحب كل فئات المجتمع بمختلف انتماءاتهم، والابتعاد عن كل الإفرازات الفئوية والعرقية والطائفية الممقوتة، مع التأكيد على الفرق بين الاختلاف المذهبي المحمود وبين التعصب الطائفي المذموم.

10- نشر حب المناسبات الوطنية الهادفة والتفاعل مع أنشطة المؤسسات الأهلية وإسهاماتها في خدمة المجتمع بالمشاركة في الأسابيع التي تدل على تعاونه، كأسبوع الشجرة وأسبوع المرور، وأسبوع العناية بالمساجد وغيرها.

11- تعزيز حب التعاون مع أجهزة الدولة على الخير والصلاح، مع التأكيد على الابتعاد عن كل ما يخالف الأنظمة من سلوكيات غير وطنية، ومفاسد إدارية ومالية ومقارعتها والسعي للقضاء عليها.

12- تعزيز حب الدفاع عن الوطن ضد كل معتد عليه، والدفاع عنه بالقلم واللسان والسلاح.

13- العطف على المواطنين الضعفاء والمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. وغرس روح المبادرة للأعمال الخيرية.

14- غرس حب العمل التطوعي، وحب الانخراط في المؤسسات الأهلية الخادمة للوطن (الزهراء، 2018/9: 273-275).

ثانيا: دور المؤسسة التعليمية في تعزيز قيم المواطنة

(The role of the educational institution in promoting the values of citizenship)

إن تنمية قيم المواطنة لدى الأفراد من أنماط التنشـــئة الاجتماعية التي تقوم بها مؤســـســـات التربوية الرسمية أو غير الرسمية، وذلك على اعتبار أن التنشـــئة الاجتماعية من العمليات الأساس في حياة الفرد، فمن خلالها تتبلور شخصية الفرد.

وتكمن أهمية تلك العملية في أنها تقوم ببناء الفرد ليصـــبح شـــخصـــية قادرة على التفاعل في المحيط الاجتماعي؛ الذي يحتويها منضـــبطا بضـــوابطها، وقادرا على الاندماج في المجتمع عبر مجموعة من الوظائف الايجابية والسلوكيات المدنية الفعالة، كما تساعد الفرد على الانتقال من الاتكالية المطلقة والاعتماد على الآخرين، والتمركز حول الذات في المراحل الأولى من عمره، إلى الاســـتقلالية والإيجابية والاعتماد على النفس، وذلك عبر المراحل الارتقائية من عمره (الحامد، 2009/5/10: www.almarefh.org).

وانطلاقاً من أن التعليم أفضـل الوسـائل في تنمية الشـعور بالمواطنة الصـالحة، ومن إيماننا بدور الأجيال المتعاقبة في ممارسة أدوار المواطنة، وكذلك من طبيعة الجامعة بشكل عام، وكليات التربية والآداب، كمؤســـســـات علمية وتربوية وتعليمية وتنموية، فإن الأنظار دائماً تتوجه إليها في إعداد الكوادر والطاقات والقوى البشـــرية المؤهلة والعلمية، كذلك غرس قيم ومعتقدات المجتمع في نفوس الطلبة وتكوين اتجاهات إيجابية نحوها.

كل ذلك يحدث على اعتبار أن هؤلاء الطلبة ثروة الوطن ووســيلة التنمية الشـــاملة وغايتها، ويتحدد دور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة من خلال خلق مناخ أو بيئة تعليمية مناسبة تشجع الطلبة على اكتساب هذه القيم، كذلك يتحدد هذا الدور من خلال أســتاذ الجامعة الذي يجب أن يكون قدوة حســنة أمام الطلبة، في قيامه بدور المربي الفاضــل

الذي تتجسد في شخصيته تلك القيم، ويكون أقرب إلى الديمقراطية ويكّون علاقات ودية بينه وبين الطلبة، يحترمهم ويسمح لهم بالتعبير عن رأيهم بحرية.

يضاف إلى ذلك الأنشطة الطلابية التي تلعب دوراً بارزاً في تنمية قيم المواطنة داخل الجامعة، من خلال تجسيد روح التعاون والعمل التطوعي والتسامح والعدل والمساواة والمشاركة، بل قبل ذلك يأتي دور المقررات والخطط الدراسية في تنمية قيم المواطنة بما تتضمنه من محتوى معرفي ومواقف تسهم إسهاما كبيرا في هذا الجانب، الذي يفترض أن يتخذ الطابع الآتي:

1- وضع المتعلم في قلب اهتمام وتفكير وفعل إي عملية تعليمية، والأخذ بعين الاعتبار خصوصياته الفردية داخل جماعة الفصل غير المتجانسة.
2- غرس حب العمل التطوعي، وحب الانخراط في المؤسسات الأهلية التعليمية الخادمة للوطن.
3- المراجعة الشاملة لمناهج التعليم بمختلف المراحل من قبل لجان نوعية متخصصة لها خبرة تحليلية نقدية في مجالاتها، للوقوف على الثغرات الحقيقة وعلى طبيعة العوائق التي تحول دون تحقيق أهداف التربية من أجل المواطنة من خلال هذه المناهج.
4- التركيز على الأنشطة الرمزية في التعليم، وذلك انطلاقاً من أن قيم المواطنة يمكن ترسيخها عند الطالب عبر أنشطة رمزية توجد في المؤسسة التعليمية بشكل اعتيادي مثل: تحية العلم، وأداء النشيد الوطني، وتكريم النماذج المجتمعية البارزة، والاحتفال بالمناسبات الوطنية.
5- الربط بين المضمون النظري في المنهج وتطبيقاته العملية، فالمواطنة تنمو أساساً من خلال الممارسة، وتدعم السلوكيات الإيجابية في التعامل مع المجتمع.

6- تطوير طرق التدريس بحيث لا تتعرض لمفاهيم المواطنة بشـــكل تلقيني للحفظ، وإنما تتعرض لها بأساليب جاذبة ومحايدة في الوقت ذاته.

7- التوعية بأن تنمية المواطنة عملية شـاملة ومسـؤولية جماعية، تشـارك فيها المؤسـسـات التربوية والبيئة المحلية المحيطة.

8- إدراج مادة التنشئة والمواطنة في كافة المراحل الدراسية نظراً لأهميتها البالغة.

9- تضـــمين المناهج قيم وقضـــايا وتوجيهات فاعلة في تكريس قيم المواطنة، من قبيل احترام الآخر والتســـامح ولغة الحوار، واحترام التنوع والتعاون والنقد البناء، والتفكير العلمي الهادف، وحب العمل، وممارسـة الرياضـة، والمشـاركة لشـركاء الوطن، والعدل وغيرها من المبادئ التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي.

هذه الأهداف السامية لن تتحقق إلا باعتماد فلسفة تربوية تقوم على برامج ومناهج حية تسـتهدف ترسـيخ قيم المواطنة والسـلوك المدني وقيم حقوق الإنسـان، إضـافة إلى تأهيل المعلم وعضـــو هيأة التدريس، وذلك بالنظر إلى أهمية دورهما الفعال في تشـــكيل شـــخصـــية الطالب، وتكوين قيمه واتجاهاته، وهو الدور الذي يتطلب تفعيله مراعاة الجوانب الآتية:

أ- يتم اختيار المعلم الواعي الملهم مجتمعياً، ويتم ذلك عند قبوله من البداية بكليات التربية بتطبيق اختبارات تبين وعيه وجدارته، واختبارات أخرى عند تخرجه لمعرفة قدراته في التواصل مع الطلبة، وإعطاء المثل الأعلى والقدوة الحسنة للطلاب.

ب- التطوير الدائم من أداء المعلم ورفع كفاءته، وتطبيقه لأســـاليب الحوار الديمقراطي، وتعليم الطلاب مبادئ المشاركة في صنع القرار وتحمل المسؤولية.

ج- تقييم المعلم باستمرار، ودعمه ماديا ومعنويا حتى لا تجبره الحاجة على إهمال عمله.

من خلال ما تم طرحه نجد أن موضـوع التعليم والتعلم ,وتأثيره على المواطنة، أو كما يحلو للبعض تسـمـيته "بالتربية المدنية"؛ يحتل مكانة بارزة في اهتمامات المجتمع بكافة فئاته وشرائحه المهنية، حيث تناوله السياسيون والتربويون والمثقفون في محاولة منهم لمعرفة دوره على المواطنة وتعزيزها وتعميمها، في أوسـاط عامة الناس، بالأخص في أوسـاط الطلبة، كونها الأنشـطة الطلابية تلعب دورًا مهمًا وبارزًا في تنمية قيم المواطنة في الكليات من خلال تجسيد روح التعاون والعمل التطوعي والتسـامح والعدل والمسـاواة والمشـاركة، إضـافة إلى دور المقررات والخطط الدراسـية في تنمية قيم المواطنة بما تتضـمنه من محتوى يغذي النشـأ على حب الوطن والعمل من أجل تطويره وتنميته.

ثالثا: أساليب تعزيز قيم المواطنة عبر التنسيق والشراكة

(Methods to enhance the values of citizenship through coordination and partnership)

لا يخفى على أحد أهمية القيم إذ بدون القيم تنحط الجماعة البشـرية إلى مرتبة الحيوانية، بل وأقل منها مرتبة في بعض الأحيان، والدليل على ذلك من يتصـور منا مجتمعًا خاليًا من الوفاء والصـدق والأمانة والإخلاص وغيرها من القيم النبيلة؟ إذا لا بد من تعزيز القيم الخيرة، القيم التي تحافظ على العلاقات الإنسـانية والمشـاركة والعمل الجماعي وحب الإنسانية والتي تتمثل في (الحامد، 2009/5/10، www.almarefh.org):

1- غرس قيم الانتماء والمشاركة والمواطنة والعمل والإنتاج والإنجاز.
2- تجذير الانتماء والولاء للوطن وخدمته، والإسهام في تحقيق التنمية الاجتماعية.
3- تفعيل الاهتمام بتربية المواطنة بدءاً من مرحلتي الطفولة والشباب في جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية.
4- تشجيع الحوار الأسري وتواصل الأجيال.

5- تمكين الطلبة والشـباب من إدراك أدوارهم كمواطنين يتمتعون بحقوق وطاقات متميزة للتأثير الفاعل على مسار حياتهم ومستقبل مجتمعهم.

6- فتح حوار معمق مع الشباب وبين الشباب أنفسهم، وتمكينهم من التعبير عن رؤيتهم كشركاء.

7- تعزيز ثقافة المشاركة والحوار والتسامح والتعايش مع الاختلاف.

8- تَقَبُّل الشـــباب والإنصـــات الفاعل إليهم، والعمل معهم بإيجابية وتعزيز ثقتهم بأنفسهم.

9- صـــقل مهارات الشـــباب في الاتجاه الذي يلبي متطلبات المواطنة والانفتاح على المستقبل.

10- تمكين اليافعين من التعبير عن آرائهم وفقاً لقدراتهم ودرجة نضجهم.

11- تمكين الطلاب من اختيار ممثليهم في مؤسسات المجتمع المدني بحرية.

12- تشجيع تأسيس الجمعيات الشبابية، وتجذير المواطنة داخلها.

13- تعزيز المبادرات الطلابية والشبابية الإبداعية التي تقوي الإحساس بالانتماء والتضامن والمسؤولية والقيادة لديهم.

14- تفعيل المجالس المدرسية والجامعية التي يشترك فيها الطلاب.

15- تطوير مناهج التربية الوطنية لرفع ثقافة النشـــأ الجديد حول تاريخ الوطن وجغرافيته، مؤسساته، مبادئه الوطنية، أنظمته، ...الخ.

16- إكساب المتعلم ما يأتي:

أ- الكفاءات الأساس التي تمكنه من الاضطلاع بالمهام الآتية:

- ممارسة النقد الذاتي، والمشاركة في اتخاذ القرار.

- التحلي بالخلق الرفيع واستعمال العقل في الحوار واحترام آراء الآخرين.

ب- القيم العلمية المتمثلة فيما يلي:

1- التميز الأمانة، الموضوعية، وحب الاكتشاف والمثابرة.

2- أداء الواجب، والتمسك بالحقوق، والإيمان بمبادئ العدالة الاجتماعية.

3- تحمل المسؤولية وممارسة الأساليب العقلانية في الحوار.

4- العمل بروح الفريق، وممارسة العمل الجماعي والتطوعي في الأنشطة الحياتية.

5- الإيمان بالوحدة الوطنية باعتبارها ضرورة حتمية للتقدم.

6- الانتماء للوطن القُطْري (ليبيا)، وللأمة العربية والإسلامية.

7- الاهتمام بمشكلات الوطن، وحماية انجازاته، والحفاظ على استقراره.

8- تقدير المصلحة العامة، وتقديمها على المصلحة الخاصة، والتضحية من أجل الصالح العام.

9- الإيمان بالتعددية في إطار الوحدة الوطنية، واستثمارها في مصلحة الوطن.

10- تنويع أساليب تعليم التربية الوطنية لتشمل: برامج تدريبية، وورش للعصف الذهني والتوعية، والزيارات الميدانية ...إلخ.

11- تنويع برامج النشاط الطلابي لتشمل برامج تربوية واجتماعية وثقافية وبيئية وإرشادية وكشفية وسياحية وغيرها.

12- بناء شبكة شراكات فاعلة بين مختلف المؤسسات الوطنية المعنية.

13- تعريف الطلبة والشباب بأحدث المستجدات في وطنهم وتعزيز ثقافتهم بها.

14- تمكين الطلبة من مهارات الحياة المعاصرة كالاتصال والتفاوض والحوار وحل المشكلات.

15- استثمار المنابر التربوية والإعلامية والدينية في تعزيز قيم المواطنة الصالحة وممارساتها.
16- تأهيل المعلمين باتجاه تربية المواطنة والعمل على تطوير قدراتهم في ذلك عن طريق الدورات التدريبية وورش العمل المتخصصة.
17- إعداد برامج مدرسية وجامعية مرافقة للمنهج، من أجل تعميق المفاهيم المرتبطة بتربية المواطنة ونشرها.
18- توجيه نشاطات الأندية الرياضية والثقافية لخدمة مفاهيم المشاركة والاندماج والوحدة الوطنية والتنمية (إدريس، 3013، http://kenanaonline.com).

هذه القيم إيجابية ترتبط بواقع الحياة اليومية ارتباطاً وثيقاً، لأنها ينبغي أن تكون في البيت والمصـــنع والمدرســـة والوظيفة والنادي، بحيث يظهر الإخلاص في العمل والصـــدق في القول والفعل، وفي ذلك يؤكد المفكرون المختصون بتربية المواطنة وبسبل تحقيق المواطنة الفعالة على إعطاء أهمية خاصـــة لتربية الطلبة من أجل المواطنة، لأنها الســـبيل لزيادة مشـــاركتهم المجتمعية والسياسية، وعليه تتحول المواطنة من مجرد شعارات إلى وعي وإيمان بالدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه المواطنون في أي بلد في تحقيق التقدم والرخاء.

وفي دراسة قام بها: (سكوجورنسكاي) عن ظاهرة العجز الديمقراطي، والتي تشير إلى تدني مشاركة الشباب في بعض الدول الغربية؛ إلى ضعف اهتمام النظام التعليمي من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة بتربية روح المشاركة والتفاعل والعمل، الذي يعكس المواطنة النشطة.

ويرى بوتنام (Putnam) أن الاهتمام بالتربية من أجل المواطنة ضـــروري من أجل تفعيل المشـاركة المجتمعية، لأن المعرفة بالشـؤون العامة للبلد والعالم، وممارسـة المهارات المدنية بشـكل يومي تعتبر متطلبات أسـاس للمشـاركة الفعالة، ويؤكد بوتنام على أهمية تبني منهج لا يركز على المعلومات فقط، بل يســـاعد الطلبة على التعرف على كيفية المشـــاركة الفعالة في

مجتمعهم، وعلى التعلم بالخدمة، فمتى ما شـــارك الطلبة في أنشـــطة لخدمة المجتمع فإن ذلك يزيد من فرص نمو معرفتهم بالشؤون المدنية، ويصقل مهارات تحمل المسؤولية والقيادة والتعاون وتقدير الذات لديهم (الغريبية، 2015: 11-13).

الفصل الثامن

تربية قيم المواطنة التنظيمية

Education and Citizenship Values

الفصل الثامن

تربية قيم المواطنة التنظيمية

Education and Citizenship Values

تمهيد

عندما يشعر الفرد بأن المكان الذي يقطن فيه ملك له ولأفراد أسرته وأبناء مجتمعه، يستطيع أن يجد فيه راحته، ويحقق فيه طموحه، وتتاح الفرصة له مثله مثل أي فرد آخر من المجتمع، وهناك قانون يضمن له حقوقه، ويسمع صوته ويؤخذ برأيه، حتما سيعزز ذلك من المواطنة لديه، ويجعله يشعر بأن الوطن هو بيته الكبير، الذي يجب أن يحافظ عليه ويساهم في بنائه وتنميته، وتكون أعماله طوعية دون انتظار مكافأة أو حافز يقدم له، ومن هنا ستكون تنمية القيم التي تساهم في المواطنة وستعزز الثقة لدى المواطن وتقوي محبته لوطنه حتى يصبح جزءا منه، فيقوم اتجاه الوطن بأعمال من تلقاء ذاته ودون أن تطلب منه لصالح المؤسسة التي ينتمي إليها.

وفي هذا الفصل سنعرض لمفهوم المواطنة التنظيمية، وخصائص سلوك المواطنة التنظيمية، ثم الأهمية ومكونات المواطنة التنظيمية، إضافة إلى مبادئ المواطنة وعلاقة التنشئة بتربية المواطنة، وأخيرا كيفية تعزيز المواطنة بالتنشئة الاجتماعية.

أولاً: مفهوم المواطنة التنظيمية

(The concept of organizational citizenship)

مفهوم المواطنة التنظيمية من المفاهيم الحديثة نسبياً في الفكر المعاصر، حيث ظهر الاهتمام به أواخر القرن العشرين على يد المفكر الأمريكي " Organ Podsakoff" وإن

كانت فكرته الأولى تعود إلى عالم الإدارة الأمريكي "Robart Kats" عام 1964 الذي ميّز بين دور الفرد الرسمي في العمل والسلوك الطوعي الذي يعد أساساً لفاعلية المؤسسات، واعتبر أن المؤسسات التي تعتمد على قيام العاملين بمهامهم الرسمية فقط هي مؤسسات ضعيفة، وغير قادرة على الاستمرارية. وبذلك خلال العقد الماضي زاد الاهتمام بمفهوم سلوك المواطنة التنظيمي، كونه سلوكًا غير محدد ولا يرتبط رسمياً بنظم الحوافز وتقييم الأداء بالمنظمات، كما أنه سلوك هام لكل المنظمات، نظرا لأن المنظمات التي تعتمد فقط على السلوك الرسمي تعتبر نظم هشة سهلة الكسر، كما ورد في رأي (Katz) لذا يجب أن تترك المنظمات جزءاً من السلوك غير محدد للأفراد حتى تكون لديهم مقدرة على التعامل مع المواقف غير المتوقعة والتي تتطلب التصرف الابتكاري من قبل الأفراد.

وقد عرف (Konovsky & Pugh) هذا النمط من المواطنة بأنه: سلوك وظيفي يؤديه الفرد طواعية ويتعدى حدود الواجبات الوظيفية المحددة له، كما أنه لا يتم مكافأته من خلال هيكل الحوافز الرسمية بالمنظمة (الكردي 2011، https://kenanaonline.com/files/0011/11894)

كما عرفه (Wayne, 1993) بأنه: سلوك الأدوار الإضافية والتي تتعدى حدود الوظيفة.

وعرفه كذلك (Chattopadhyay, 1999) بأنه: السلوك الاختياري الذي لا يوجد في بطاقة وصف الوظيفة ولا يُلزِمُ المدير أو الرئيس الفرد القيام به.

كما عرفه (Niehoff & Moorman 1993) بأنه: سلوك الدور الإضافي، فهو سلوك اختياري يقوم به الفرد دون إجبار، كما أنه لا يرتبط بنظم الحوافز الرسمية داخل المنظمة (القحطاني، 2014: 43-45).

ثانياً: خصائص سلوك المواطنة التنظيمية

(Organizational citizenship behavior characteristics)

للمواطنة التنظيمية سمات معينة تميزها عن غيرها وقد بين المفكرون عدة خصائص لسلوك المواطنة التنظيمي من أهمها:

أ- سلوك نابع من المبادرة الذاتية ويخضع للإرادة التطوعية الحرة للفرد.

ب- أنه سلوك اختياري وغير ملزم به الفرد، فهو لا يوجد في وصف الوظيفة الخاصة بالفرد.

ج- أنه سلوك تطوعي ينبع من الأدوار الإضافية التي يمكن أن يقوم بها الفرد، رغم أنه لم ينص عليه القانون ضمن واجباته الوظيفية، بل يعتمد على مبادرة الفرد ويخضع لرغبته وإرادته الحرة.

د- أنه يسهم في زيادة فعالية المنظمة ويرتقي بها ويحقق أهدافها الكلية وخططها الاستراتيجية.

هـ- الفرد الذي يؤدي الأدوار الإضافية لا ينتظر مكافأته من خلال نظم الحوافز الرسمية بالمنظمة.

و- سلوك يرتبط بالأدوار الإضافية ويتعدى حدود الواجبات والأعباء الأساس.

ثالثاً: أهمية سلوك المواطنة التنظيمية

(The importance of organizational citizenship behavior)

أثبتت الدراسات أن لسلوك المواطنة التنظيمية دورا مهماً في كونه يساهم في تحسين الأداء الكلي للمؤسسة عن طريق بناء علاقات تبادلية بين الموظفين في الإدارات المختلفة، وكذلك في انخفاض نسب الغياب، والحد من سلوكيات التأخير والاستئذان لدى العاملين،

كما بين (Netemeyer 1997) أهمية سـلوك المواطنة التنظيمي في الأداء الكلي للمنظمة من خلال إبرازه لوظائفه الآتية:

- يمد سلوك المواطنة التنظيمي الإدارة بوسائل للتفاعل بين الأفراد داخل المنظمة والذي بدوره يؤدي إلى زيادة النتائج الإجمالية المحققة.
- نظراً لندرة الموارد بالمنظمات، فإن القيام بالأدوار الإضـــافية التي تنبع من ســـلوك المواطنة التنظيمي يؤدي إلى إمكانية تحقيق المنظمة لأهدافها.
- يُحســن ســلوك المواطنة التنظيمي من قدرة زملاء العمل والمديرين على أداء وظائفهم بشـــكل أفضـــل من خلال إعطائهم الوقت الكافي للتخطيط الفعال والجدولة وحل المشاكل.

كما حدد (Katz 1964) في دراســـته لأهم العوامل المؤثرة في تحقيق الفاعلية التنظيمية ثلاثة أنماط سـلوكية اعتبرها أسـاسًـا للوصـول إلى الفاعلية التنظيمية المطلوبة والتي تتمثل فيما يلي:

أ- استمالة الأفراد وتحفيزهم للالتحاق بالمنظمة والبقاء بها.

ب- أداء الأفراد لمتطلبات أدوارهم المحددة والمطلوبة منهم بطريقة صحيحة.

ج- ممارســـة الأفراد نشـــاط ابتكاري يتعدى نشـــاطهم الرئيس بالمنظمة. (كردي، http://kenanaonline.com 12.6.2011).

رابعاً: مكونات المواطنة التنظيمية

(The components of organizational citizenship)

قسم علماء السلوك سلوك المواطنة التنظيمي إلى ستة مكونات أساسية (التعاون – الإيثار – والكرم – والالتزام العام – والروح الرياضية – والسلوك الحضاري):

1- **التعاون:** ويقصد به مساعدة الموظف على نحو تطوعي لأعضاء المؤسسة من رؤساء وزملاء في المهام المتعلقة بالعمل، ومد يد العون لهم لتخطي المشكلات الشخصية، بالإضافة إلى مساعدة عملاء المنظمة.

2- **الإيثار:** هو سلوك اختياري يهدف إلى مساعدة الآخرين في أداء عملهم، ومن أمثلة ذلك السلوك: مشاركة العاملين الآخرين طرق وأساليب العمل الجديدة أو الرغبة في مساعدة العاملين الجدد وتعليمهم.

3- **الكرم:** وهو سلوك اختياري يهدف إلى منع وقوع المشاكل المتعلقة بالعمل مع الآخرين، وذلك بتقديم النصيحة الضرورية لهم والتشاور مع الآخرين في حالة اتخاذهم لقرار قد يؤثر عليهم.

4- **الالتزام العام:** هو سلوك اختياري يشمل أداء أنشطة أكثر من المطلوبة من الفرد وإطاعة واحترام قواعد الشراكة ولوائحها وإجراءاتها حتى إذا لم يره أحد.

5- **الروح الرياضية:** وتظهر كسلوك اختياري يعكس مدى استعداد الفرد للعمل في ظروف عمل غير مناسبة دون شكوى.

6- **السلوك الحضاري:** وهو سلوك اختياري يشير إلى مسؤولية الفرد عن المشاركة أو المساهمة في تطوير الشراكة مثل حضور الاجتماعات والندوات وأداء وظائف غير مطلوبة منه، ولكنها تساعد الشراكة على أداء أنشطتها والمبادرة بتقديم النصيحة للآخرين لتحسين الإجراءات والعمليات بالشركة (حسين، 2011.11.22 .(http://www.ibtesamh.com

خامساً: مبادئ المواطنة التنظيمية المسؤولة

(Principles of responsible citizenship)

المواطنة المســـؤولة تعني واجبات المواطنة التي ينبغي أن يقوم بها المواطنون؛ لتصـــبح المواطنة أداة تنمية وبناء ومشاركة، عوضاً عن كونها تلقيًا سلبيًا للحقوق، وإذا اكتسب الفرد المواطنة من خلال الانتماء الجغرافي لمكان ما، فإنه لن يكتســـب صـــفة المواطن المســـؤول إلا بالمشاركة الفعلية في مجريات وطنه وشؤونه، ومن ثم تتحول المواطنة من كونها منحة (Given) إلى اكتســـاب (Achievement)، وذلك التحول لا يحدث بالفطرة بل بالتربية على المواطنة، هذه التربية توجه الأفراد إلى مســـؤولية المواطنة وانخراطهم في قضـــايا مجتمعه بشـــكل فاعل، وإدراكهم لحقوقهم وواجباتهم، وأن يكون صـــوتهم ليس مكبوتاً أو غائباً بل صـــوتًا مســـموعًا يُعبر به عن رأيهم في قضايا الشأن العام، ويتخذوا موقفاً منها.

ويمكن تحديد صـــفات المواطن الفعال من خلال التزامه بمجموعة من الســـلوكيات والإجراءات المتمثلة فيما يلي:

أ- الانخراط في الهيئات المهتمة بالشأن العام وفق ما هو مقتنع به.

ب- معارضة ما يعتبره منافياً للقوانين، أو قوانين تعسفية.

ج- أن تكون معارضـــته مســـؤولة وبناءة وبالطرق الشـــرعية البعيدة عن التطرف أو العنف.

د- أن يقر باحترام الآخرين وأفكارهم رغم اختلافه معهم.

هـ- أن يؤدي واجباته المختلفة وألا يتهرب منها.

و- أن يساهم في صنع الحياة العامة سلوكاً وممارسة.

ز- أن يتابع التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحصل في بلده.

ح- أن يساهم في الاستحقاقات التي يعرفها بلده مثل الانتخابات أو غيرها.

ط- أن يعمل على الحصول على المعلومات الضرورية في أي موضوع يهم الشأن العام، ويريد بشأنه اتخاذ قرار ما.

ي- أن لا يكون سلبياً وأن يُسمع صوته بناءً على وعيه بحقوقه وواجباته.

ك- أن يحافظ على البيئة.

ل- أن يلتزم بواجباته ولا يقتصر على المطالبة بحقوقه فقط.

م- أن يجعل الحوار آليته المثلى لتدبير الاختلاف، وأن يمتلك فكرا نقدياً بناءً (بن دحمان، 2011: 22-25).

سادساً: علاقة التنشئة الاجتماعية بتربية المواطنة

(The relationship of socialization with citizenship education)

تصل العلاقة بين التنشئة الاجتماعية وتربية المواطنة حدا من التداخل يبدو معه المفهومان وكأنهما مفهوم واحد، فلا نستطيع أن نتكلم عن أحدهما بمعزل عن الأخر، فالتنشئة وسيلة إلى غاية هي المواطنة، المواطنة خلاصة جامعة لكل القيم في مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، الداخلية والخارجية، ففي سبيل تشرب هذه القيم تتدخل كل المؤسسات والأنظمة التربوية لغرس روح المواطنة، إلا أن العلماء نظروا من زوايا مختلفة لحدوث وتشرب هذه المواطنة.

وبهذا تكون الوظيفة الأساس للتنشئة الاجتماعية تتمثل في خلق المواطن الناجح، وذلك وفق الاعتبارات الآتية:

1- أن التنشئة الاجتماعية عملية يتم من خلالها نقل ثقافة المجتمع إلى الأطفال والأجيال التي بعدهم حتى يتشربوا عادات وثقافات مجتمعهم.

2- كما أنها تمثل العملية الاجتماعية الأساس التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجاً في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها، ومعرفة دوره فيها.

3- تعد تربية المواطنة نمطاً من أنماط التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسات تربوية رسمية أو غير رسمية، والتنشئة الاجتماعية من العمليات الأساس في حياة الإنسان، ذلك لأن مقومات شخصية الفرد إنما تتبلور من خلالها، وتكمن أهمية تلك العملية في أنها تقوم بتحويل الفرد من مخلوق ضعيف عاجز إلى شخصية قادرة على التفاعل في المحيط الاجتماعي الذي يحتويها منضبطا بضوابطها.

4- كما تساعد الفرد على الانتقال من الاتكالية المطلقة والاعتماد على الآخرين والتمركز حول الذات في المراحل الأولى من عمره إلى الاستقلالية والإيجابية والاعتماد على النفس، وذلك عبر المراحل الارتقائية من عمره.

5- تقوم المؤسسات الاجتماعية بدور مهم في التنشئة الاجتماعية لكل مرحلة من المراحل العمرية للفرد، فالأسرة والقرناء والدين مؤسسات تقوم بتزويد الفرد بجزء من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد ومعتقدات المجتمع.

6- وأنها أيضا العملية التي يتعلم من خلالها الفرد أنماط السلوك الخاصة بمجتمعه، ويقوم في الوقت نفسه بتطوير الشعور بالذات.

7- التنشئة الاجتماعية عبارة عن عمليات مستمرة، تمتد منذ الولادة وحتى آخر لحظة في الحياة، يكون الفرد من خلالها عضواً اجتماعياً في مجتمعه.

فإن المواطنة ستبقى عالقة في مدار التنشئة الاجتماعية، سواء من حيث الاشتقاق المفاهيمي أو من حيث العلة والمعلول، وذلك بالنظر إلى ما يأتي:

1- أن تربية المواطنة؛ عبارة عن عملية التنشـئة الهادفة إلى تعزيز شـعور الفرد بالانتماء إلى مجتمعه وقيمه ونظامه وبيئته وثقافته؛ ليرتقي هذا الشعور إلى حد أن يتشبع ذلك الفرد بثقافة الانتماء، وأن يتمثل ذلك في سلوكه وفي دفاعه عن قيم وطنه ومكتسباته، بمعنى أن تربية المواطنة تتضـمن تنمية معرفة الفرد بمجتمعه وتفاعله إيجابياً مع أفراده بشـكل يسهم في تكوين مواطنين صالحين متمكنين من الحكم على ما يعترضهم.

2- أن تربية المواطنة؛ هي حصيلة مجموعة من الجهود التي تقوم بها مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، وأنه لا يمكن تعلمها بشـكل كلي في الكتب والمقررات الدراسـية، بل تعتمد بالدرجة الأولى على الممارسات والتطبيقات التي تتم داخل المدرسة أو خارجها، وهي عملية مسـتمرة لتكوين المواطن وتنمية وعيه بنظام حقوقه وواجباته، وترسـيخ سلوكه وتطوير مستوى مشاركته في ديناميكية المجتمع الذي ينتمي إليه.

3- التربية على المواطنة في جوهرها تربية على المسـؤولية، إذ من المفترض أن تجعل المواطن مسؤولا كامل المسؤولية، ومشاركا بشكل فعال في مجتمعه (إدريس، 2013 .(http://kenanaonline.com

سابعاً: كيفية تعزيز مبدأ المواطنة في التنشئة الاجتماعية

تعزيز المواطنة مرحلة جد ضرورية خاصة في مجتمع كالمجتمع الليبي الذي تمزق نسيجه وتغيرت ملامحه بعد أحداث 17 من فبراير لسـنة 2011، والتي ولّدت تغيرات كثيرة، مما كان لزاما أن نأتي بخطوات من شـأنها أن تعيد الثقة في قدرتنا على لمّ الشـمل، ورتق النسـيج الاجتماعي، للتأسـيس لمرحلة بناء دولة جديدة، والتي تتطلب ضـرورة إعادة تعريف النظام السـياسـي بالدولة الليبية، وفق اعتبارات إعادة تشـكيل الهوية الوطنية، وهذا يتطلب وجود

منظومة من الآليات تتضمن وسائل قاعدية تعد الأساس الموضوعي لاسترجاع معنى المواطنة والمواطن، خلال مجموعة من الآليات تتمثل في (ادهم، 2010: 23-25):

- **الآلية السياسية والدستورية**

من أهم آليات السياسة تفعيل المشاركة السياسية، والتي تمثل جملة من الحقوق تشمل حق الانتخاب والترشيح، إضافة إلى حل أزمة استيعاب القوى الاجتماعية الجديدة، خاصة والدولة الليبية تمر بحراك سياسي اجتماعي، يفرز واقعا اجتماعيا، وقوى سياسية جديدة، مما يتطلب نظاما سياسيا، ليس فقط لتحقيق موازنة بين القوى الاجتماعية داخل الدولة، وإنما احتواء القوى والمجموعات السياسية والاجتماعية المتمثلة في الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب والنقابات وغيرها، عبر إنشاء وتأسيس مؤسسات سياسية جديدة.

ومن المشاكل التي برزت في المجتمع الليبي انهيار مؤسسات الدولة بعد 2011 تماما بما فيها مؤسستي الجيش والشرطة، مما نتج عنه انزلاقات خطيرة وانقسامات وفوضى سلاح واستمرار العنف، لذا ينبغي أن تعود هذه المؤسسات لتستلم دورها وتقلل من الفجوة الناتجة عن غياب المؤسسات، ومحاولة إعادة بناء الدولة، وتضييق الهوة من خلال اختيار قيادات حكيمة، تركز على تنمية الموارد وتحسين حياة الناس لتكسب رضاهم ومشاركتهم.

ولا يتم ذلك إلا من خلال وجود دستور يحظى بقبول الأغلبية، ينظم العلاقات بين أبناء البلد، يراعى فيه تمثيل كل الأقاليم ومكونات الشعب، ويضمن الحرية وممارسة الديمقراطية لكل أفراده.

- **الآلية الاقتصادية والثقافية**

من المسلم به أن سوء توزيع الثروة داخل المجتمع واستحواذ جماعة أو طائفة على حساب الطوائف الأخرى عليها، والتناقضات الاقتصادية والاجتماعية كفيلة باحتضان صراعات عنيفة بين أفراده، وتسبب شرخات تقضي على فرص الأسس الجوهرية للاتفاق، ولعل هذه الأسباب من أهم الأسباب التي أوجدت انقسامات وصراعات بين أفراد المجتمع الليبي، خاصة عندما ساء الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمواطن الليبي في وقت يسمع عن إيرادات ومبالغ ضخمة وميزانيات ترصد كل عام ولا يرى منها شيء لتنمية البلاد أو تحسين وضع المواطن الاقتصادي.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي الجيد للبلاد عندما يكون مردوده على المواطن عادة ما يكون كفيل بتسوية المشكلات والنزاعات داخل المجتمع ويزيد من التلاحم والاندماج بين أفراده، والمواطنة المتكاملة لا تعتمد على المشاركة في العملية السياسية فقط ، بل لا بد من التمتع بالحقوق الاقتصادية لتقوية الإحساس لدى الفرد بمعنى المواطنة والولاء للوطن، عن طريق إشعاره بالإنصاف.

أما عن الآليات الاجتماعية والثقافية، فينظر إلى أي عملية تغير اجتماعي جدري عملية محكوم عليها بالفشل والإخفاق، كونها ستثير ردات فعل من قبل قطاع عريض من المجتمع، نظرا لأن أغلبهم ألف وتعود على روتين وطريقة معينة وفجأة تغيرت. وطبيعة الفرد الخوف من كل جديد حتى يألفه ويجربه، ما لم يسبقه تأهيل سياسي يكون محفزا للانتقال للمرحلة الجديدة، وإلا سيكون البديل كما حصل مع ليبيا نتيجة التغير الاجتماعي السريع الذي ترافق مع ثورة مسلحة وحروب وحصار اقتصادي وانقسامات وتكتلات عسكرية أدت إلى صدام مسلح قضى على مؤسسات الدولة، ووفر بيئة لسيادة قيم متدنية، تتمثل في

الاســتحواذ والهيمنة والتهميش وفرض الرأي والمغالبة والعنصــرية والســرقة والحرابة وغيرها من القيم الهابطة والتي أصبحت هي المسيطرة على سلوكيات أغلب أفراد الشعب الليبي.

وكآلية معالجة لهذه القيم التي طفحت على مجتمعنا أخيرا، لا بد من وقفة جادة من كل أصـحاب الفكر الوطنيين؛ باسـتنهاض تيار فكري قوي يدعو لصـياغة ثقافة سـياسـية، قائمة على زرع الوطنية ولغة الحوار والتفاهم والنقاش واحترام الآخر والاختلاف وعدم الهيمنة، حتى يتعايش كل أفراد المجتمع بسلام ووئام، واحترام التنوع والتعددية الفكرية والتعود على حل النزاعات سـلميا، لأن هذا من شـأنه أن يعزز المشـاركة السـياسـية والاقتصـادية والاجتماعية ويتجاوز الولاءات الفرعية التي ساهم الظرف في تغذيتها، إلى الولاء الكبير المتمثل في الوطن.

مما تقدم نخلص إلى أن غرس وتعزيز المواطنة يتطلب البحث عن الأســـباب المعرقلة والتي لها تأثيرات ســـلبية على الانتماء والمواطنة، والتي يمكن اســـترجاعها من خلال معرفة مصـادر التأثير على هوية الفرد، فإذا كان التأثير هو غياب شـيوع ثقافة موحدة ينبغي العمل على إبراز ثقافة سـياسـية موحدة، وإن كان السـبب هو غياب المؤسـسـات وهيمنة الفراغ الإداري والقانوني اسـتوجب التسـريع في عملية تفعيل المؤسـسـات، وإن كان التأثير الغبن الاقتصـــادي وغياب الخدمات والإنجازات، وجب العمل على توفير هذه الخدمات، بطريقة تضـمن العدالة في التوزيع، ونشـر الحرية بين أفراد المجتمع، والمسـاواة بينهم من خلال القوانين العادلة، ويتأتى ذلك من خلال العمل على هذه التأثيرات مجتمعة، بإرســـاء ثقافة موحدة، وملأ الفراغ الإداري والقانوني، وتوفير الخدمات والعمل على التنمية، حتى يشـعر المواطن بأن الدولة هي بيته الكبير.

الفصل التاسع

دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة

The role of civil society Organization in promoting the values of citizenship

الفصل التاسع

دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة

The role of civil society Organization in promoting the values of citizenship

تمهيد

لما كانت طبيعة الإنســـان اجتماعية، ونظرا لتميزه النوعي عن جميع الكائنات الحية بعقله، ووعيه وقدرته على التجريد والاســـتنتاج، وقدرته على التفكير والتأمل، ونقل الأفكار والآراء بين أفراده، وشعوره النفسي بالتعلم، فإنه من غير الممكن أن يعيش هذا الإنسان في معزل عن أخيه الإنســـان، فالإنســـان مدني بالطبع واجتماعي بالفطرة، والمجتمع كيان جماعي من البشر، وهنا لا شك أن الفرد سيتأثر بسلوكيات مجتمعه، لذا أهتم العلماء بدراسة المجتمع المدني لما له من قدرة في تعزيز المواطنة بين أفراده.

لذا يحاول هذا الفصـــل تبيان دور المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة من خلال التعرف على الجذور التاريخية لمفهوم المجتمع المدني في الفكر الغربي، ثم التعريف بالمجتمع المدني، وعرض مكوناته، ومعرفة معايير تطور المجتمع المدني، إضافة إلى التعرف على وظائفه، والمعوقات التي تعترضه، وأخير التعرف على سبل تقوية وتطوير مؤسسات المجتمع المدني في مجتمعنا الليبي لكي تقوم بدورها الحقيقي.

أولاً: الجذور التاريخية لمفهوم المجتمع المدني في الفكر الغربي

(The historical roots of the concept of civil society in Western thought)

الإنســـان منذ نشـــأت الخليقة وهو يحاول أن ينظم حياته ويقوي انتماءه بمحيطه وحتمت عليه الطبيعة ضـــرورة التعاون مع بني جلدته لكي يحقق طموحاته ويتخلص من

عبوديته إذ كانت الكنيسة ورجال الدين تطمس أي تفكير خارج إطار الدين وبتفسيرات ممن جعلوا من أنفســهم أوصــياء الرب والحق الإلهي على العباد، ولكن هذا لم يمنع من مغامرات بعض المفكرين الذين ضــحوا بأنفســهم ليكســروا حاجز هذه العبودية كانت بدايات هذا الفكر مع مدرسـة العقد الاجتماعي والتي تجعل العلاقة بين الحاكم والمحكومين علاقة لصـالح الطرفين وهي تتمثل في الآتي:

مدرســـة العقد الاجتماعي: (المجتمع المدني في مقابل المجتمع الطبيعي ويتطابق مع الدولة أو المجتمع السياسي الحديث).

ظهرت مدرســـة العقد الاجتماعي لمقاومة مطالب الأمراء والملوك بالحكم المطلق والاســتبداد برعاياهم في أواخر القرن الســادس عشــر، وقد حققت نظرية العقد الاجتماعي إحلال العلاقات المدنية محل العلاقات الطبيعية، كما احتلت المكان الأول في تفكير الفلاسفة والمفكرين السياسيين خلال القرن السابع عشر، وفي جزء كبير من القرن الثامن عشر، فقد بدأ أن البديل الوحيد لمبادئ الحق الإلهي هي نظرية العقد التي اجتذبت مؤيدي الحرية، نظراً لما احتوته من مقترحات بشأن تحديد السلطات التحكمية والاستبدادية للملوك؛ واستخدام الفلاســفة والمفكرين النظرية عند ما حاولوا التحلل من قيود الســلطة الدينية (الكنيســة)؛ إذ مكنتهم من تقديم أســاس دنيوي تقبل المناقشــة والنقد، مع بعض التباينات بين رواد العقد الاجتماعي على النحو الآتي:

1- اعتبر "هوبز" أن الجماعات السياسية تظهر إلى العالم كشيء اصطناعي عن طريق عقد اجتماعي يعتمد على رغبة الأفراد في الأمن والسلام.
2- أما "لوك" فقد عرّف المجتمع المدني بأنه ذلك المجتمع الذي ينضم إليه الأفراد لضمان حقوقهم المتساوية التي تمتعوا بها في ظل المجتمع الطبيعي، لكن غياب السلطة القادرة

على الضـــبط في المجتمع الطبيعي كان يهدد ممارســـتهم لهذه الحقوق، لذلك اتفق هؤلاء على تكوين ذلك المجتمع ضماناً لهذه الحقوق، ثم تخلوا عن حقوقهم الأساس في الحياة والحرية والتملك، والتزام أفراد المجتمع المدني بطاعة الملك في الســـلطة طالما التزم بعناصـــر ذلك الاتفاق معهم، أما إذا أخلّ الملك بها، فإنها تفقد كل أســـس طاعتهم له، ويصبح من حقهم أن يثوروا عليه ويحلوا محله سلطة أخرى أكثر اتساقاً في احترامها لحقوقهم (عبدالصادق، 2007: 25-26).

3- بينما اتخذ "روســـو" موقفاً ســـلبياً من المجتمع المدني انطلاقاً من فكرته القائمة على أســـاس أن الإنســـان عاش قبل قيام الدولة والمجتمع المدني المنظم في حالة طبيعية يسودها السلم كان الأفراد فيها متساوين ولكل منهم اكتفاء شخصي، قانع بهذه المعيشـة وراضٍ عنها، كما نبعت تصـرفاتهم من مشـاعرهم الفطرية التي سـادت في المجتمع الطبيعي ويبغض الســـلطة وكل تنظيم اجتماعي؛ لأنه يحد من حرية الأفراد وكانت النتيجة المنطقية لأفكار "روسو" في هذا الصدد؛ هي أن الانتقال من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني، كان بمثابة ســـقوط للإنســـان من كماله الأول، وذلك لظهور متطلبات جديدة وظهور الجشـــع والطمع، لذا لابد من العودة إلى ســـلطة الشعب، والحكم المباشر لهم لأنهم أحرص على مصالحهم (عبدالصادق، 2007: 27).

ثانياً: تعريف المجتمع المدني (Define civil society)

يقصـــد بالمجتمع المدني: جميع المنظمات غير الحكومية، المســـتقلة غير الهادفة للربح، ولها وجود في الحياة العامة وتعبر عن اهتمامات وقيم أعضـــائها أو الآخرين، اســـتناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو ســـياســـية أو علمية أو دينية أو خيرية، ويتفاعل فيها جميع

الأفراد في ســـلســـلة كلية متنامية من العلاقات. كما يمكن تعريف المجتمع المدني: بأنه جملة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة من أجل تلبية الاحتياجات الملحة للمجتمعات المحلية، وفي استقلال نسبي عن سلطة الدولة وعن تأثير رأسمالية الشركات في القطاع الخاص، حيث يساهم في صياغة القرارات خارج المؤسسات السياسية، ولها غايات نقابية كالدفاع عن مصالحها الاقتصادية والارتفاع بمستوى المهنة والتعبير عن مصـــالح أعضـــائها، ومنها أغراض ثقافية كما في اتحادات الأدباء والمثقفين والجمعيات الثقافية والأندية الاجتماعية التي تهدف إلى نشر الوعي وفقًا لما هو مرسوم ضمن برنامج الجمعية (محمود، 2008: 2).

ويمكن أن يعرف إجرائيا من خلال المهام المناطة به:

للمجتمع المدني مهام متعددة فهو من الأدوات الضـــاغطة على الدولة حيث يقوم المجتمع المدني بملء الفجوة بين الدولة السياسية والمجتمع الصغير الممثل في الأسرة أو العشيرة أو القبيلة، أو أفراد المجتمع المنطوين تحت مســـميات كالنقابات واتحادات العمال والأندية الثقافية والرياضية والحقوقية والمهنية حيث ستكون وظيفة المجتمع المدني الأساس تتمثل فيما يأتي:

1- العمل على ملأ الفجوة بين الدولة والمجتمع بطريقة تضمن التنمية لكليهما.
2- الضغط لترشيد الحكم وتعديل الدستور.
3- توسيع هامش الحريات العامة.
4- التأكيد على حفظ حقوق الإنسان.
5- تشجيع المشاركة الشعبية والمجتمعية.
6- القضاء على الأمراض الاجتماعية كالفقر والأمية ومناهضة المرأة.

ورغم ما يقال عن أهمية المجتمع المدني إلا أنه:

- المجتمع المدني في المجتمعات العربية الحلقة مقلوبة لديه حيث أن المجتمع المدني يستمد شرعيته من الدولة، وليست الدولة هي التي تستمد شرعيتها من المجتمع المدني.
- يستبعد من المجتمع المدني المؤسسات السياسية والحكومية والاجتماعية الأولية مثل: الأسرة والقبيلة والعشيرة والطائفة العرقية والمذهبية والدينية.

ثالثاً : مكونات المجتمع المدني (Civil society components)

يشمل المجتمع المدني العديد من المؤسسات من أبرزها:

1- الأحزاب السياسية

أ- نشأة الأحزاب السياسية: استخدم لفظ حزب مفرد "الأحزاب" في البداية لوصف تلك الجماعات التي وجدت في الجمهوريات الرومانية القديمة، كما أطلق اللفظ أيضاً على الفرسان في عصر النهضة في ايطاليا، فضلاً عن أننا نجد التسمية ذاتها، وقد أطلقت على أعضاء الجمعيات الثورية واللجان الانتخابية في الملكيات الدستورية، أما في الديمقراطية الحديثة فقد استخدم اللفظ للدلالة على التنظيمات الشعبية التي تعبر عن مصالح وآراء أعداد كبيرة من السكان أو المواطنين (سعيد، 2001: 369).

إن أساس نشوء الحزب هو تقريباً نفس أساس نشوء الطبقة؛ إذ يتشكل الحزب من أصحاب المصلحة الواحدة شأنه في ذلك شأن الطبقة، فأي طبقة من الناس يسكنون في مكان واحد قد يشكلون حزباً واحداً يعبر عنهم دون بقية القرى والمدن والأحياء الأخرى، ولما كانت الطبقة تخضع في تكوينها للشرط المكاني أحياناً وللمهنة أحياناً أخرى، فإنها من

هذه الناحية تتشـــابه مع الحزب، ففي منطقة زراعية قد تنشـــأ الطبقة الإقطاعية، وفي المناطق الصناعية تتكون الطبقة والحزب الواحد (سعيد، 2001: 370).

إلا أن الحزب سـياق تنظيمي في حين أن الطبقة ليسـت شـكلاً سـياسـياً، بل هي تكوين اجتماعي في أسـاسـه علاقات تجمع الناس حول مصـالح مشـتركة، إذا الحزب شـكل سياسي ولكل طبقة حزبها، وأحياناً يكون للطبقة أكثر من حزب (سعيد، 2001: 370).

وقد عرفت الأحزاب أولاً في أوروبا حتى أن بعض الأحزاب قد ســـبق تكوين الدولة البرجوازية، وقد نشـأت الأحزاب السـياسـية الأوروبية نتيجة النضـال من أجل القضـاء على جهاز الدولة الإقطاعي أو شـــبه الإقطاعي، وإرســـاء جهاز الدولة الحديثة البرجوازي أو الاشـتراكي، وقد اتخذ ذلك التحول أحياناً شـكل الثورة كما في الثورة الفرنسـية 1798م وفي الثورة الشعبية في روسيا 1917م (بوحردة، 2013: 21).

ب- **تعريف الحزب**: الحزب هو تنظيم يضم مجموعة من الأشخاص يجمع بينهم تصوُّرٌ سياسي موحَّد، يتخذ شكل البرنامج السياسي ويرغبون في تطبيقه عند الوصول للســلطة في الدولة التي ينتمون إليها... ولابد من وجود قانون ينظم نشــاطه وإلا تحدث كارثة كما حصــلت في ليبيا، والتي ظهرت فيها الأحزاب دون وجود قانون ينظمها، مما جعل اغلبها مؤدلجة وتابعة لدول أخرى لديها مصـالح معينة وحاولت أن تطبقها عن طريق هذه الأحزاب.

والأحزاب عادة تعد من أهم أدوات التنشئة السياسية الصحيحة في المجتمعات، إذا كانت أحزابًا راســـخة ووضـــعت لها قوانين ولوائح تنظم عملها، إلا أن أغلب الأحزاب في منطقتنا العربية لم يظهر تأثيرها الفعلي نظراً لغياب الاشـتراطات القانونية فبدل أن تكون أداة ضاغطة على الدولة أصبحت وسيلة لها يستخدمها ذوو النفوذ لمصالحهم فمثلا:

- في مصر لم تظهر الأحزاب إلا في مطلع القرن العشرين عند قيام ثورة 1952، ثم بعد ذلك أصبحت وسيلة لرئيس الدولة وظهرت دولة الحزب الواحد كما هو الحزب (الوطني الديمقراطي) الذي ينتمي إليه رئيس الدولة، وبعد ثورة يناير وصل عدد الأحزاب السياسية في مصر إلى أكثر من 80 حزبا متنوعة ما بين الإسلامي والليبرالي والأحزاب القديمة أخذت تعدل من خططها وسياساتها.
- أما في ليبيا فقد تم إلغاء الأحزاب في عهد المملكة، ولم تعد للساحة السياسية إلا بعد ثورة فبراير 2011، حيث أعادها المجلس الانتقالي لكن بطريقة خاطئة إذ رجعت قبل أن يصدر حتى قانون ينظم عملها ، مما جعلها تتبع أجندات من خارج الوطن، وساهمت في الفوضى التي تعيشها البلاد بدل أن تكون عامل تنمية لها.

ج- **أنواع الأحزاب السياسية:** ينقسم التنظيم الحزبي إلى أربعة أقسام:

- **أحزاب البرامج:** إن من أهم خصائص أحزاب البرامج هو تصميمها على تصوير الحياة السياسية من ناحية أيديولوجية جامدة، وهذا النوع من الأحزاب يتميز عن غيره بتمسكه ببرامج مميزة ومحددة، وتختلف أيديولوجيتها اختلافاً واضحاً عن أيديولوجية الأحزاب الأخرى، كما أن حزب البرامج يصر دائماً على أن من أهم شروط استمرار العضوية تمسك العضو بمبادئ الحزب وعدم جواز انفصاله عن الحزب إلا في حالة تخلي القيادة عن مبادئ الحزب (بدوي، 2001: 294).
- **أحزاب الأشخاص:** إن أهم عنصر يميز أحزاب الأشخاص هو الولاء لشخصية الزعيم، وعلى الرغم من أن للزعامة دوراً مهماً في كل نظام حزبي، إلا أنها في أحزاب الأشخاص تضطلع بالدور الرئيس؛ لأن الزعامة أو الزعيم هو الذي ينشئ

الحزب، ويوجه نشـاطه، ويصـوغ برامجه، ومن ثم يسـتطيع الزعيم أن يغير في برامج الحزب دون أن يخشى عدم ولاء أتباعه وأعضاء حزبه (البرعصي، 2013: 166).

- **نظام الحزب الواحد:** إن ظاهرة الدكتاتورية قديمة قدم الحكم، بيد أن ارتكاز الدكتاتورية إلى حزب ينفرد وحده بالحياة السـياسـية، ويمثل ظاهرة جديدة يعد من آثار القرن العشـــرين بالذات، كحالة الحزب النازي في ألمانيا الهتلرية، والحزب الفاشـي في ايطاليا الموسـيلينية والحزب الشـيوعي في روسـيا الماركسـية والأحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الشيوعية (البرعصي، 2013: 167)، وحزب البعث في العراق وسوريا، والحزب الوطني في مصر.
- **نظـام الحزبين:** يوجـد نظـام الحزبين في انجلترا، ودول الكومنولـث البريطـاني والولايات المتحدة الأمريكية، ويختلف نظام الحزبين عن نظام أحزاب البرامج؛ في أن النظام الأول لا يعتمد في وجوده على البرامج وحدها، ففي الولايات المتحدة مثلاً لا يوجـد اختلاف كبير بين مبـادئ وبرامج كـل من الحزبين الـديمقراطي والجمهوري، فالايدولوجيا واحدة (غالي، 1976: 268).

2- جماعات الضغط (المصلحية)

تعرف جماعات المصـالح بأنها جماعات تسـعى لتحقيق أهداف معينة مرتبطة بمصـالح أعضـائها بكافة الوسـائل الممكنة، عبر التأثير والضـغط على قرارات السـلطة السياسية، ولكن ليس من أهدافها الوصول إلى السلطة (قحطان، 2004: 337).

وقد درج البعض على تسميتها بجماعات الضغط من منطلق الضغوطات التي تمارس على السلطات لتحقيق أهدافها، ولكنها في الحقيقة تمارس الإقناع أيضاً، والأفضل أن تسمى

بـ (جماعات المصالح)، لأنها فعلاً فئات تبحث عن مصالحها بالدرجة الأولى بغض النظر عن الوسائل المستخدمة لتحقيقها، وتنقسم إلى:

أ- أنواع جماعات الضغط "المصالح": إن جماعات المصالح ليست واحدة في وجودها واستمرارها وأهدافها ووسائلها تبعاً لطبقتها وتركيبتها الاجتماعية وتمثيلها للمصالح المختلفة، ولذلك يمكن تقسيمها وفقاً للمعايير الآتية:

1- **طبيعتها**: على النحو الآتي:

أ- جماعات المصالح السياسية "اللوبي".

ب- جماعات المصالح شبه السياسية، لها أهداف سياسة واقتصادية مثل: نقابات العمال واتحادات أصحاب العمال.

ج- جماعات المصالح الإنسانية "حقوق الإنسان"، (البرعصي، 2013: 167).

2- **تنظيمها**: جمعيات المصالح المنظمة "شبه أحزاب"، جماعات المصالح غير المنظمة.

3- **توقيتها**

أ- جماعات المصالح الدائمة، وهي التي تعبر عن مصلحة أو هدف دائم.

ب- جماعات المصالح الوقتية، وتنتمي بمجرد انتهاء غرضها وتتفكك بعده.

ج- نطاق المصلحة: جماعات المصلحة الخاصة، وتعنى بمصالح خاصة كجمعية جمع الطوابع التذكارية، جماعات المصـــلحة العامة مثل جمعية مكافحة التدخين أو الأمية.

4- **الأهداف**

أ- جماعات المبادئ أو جماعات البرامج التي تهدف إلى تحقيق أهداف عامة، وطنية أو قومية كجماعة الوحدة الأوروبية.

ب- جماعات الحرف والمهن.

ج- جماعات ذات أهداف تدريبية.

5- الولاء

أ- جماعات المصالح الوطنية، وجماعات المصالح الأجنبية.

ب- وسائل جماعات الضغط: الإقناع، والتهديد، والمقاضاة، إضافة إلى الضغط على السلطات الحكومية، والتأثير على البرلمان، وتعبئة الرأي العام، وأخيرا التمويل (بوحردة، 2013: 24).

3- النقابات المهنية

النقابات المهنية تكون العضوية فيها من خلال الاشتغال بوظيفة أو مهنة كالتعليم أو الطب أو المحاماة أو غيرها، وقد أنشئت أول نقابة مهنية في مصر عام 1876، ووصل عدد النقابات الآن إلى 25 نقابة مهنية، أما في ليبيا كانت النقابات المهنية في فترة النظام السابق – عهد الراحل معمر القذافي- تعمل في كل القطاعات، وإن كانت داعمة لسياسة الدولة الرسمية، أما بعد ثورة فبراير 2011 لم تدخل المعترك السياسي حتى الآن، لأن المؤسسات الحقيقة غير متوفرة.

4- النقابات العمالية

النقابات العمالية تتألف من مجموعة من العمال والناشطين في مجال القضايا العمالية، والذين يؤمنون بالأهمية الدولية لميثاق حقوق الإنسان، وأول نقابة عمالية في مصر كانت سنة 1900م، وبلغ بعد ذلك عددهم 23 نقابة عمالية: منها نقابة عمال الزراعة –

والسكك الحديد وعمال الغزل والنسيج وغيرها، أما في ليبيا فكانت تسمى نقابة المنتجين، وكان لها اتحاد المنتجين، لكنها كانت وسيلة ضاغطة لصالح الدولة ولم تكن لصالح العمال.

5- الجمعيات الأهلية

هي جمعيات منظمة تطوعية غير هادفة للربح، تعمل في مجال الرعاية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتسعى للنهوض بالمجتمع، مثل الجمعيات الخيرية، وقد وصل عدد هذه الجمعيات في العالم العربي إلى 190 ألف منظمة أهلية، وسجلت بعض الدول أرقاما كبيرة في سنة 2002 حيث كان عددها في الجزائر 57,959 جمعية، وفي المغرب 30,000 جمعية، وفي مصر 16,000 جمعية (الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، 2002: 6-8)، أما في ليبيا بعد ثورة 2011م ظهرت بكثرة هذه الجمعيات والمنظمات، ولكنها أصبحت تتقلص بشكل كبير بعد اختيار المؤتمر الوطني، مما يجعلنا نعتقد أن سبب ظهورها هي الانتخابات لتوظيفها لأغراض داعمة للأحزاب وليس للأهداف التي يجب أن تناط بها.

6- جمعيات رجال الأعمال

مجموعة منظمة إدارية لها هيكل مستقل عن الحكومة وتشمل الشريحة العليا من رجال الأعمال، وارتبطت بالانفتاح الاقتصادي، ويوجد في مصر 97 جمعية، أما في ليبيا فلم تتبلور بعد، وإن كان هناك محاولات من رجال الأعمال ولكن غير منظمة.

رابعاً: معايير تطور المجتمع المدني

(Civil Society Development Standards)

هناك معايير معينة لتطور المجتمع المدني من بينها:

أ- **التكيف**: والذي يعني قدرة المؤســـســـة على التكيف مع التطورات من خلال التكيف الوظيفي والتكيف الزمني (الاستمرار).

ب- **الاستقلال**: أن لا يكون المجتمع المدني خاضعًا لغيره من المؤسسات أو الجماعات أو الأفراد.

ج- **التعقد**: أي تعدد المستويات الرأسية والأفقية داخله واتساع انتشاره الجغرافي.

د- **التجانس**: عدم وجود صراعات داخل المؤسسة المدنية يؤثر في نشاطها (مخاطري، 2017: 41).

خامساً: وظائف المجتمع المدني (Civil Society Jobs)

تُمكّن منظمات ومؤســســـات المجتمع المدني الأفراد من التوحد حول مجالات ونواحٍ مختلفةٍ لهويتهم، بدلا من التعرف عليهم من خلال طبقاتهم أو فئاتهم الاجتماعية، الدينية أو العرقية، مثالا لذلك يســـتطيع طبيب مســـلم في مجتمع مختلط من الديانات تأكيد هويته كطبيب من خلال الجمعيات الطبية، ومعتقده الديني من خلال المســـجد، وعليه فإن هويته لا تقتصـــر على الديانة فقط، بل يربطها بالمجتمع المدني الذي له وظائف مهمة جعلت منه ضـرورة ملحة لكي يقوم بواجبه اتجاه أفراد المجتمع لنشـر ثقافة المبادرة، وثقافة المؤسـسـات، والتأكيد على إرادة المواطنين، وغيرها من الوظائف التي سـنبينها في ما يأتي (موسـى، 2012: 360-363):

أ- **المجتمع المدني كظاهرة اجتماعية**: تفعيل مشـــاركة الناس في تقرير مصـــيرهم ومواجهة السياسات التي تؤثر في معيشتهم.

ب- **كظاهرة اقتصـــادية**: يعمل كقوة دافعة لنشـــاطات القطاع الخاص ونموه من تطور مستقبل البلاد.

ج- **امتصاص حدة المشاكل**: المجتمع المدني يقوم بدور تغير تنموي شامل؛ ليقضي على الفراغ أو يستثمر في ما يفيد المجتمع.

د- **تحقيق المصالح وحماية الحقوق**: حيث المجتمع المدني يكشف عن المصالح ويزيد من قدرتهم على التفاوض عن طريق تجميع وتحليل القضايا التي تواجه المجتمع لضمان تحقيق هذه المصالح على أساس المواقف الجماعية.

هـ- **حل الصراعات**: حل معظم النزاعات الداخلية بين أعضائه بوسائل ودية دون اللجوء إلى الدولة، وبهذا فإنه يوفر على أعضائها الجهد والوقت، كما يوفر عنصر الوقاية للمجتمع من الانقسام والصراع، فإذا غابت هذه الوظيفة فسوف يؤدي ذلك إلى عجز الحكومة عن تلبية كل هذه المطالب المتعارضة.

و- **تحقيق مستوى من النظام والانضباط بالمجتمع**: فالمجتمع المدني أداة لفرض الرقابة على سلطة الحكومة وضبط لسلوك الأفراد والجماعات تجاه بعضهم البعض.

ز- **تنمية الوعي السياسي**: مشاركة الفرد داخل المؤسسة في ممارسة حقوقه الديمقراطية كالحوار مع الأعضاء والتنافس مع الأعضاء على الترشيح والقيادة؛ إذ تجعل هذه المؤسسة بمثابة مدرسة يتعلم فيها الفرد أصول الديمقراطية مما يؤدي إلى تقدم المجتمع (زين العابدين، 2009: 17).

ح- **تحسين الأوضاع الاقتصادية**: تعمل على توفير فرص نشاط تؤدي إلى زيادة الدخل من خلال تنفيذ العديد من المشروعات التي تقوم بها الجمعيات التعاونية الإنتاجية والأهلية ومشروعات التدريب المهني.

ط- **تحقيق الديمقراطية والمدنية:** إذ تعمل على إشاعة ثقافة مدنية ترسي احترام قيم العمل التطوعي والعمل الجماعي وقبول الآخر وإدارة الخلاف بطريقة سـليمة في ضوء قيم الاحترام والتسامح والصراع السلمي.

ي- **إعداد قيادات جديدة:** تكوين قيادات جديدة تبدأ من داخل مؤسسات المجتمع المدني حيث تعتبر هي المخزن الذي لا ينضب للقيادات الجديدة ومصدرا متجددا لإمداد المجتمع بالقائد القادر على إعداد خطط للتنمية وتنفيذها مما يجعل المجتمع يتقدم.

ك- **توفير المشـاركة للأفراد والجماعات:** حيث يوفر للإفراد قنوات شـرعية لعرض وجهات نظرهم بحرية بأسلوب منظم وبطريقة سلمية.

ل- **الشـراكة بين المجتمع المدني والدولة:** انسـحبت الدولة في القرن العشـرين من بعض الوظائف التي كانت تقوم بها كالالتزام بالتعيين؛ مما جعل المجتمع المدني يقوم بهذه الوظائف لمشاركة الحكومة في بعض الأدوار.

م- **تقديم وتمويل الخدمات:** تمد مؤسـسـات المجتمع المدني يد العون والمسـاعدة للمحتاجين مع تقديم الخدمات الخيرية والاجتماعية، هدفها في ذلك مسـاعدة الفئات الضـعيفة، وتتنوع الخدمات من رعاية الأيتام ومسـاعدة الأرامل وأصـحاب الدخول المنخفضة، وتمويل مشروعات صغيرة لإعالة الأسر الفقيرة.

سادساً: معوقات المجتمع المدني (Civil society obstacles)

هناك العديد من المعوقات التي تقف في وجه المجتمع المدني وتمنعه من أداء دوره أو تحد منه والتي من بينها:

1- **معوقات سياسية:** حيث قد يتجاوز دور الرقابة الحكومية والتوجيه إلى حد الهيمنة والسيطرة الإدارية على الجمعيات، وتتواجد هذه المعوقات في أغلب البلدان العربية والدكتاتورية.
2- **معوقات مدنية:** حيث يمثل الرفض الجماهيري معوقا؛ فالبعض لا يؤمن بأهمية هذه الجمعيات ولا فائدتها ولا قدرتها على التغيير.
3- **معوقات تشريعية:** حيث توجد بعض القوانين التي تمنع بعض النشاطات مثل التجمعات والمظاهرات السلمية والملصقات وغيرها فيصطدم الناشط بهذه القوانين فيقف عاجزًا عن التواصل الاجتماعي.
4- **معوقات لوجستية:** حيث تواجه المنظمات تحديات من ناحية قدرة الأعضاء على الاتصال والتواصل فيما بينهم أو مع غيرهم مثل القدرة على التنقل والوصول إلى المعلومات.
5- **معوقات مادية:** حيث تتطلب بعض البرامج أن يكون الدعم المادي محدودا في بعض المنظمات، أو لا يسمح لها بالحصول على تبرعات إلا بعد موافقة الجهة الإدارية وضرورة تحديد مصادر التمويل كما يستخدم التمويل الأجنبي ذريعة لمحاربة الجمعيات واتخاذ إجراءات ضدها.

وفي دراسة أجريت على المجتمع العماني بينت أن هناك معوقات تحد من عمل المجتمع المدني من بينها(عثمان، عرفان، 2013: 76-78):

- عدم وضوح الأهداف والاتفاق عليها وسيادة طابع الارتجالية في تحديدها، ووضع أهداف تعجز المؤسسة عن تحقيقها، والتركيز على أهداف معينة وإهمال الأهداف الأخرى لخضوعها لاعتبارات شخصية.

- عدم توفر الإحصائيات والمعلومات الدقيقة مما ينجم عنه عدم التمكن من وضع أهداف واقعية وسياسية وطنية إنمائية شاملة.
- عدم الفصل بين المصالح الشخصية والعامة.
- القيادة الإدارية غير الفعالة.
- التحيز لفئات معينة مما يؤدي إلى توجيه خدمات المنظمة إلى أشـــخاص بعينهم على حســـاب الآخرين، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض الروح المعنوية والإحباط في نفس الوقت.
- مشـكلات تدني نسـب العضـوية ونسـب المشـاركة في اجتماعات الجمعيات العمومية ومجلس الإدارة، وبقاء أعضـــاء مجلس الإدارة في مراكزهم لســـنوات طويلة مما يؤثر في التجديد والتطوير المستمر.
- غياب روح العمل الجماعي داخل منظمات المجتمع المدني، إذ لا تزال عقلية الاعتماد على الفرد هي السمة الغالبة في أغلب المنظمات.
- غموض مصـــادر التمويل المالي لمنظمات المجتمع المدني بســـبب عدم التزام بعض هذه المنظمات بمعايير الشفافية والنزاهة والوضوح في كشف مصادر تمويلها وطريقة صرفها.
- تكرار البرامج والمشـروعات وعدم التجديد فيها مما يؤدي إلى انصـراف الأعضـاء وأفراد المجتمع عن المشاركة في هذه البرامج.
- انخفاض المســتوى الثقافي والاجتماعي لأفراد المجتمع، مما يؤثر ســلبا على المشــاركة في المؤسسات والمنظمات المدنية.
- تعمل منظمات المجتمع المدني في ظل تشـــريعات تضـــعها الدولة وتصـــبح ملزمة لهذه المنظمات، مما يعتبر هيمنة وتدخل في عمل المنظمات.

سابعاً: أساليب تقوية مؤسسات المجتمع المدني

(Methods of strengthening civil society institutions)

- أن تلتزم منظمات المجتمع المدني بمبادئ التنمية، وأن تسعى إلى توفير الديمقراطية والشفافية والمشاركة وذلك عبر تمكين قيادات محلية فذة.
- التركيز على ضرورة تقوية مشاركة أفراد المجتمع كحق من حقوقهم وواجب من واجباتهم، وتوسيع قاعدة العضوية وممارسة الديمقراطية.
- ضرورة وضوح الأهداف التي تسعى المنظمة لتحقيقها سواء لأعضائها أو أفراد المجتمع، وكذلك الجمعيات الأخرى، وأن توضع هذه الأهداف بناء على احتياجات المجتمع.
- تعديل التشريعات المنظمة لمؤسسات المجتمع المدني لكي تتمشى مع المستجدات.
- زيادة التعاون بين مؤسسات المجتمع المدني ووسائل الإعلام لطرح قضايا ومشكلات للرأي العام.
- تطوير العلاقة بين المجتمع المدني والدولة السياسية، حتى تكون وسيلة حث على المشروعات التنموية.
- تعميق الطابع المؤسسي للمجتمع المدني عن طريق تحديد أهداف المؤسسة وبرامجها والعمل الجاد لتحسين البيئة الحقوقية.
- تصميم برامج مقترحة مستمرة لبناء وتدريب الكادر البشرى وإعداد القادة.
- العمل على تخصيص موارد مالية من مصادر وطنية حتى تستقل هذه المؤسسات عن تسلط الممولين.
- تشجيع الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الخيري.
- سهولة توافر وتبادل المعلومات (عبدالمطلب، 2013/3/5).

الفصل العاشر

الرقم الوطني الليبي ودوره في تعزيز قيم المواطنة

The Libyan National Number its Role in promoting the Citizenship Values

الفصل العاشر

الرقم الوطني الليبي ودوره في تعزيز قيم المواطنة

The Libyan National Number its Role in promoting the Citizenship Values

تمهيد

بما أن العالم مقسم إلى دول وتكتلات، يحمل مواطني كل دولة جنسيتها، ويكتسبون من خلالها حقوقهم وواجباتهم، وهذه الحقوق تقتصـــر على مواطني هذه الدولة دون غيرها، وبما أن بعض الدول لديها مقومات للحياة أفضل من غيرها، تكون جاذبة لسكان آخرين لا يحملون جنسيتها، ويستحوذون على خيراتها ويتنصلون من واجباتها كالدفاع عنها مثلا، لأنهم لا يوجد لديهم رابط قانوني وروحي اتجاهها، كما أن بعض الداخلين قد يعبثون بأمنها، تطورت طرق الانتماء للدولة؛ لكي تضـمن الشـخص المنتمي لها أصـلاً، ويحمل جنسـيتها وشـــعارها، وزاد هذا الحرص على وجود طريقة لمعرفة انتماء الشـــخص بعد ظهور الإرهاب والتزوير والتلاعب الذي استغل حتى لضرب اقتصاديات وأمن الدول، لذا سنتطرق في هذه الفســـحة للرقم الوطني في الدولة الليبية والتي عملت أخيرا على إصـــدار منظومة رقم وطني تتعرف من خلاله على المواطنين الليبيين؛ لكي تضـــمن حقوقهم وتدافع عنهم في المحافل الدولية، وتسد الطريق على المتطفلين الذين لا يحملون جنسيتها، وسنتعرض أيضا للشقيقة مصر وتجربتها في الرقم القومي، ثم نتناول أهمية الرقم الوطني سواء للدولة الليبية أو للمواطنين، إَضافة إلى فوائد استخدامه لتنمية الدولة ولمصلحة المواطن، كذلك التعرف على فوائد الرقم الوطني، وأخيرا علاقة الرقم الوطني بالهوية الليبية والمواطنة.

أولاً: الرقم الوطني في ليبيا (Libya National Number)

التعريف الإجرائي للرقم الوطني: الرقم الوطني هو رقم مرجعي فريـد (غير متكرر) يصرف لكل مواطن ليبي ويستخدم للوصـــــول إلى بياناته الأساس بقاعدة البيانات الوطنية وإلى كافة البيانات ذات العلاقة بالمواطن والتي من بينها:

- تطبيقات الأحوال المدينة، السجل الجنائي، الجوازات، البطاقة الشخصية، إلخ.
- تطبيقات الصحة العامة مثل الملف الصحي وصرف الدواء والعلاج بالخارج وغيرها.
- تطبيقات التعليم (المراحل – المستوى التعليمي – الإيفاد للدراسة).
- تطبيقات التشغيل والتكوين.
- تطبيقات التعبئة العامة.
- تطبيقات الخدمات الإدارية والمالية والقانونية والتجارية.

ثانياً: مصر كمثال لتطبيق الرقم الوطني

(Egypt as an example for applying the national number)

الرقم القومي في مصر

باعتبار أن مصـر قد سـبقت ليبيا في تطبيق منظومة الرقم الوطني أو كما يسـمى في جمهورية مصـر العربية الرقم القومي، إذ نجده مرتبطًا ببطاقة الرقم القومي، أو كما تسـمى رسميا في مصر بطاقة تحقيق الشخصية، تصدر لكل من بلغ السادسة عشر عاما، وتحوي التفاصيل الشـخصـية لحاملها، من صـورة فوتوغرافية والاسـم بالكامل وعنوانه ومحافظته وتاريخ ميلاده ورقمه القومي، وتحمل على ظهرها: الجنس والوظيفة والحالة الاجتماعية والديانة، وهي بطاقة إلكترونية تصدرها وزارة الداخلية المصرية كبطاقة تعريف للمواطنين المصريين، لكل مواطن رقم

لا يتكرر على مســـتوى البلاد، يســـمى الرقم القومي ويتكون من 14 رقما، والبطاقة يتم تجديدها بصفة دورية كل سبعة أعوام.

وهناك رمز c1 يدل على القرن الماضي أي من أعمارهم من سنة 1900 إلى 1999، والآن بداية الرقم تبدأ ب c2 وتدل عل من أعمارهم من 2000 حتى 2099 وهكذا، كما أن بداية الرقم 1 تعني أن صـاحب الرقم ذكر وإذا كانت 2 تعني أن صـاحب الرقم أنثى (بطاقة الرقم القومي، الموسوعة الحرة تاريخ الزيارة 2020/7/8 http://ar.wikipedia.org).

ثالثاً: أهمية الرقم الوطني الليبي

(The importance of the Libyan national number)

للرقم الوطني أهمية بالغة تعود على الوطن والمواطن بفوائد جمة لإســـهامه في تنظيم ســـير عمل المؤســـســـات الحكومية المتمثلة في (أهمية الرقم الوطني الزيارة 2020/7/8 https://nid.gov.ly/NID.html):

1- تبسيط الإجراءات الإدارية وتسهيل الخدمات وتطويرها بما يتماشى مع تطلعات المواطنين الرامية في الارتقاء بالأداء العام.
2- خصوصية البيانات الشخصية للأفراد وعدم الحاجة إلى حمل الوثائق وعرضها على كل من يُطلب من خدمة.
3- الشعور بالانتماء، فبطاقة الهوية تعمل على إيجاد إحساس مشترك بالفخر لدى المواطنين لانتمائهم لهذا البلد الذي يسعى إلى توفير أفضل مستويات المعيشة لأفراد المجتمع.
4- تحمل البطاقة من البيانات بما يجعل المواطن موضـــع الثقة والاحترام وتقديم الخدمة الشخصية له مثل تدوين فصيلة الدم والعنوان ورقم رخصة القيادة، وغيرها.

5- تقليل حمل الوثائق، إذ أن البطاقة التي تحمل الرقم الوطني ســـتكفي في التعامل مع كافة الجهـات التي سوف تتاح لها قاعدة البيانات الوطنية لخدمة حاجات المواطن، بالإضـافة إلى ممارسته لكـافة حقوقه التي يكفلها القـانون.

6- تحقيق الأمن الاجتماعي للمواطن عبر تقليل المخاطر الناجمة عن اســـتخدم الهويات التقليدية، لكون البطاقة الجديدة ذات مواصفات تجعلها صعبة التزوير أو العبث ببياناتها أو إعادة استخدامها من قبل أشخاص آخرين.

7- منع عمليات الازدواج بما يضمن توزيعاً عادلاً للثروة و الفرص.

رابعاً: فوائد استخدام الرقم الوطني

(Benefits of using the national number)

يُعد المواطن هو المســـتفيد الأول من تطوير وميكنة الخدمة المدنية، فالمواطن دوماً ما يحجم عن تحديث بياناته الشـــخصـــية أو العينية بســـبب الدورة الروتينية اليدوية داخل السـجلات الورقية والتحقق منها، والتي تسـتهلك وقتًا ومالًا وجهدًا كبيرًا، وعلى الرغم من ذلك يشـــوبها العديد من أوجه القصـــور وإمكانية التزوير، بالإضـــافة لما ســـبق تأكيده، تتســـع فوائـد المواطن لتشـــمـل المقومـات الآتيـة (أهميـة الرقم الوطني الزيـارة 2020/7/8 :(https://nid.gov.ly/NID.html

1- تحســين نوعية الخدمة المدنية المقدمة للمواطن من قبل مؤســســات الدولة، بحيث يمكنه اسـتخراج بياناته الشـخصـية من أي مكان يتواجد فيه، وليس محل الميلاد أو الإقامة في سرعة وطريقة تعامل حضارية.

2- منع عمليات تزوير أو تضـــارب وتشـــابه البيانات بين المواطنين الذين يحملون أسماءً أو ألقابًا متشـابهةً، فكل منهم يحمل رقماً وطنياً خاصًـا به يسـتعلم به عن بياناته ووثائقه الثبوتية.

3- إمكانية الاســـتعلام عن بيانات المواطن حال طلبه الخدمة من أي مكان داخل الدولة، وتحديداً أولئك الذين يطلبون خدمات اجتماعية أو مالية أو مســـاعدات من قبل المصارف أو مؤسسات الدولة.

4- الحفاظ على سرية البيانات الشخصية للمواطن، بحيث لا يمكن الاطلاع عليها من دون طلب مباشر من طالب الخدمة.

5- إمكانية دراسة الحالات الاجتماعية والأسرية لطلب الخدمات والمساعدة دون إجراءات البحث الميداني المعقدة التي قد تشعر المواطن بالحرج الشخصي تجاه نفسه أو تجاه عائلته وجيرانه.

6- يســتهدف تعميم وإشـــاعة اســتخدام بطاقات الرقم الوطني، بناء بُنية معلوماتية وطنية سليمة، باستخدام التقنية الحديثة في إدخال، وحفظ، وتطوير واسترجاع كافة المعلومات الخاصـــة بالمواطنين وأوضـــاعهم الاجتماعية والعمرية والاقتصـــادية، بحيث تخدم المواطن والدولة، وبينهما المســـتثمرين من داخل الدولة الليبية وخارجها في تخطيط اســـتثماراتهم الآنية والمستقبلة.

7- هذا الاستخدام ذو عائد ومردود اقتصـادي كبير، إذ يوفر لهؤلاء جميعاً الجهد، والوقت، والمال المبذول من قبل متلقي الخدمة (المواطن) ومزود الخدمة (الموظف) وطالب المعلومة (المستثمر)، فهؤلاء يمكن لهم الحصول على الخدمة في صورة حضارية ومتواصلة دون العناء السابق.

خامساً: فوائد الرقم الوطني للدولة الليبية

(Benefits of the national number of the Libyan state)

الدولة هي المستفيد الثاني من تطوير الخدمة المدنية، ولكنها استفادة تالية لاستفادة المواطن، الذي هو مع غيره من مواطنين هم الأســـاس لهذا المجتمع. وأوجه اســـتفادة الدولة تكمن في المقومات الآتية (مشـــروع الرقم الوطني والمشـــاريع المكملة له الزيارة 2019/4/6 :(http://www.nid.gov.ly

1- تكوين قاعدة بيانات رقمية يستفيد منها المواطن في المجالات الاقتصـادية والاجتماعية داخل تجمعاتهم السكنية المحلية، أو على المستوى العام، دون الحاجة للتعداد السكاني أو الاقتصادي المكلف مالا وجهداً.

2- تمكين الدولة من توظيف الثروة الهائلة في مجال تقنية المعلومات لبناء منظومة معلوماتية عن سكانها لحفظ هوية المجتمع.

3- تحقيق التكامل والترابط الوظيفي والمعلوماتي بين كافة أجهزة الدولة التي تتعامل مع المواطنين لتحقيق مبدأ الرشـــادة الاقتصـــادية، وتقليل الجهد والمال المبذول في تحقيق الخدمات المدنية للمواطنين عبر الروتين التقليدي من خلال إلغاء كافة الخطوات غير اللازمة المصاحبة لدورات العمل الروتينية وتبسيط الإجراءات.

4- تمكين مؤسـسـات الدولة على المسـتوى المحلي والإقليمي والمجتمعي العام من التخطيط ورسـم السـياسـات العامة من خلال بيانات دقيقة وواضـحة عن التطورات السـكنية والحضرية والاقتصادية والصناعية التي تحدث داخل الدولة.

5- تمكين طالبي المعلومات من الباحثين والمســتثمرين من الحصــول على معلومات حقيقة وموثقة للاسـتفادة منها في المجال الأكاديمي والاقتصـادي للمسـاهمة في رفاهية المواطن والدولة.

6- خلق سوق جديدة داخل الاقتصاد الليبي تعتمد على تقنية المعلومات وتنمية المشاريع المرتبطة به.

7- تقليل وقت تقديم الخدمات المدنية، وعدد مرات التردد على مرافق الخدمات، مما يحقق مردودًا اقتصاديًا غير منظور للمواطن و الدولة معاً.

8- مراقبة جودة الأداء العام مع الاهتمام بعمليات شيوع الشفافية والحد من عمليات الفساد المالي والإداري داخل مؤسسات الدولة.

9- الفصل بين مقدم الخدمة وطالب الخدمة للقضاء علي حالات الفساد.

10- بناء مجتمع عصري، ومد كافة الخدمات المدنية لشرائح المجتمع دون النظر إلى أماكن سكناهم وشرائحهم الاجتماعية أو العمرية.

11- مواكبة التطور العالمي.

سادساً: أهداف الرقم الوطني (National number targets)

الرقم الوطني لديه أهداف مهمة تتمثل في (مشروع الرقم الوطني والمشاريع المكملة له الزيارة 2019/4/6 http://www.nid.gov.ly):

1- بناء بنية معلوماتية وطنية سليمة لتكون أرضية لتطبيقات الإدارة الحديثة للدولة وتكوين قاعدة بيانات.

2- تحسين نوعية الخدمة المدنية المقدمة للمواطن من قبل مؤسسات الدولة، بحيث يمكن التأكد من بياناته الشخصية في أي مكان.

3- منع عمليات تزوير وتضارب وتشابه البيانات بين المواطنين الذين يحملون أسماء أو ألقابًا متشابهةً، فكل منهم يحمل رقماً وطنياً خاصاً يستعلم به عن بياناته ووثائقه.

4- إمكانية الاســتعلام عن بيانات المواطن حال طلبه الخدمة من أي مكان داخل ليبيا مثل المصارف والمؤسسات الخدمية وغيرها.
5- تحقيق الأمن الاجتماعي بتقليل المخاطر الناجمة عن اســتخدامات البطاقات التقليدية، فالبطاقة الذكية ذات مواصفات تجعلها صعبة التزوير أو العبث بياناتها أو إعادة استخدامها من قبل أشخاص آخرين.
6- تقليل حمل الوثائق على المواطن، إذ أن الشريحة الإلكترونية للبطاقة الشخصية الحاملة للرقم الوطني يمكن تحميلها ببيانات تكفي للتعامل مع كافة الجهات لتقديم الخدمة بشكل أسرع.

سابعاً: علاقة الرقم الوطني بالهوية والمواطنة والتنمية

1- الرقم الوطني وعلاقته بالهوية والمواطنة

الرقم الوطني أصــبح دلالة صــريحة على التدليل على هوية صــاحب الرقم وانتمائه لدولته، فالهوية تشــير إلى ميزات يختص بها الفرد والمجتمع، فهو الذي يفرق بين جنســية وأخرى، ومن خلاله يستطيع الفرد أن يتحصل على حقوقه كاملة سواء كانت الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، وبنفس الوقت الهوية تشير إلى جوامع مشتركة وخصائص للفرد والمجتمع. فالهوية الوطنية يمكن أن نعرفها على إنها مجموعة الســمات المجتمعية التي يمتلكها الفرد تبعا للمجتمع الذي ينتمي إليه، وبالتالي نجد الرقم الوطني يجمع هذه الخصائص ويدمجها من خلال المكونات والملامح الأســاســية برســم حدود جغرافيا بشــرية؛ تميز كل مجتمع عن الأخر، والرقم الوطني بهذه الأهمية يعتبر نقطة البداية في تحقيق الاستقرار داخل المجتمع، حيث يوحد جميع الفئات التي يتكون منها المجتمع في أرقام وطنية لا تمييز فيها، ولا ينظر إلى

الاختلافات العرقية أو الدينية أو القبلية، فالجميع أمامهم الفرصة في الحصول على الحقوق والقيام بالواجبات.

وباعتبار أن الهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئا ما عن غيره، أو مجموعة عن غيرها، لكل منها عناصر وسمات تميزها عن غيرها، فتزداد قوتها بازدياد المعالم الأساسية التي تجتمع عليها الأمة والمتمثلة في اللغة المشتركة والاقتصاد المشترك وارتباطه بالتنمية، والثقافة والتاريخ المشترك.

أما كلمة المواطنة اصطلاحا هي عادة حالة من الانتماء إلى مجتمع واحد يشترك بمجموعة من الروابط الاجتماعية والثقافية والسياسية على رقعة جغرافية واحدة في ما يعرف بالدولة، والمواطنة الحقيقية ترتبط بمصطلح المواطن الفعال، الذي يشترك في رفع مستوى مجتمعه الحضاري عن طريق العمل الرسمي والتطوعي، وتتضمن عادة المواطنة التوازن بين الحقوق والواجبات، وأول هذه الحقوق إكساب المواطن رقما وطنيا فريدا، يبرز فيه هويته وانتمائه وتصان من خلاله حقوقه، فلا يتحصل على حقوق إلا بعد اكتساب الرقم الوطني، ولا يكلف بواجبات إلا إذا امتلك هذا الرقم، والذي يلازمه كالاسم، بل الاسم قد يتشابه مع غيره، أما الرقم الوطني فهو منظومة عالمية تحدد هوية شخص واحد شأنها شأن بصمات اليد التي تختلف من شخص لأخر، إذا الرقم الوطني هو الطريق للحفاظ على أبعاد المواطنة القانونية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية، فعن طريقه يساهم في العملية السياسية، وتبعده عن الانعزال والتهميش، والتمييز، وتوفر له الوظيفة والعيش الكريم وتحفظ كرامته، وتحترم خصوصيته وهويته الثقافية والحضارية.

من هنا عندما تحترم هويته تعزز لديه المواطنة وتشعره بالانتماء، ويصبح له معنى يعيش من أجله، ومكان ينتمي إليه ويرتبط به وجدانيا وعاطفيا، ويملي عليه التعاضد وحب

الجماعة والعمل معها لمصـــلحة الوطن، وتقوي لديه الولاء وحب الوطن وتنمي فيه قيم التضـــحية من أجله، ويصـــبح الانتماء حقيقي عندما يكون الفرد في دولة ديمقراطية تحفظ له المساواة في الحقوق وتمنحه حق المشاركة السياسية، وتشعره أنه في دولته ومن حقه المساهمة في بنائها والمحافظة عليها.

2- الرقم الوطني والتنمية

نظرا لأهمية الرقم الوطني أصـــبحت الدول تعتمد عليه في خططها التنموية، فهناك بعض الدول وضعت خطط لإنشاء أرقام وطنية للعقارات، فكل عقار لديه رقم وطني يختلف عن رقم العقار الآخر، وذلك في إطار خطة للتحول الرقمي، بهدف حصـــر وتنمية الثروة العقارية، وتأمين ملكية المواطنين لثروتهم العقارية وتعظيم الاســـتفادة منها وضـــبط الســـوق العقارية والقضـــاء على البناء غير المرخص والعشـــوائيات، وهذه الخطوة أراها متميزة، وأتمنى تطبيقها في بلدنا ليبيا، كونها ســـتحافظ على الأراضـــي الزراعية، وتمنع الاعتداء عليها، وتمنع البناء العشوائي، وتحافظ على الغطاء النباتي وعلى أراضي الوقف، والأراضي التي بها آثار هذه الثروة التي أصبحت مهددة من أيدي العابثين، كما أن التنمية تأتي من خلال قاعدة البيانات التي وضعت للرقم الوطني، والتي حددت التنمية البشرية للدولة، فكل رقم وطني يتضمن على الجنس والعمر ومحل الإقامة مما يســـهل معرفة قدراته ومؤهلاته واحتياجاته، والتي تعول الدول عادة على بيانات أفرادها لبناء خططها التنموية التي تناسب مجتمعها.

المراجع

References

المراجع
References

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.

أولا: المراجع العربية

- أبراش، إبراهيم (1998). علم الاجتماع السياسي، دار الشروق، الأردن.
- أحمد، سهير كامل (1999). أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر.
- إدريس، محمد عبد التواب (2013). المواطنة في حياتنا، القاهرة، ، مقال منشور بالجمعية المصرية للحفاظ على التاريخ، القاهرة. متاح على الرابط: (http://kenanaonline.com).
- ادهم، كمال حسين (2010). مفهوم المواطنة وآليات تعزيزها، دراسات إقليمية، العراق، المجلد 5 العدد 13.
- أسعد، وجيه (1993). علم النفس وميادينه، الدار المتحدة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أهمية الرقم الوطني الزيارة 2020/7/8 (https://nid.gov.ly/NID.html).
- بجك، باسيل يوسف (2006/12). قراءة قانونية لمستقبل وحدة شعب العراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 323، بيروت.
- بدوي، محمد طه وآخرون (2001). مدخل إلى العلوم السياسية، الإسكندرية، منشأة المعارف.

- البرعصـــي، عمر حمد عقيلة (2013). مبادئ العلوم الســـياســـية، الطبعة الثانية، دار المكتبة الوطنية، بنغازي–ليبيا.
- بركو، مزوز (2009)." اضطرابات الوظيفة الأسرية"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، الجزائر، العدد 21–22.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصـــندوق العربي للإنماء الاقتصـــادي الاجتماعي (2002). تقرير التنمية الإنســانية العربية 39 – /www.almarefh.org/ الســعودية. مجلة المعرفة العدد 12.
- بـطـاقـة الـرقـم الـقـومـي، المـوســـوعـة الحـرة تـاريـخ الـزيـارة 2020/7/8 (http://ar.wikipedia.org).
- بوحرده، عمر موسى عمر (2013). أسباب ضعف المشاركة السياسية لدى طلاب كلية الآداب والعلوم – القبة"، مجلة العالمية، جامعة بنغازي– كلية الآداب والعلوم– المرج، العدد.
- بوحرده، عمر موســـى (2018/6). "التعليم الخاص وإشـــكالية المواطنة والهوية"، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد الثاني عشر.
- تـدويـنـات مواطنـات، التربيـة الوطنيـة–الفرق بين الوطنيـة والمواطنـة تـاريخ الزيـارة 2020/6/5– nedu2394182.wordpress.com/2013/11/29.
- الجـازي، هـايـل (2019/6/24) بحـث عن المواطنـة / تـاريخ الزيـارة 20–7–2020 https://mawdoo3.com.
- الجرواني، هالة إبراهيم والمشرفي، انشراح إبراهيم 2011. التنشئة الاجتماعية ومشكلات الطفولة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة http://uqu.edu.sa/page/ar/107586.

- جعنيني، نعيم حبيب (2009). علم اجتماع التربية المعاصـر بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الجوهري، عبد الهادي (1998). معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
- الحاج، كميل(2000). الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان، بيروت.
- الحارثي، زايد (1999). التنشئة الاجتماعية والسلوك المأمول للشباب، جمعية المعلمين الكويتية، الكويت.
- الحامد، محمد بن معجب (2009/5/10). الشـراكة والتنسـيق في تربية المواطنة بحث مقدم إلى اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربويين المنعقد في منطقة الباحة في المملكة العربية تاريخ الزيارة 2020/7/20 www.almarefh.org.
- حسين، فارس بن الشيخ (2011). "التنشئة الاجتماعية، مجلة الابتسامة، الموسوعة العلمية، http://www.ibtesamh.com.
- أبو حشيش، بسام محمد (2010). مجلة جامعة الأقصى، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير.
- حروش، رابح (2005). أساليب التنشئة الأسرية وانعكاساتها على المراهق"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، بباتنة.
- أبو حمدان، ماجد ملحم (2011). "طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها بمدى مشاركة الشباب في اتخاذ القرار داخل الأسرة"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث + الرابع.

- الخريجي، عبدالله (1990). علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، رامتان: جدة، الطبعة الثانية، السعودية.
- الدجاني، أحمد صدقي (1999). مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة.
- بن دحمان، جمال (2011). المواطنة المسؤولة، المعهد العربي للتنمية والمواطنة، لندن.
- الدويبي، عبدالسلام بشير (2010). رياض الأطفال في المجتمع الليبي: اتجاهات ومؤشرات في التربية والتنشئة المبكرة، تاريخ الزيارة 2020/7/19 https://sites.google.com/site/0123456789nisse/68.
- ديوي، جون (1943). المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- رحيمة، شرقي (2005). أساليب التنشئة الأسرية وانعكاساتها على المراهق، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
- رستم، بير (2015/8/25). أزمة المواطنة لدى الإنسان العربي، الحوار المتمدن العدد 4907، تاريخ الزيارة 2020/7/24، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=482000&r=0.
- الرشدان، عبدالله زاهي (1990). المدخل إلى التربية والتعليم، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان.
- الرشدان، عبدالله (1999). علم اجتماع التربوية، دار الشروق، عمان.
- الزاوي، الطاهر أحمد (1980). مختار الصحاح، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس.

- الزهراء، فضـلون (2018/9). مسـاهمة الأسـرة في تنمية قيم المواطنة عند الطفل، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد السابع، جامعة أم البواقي، الجزائر.
- زين العبدين، محمد (2009). التنمية البشـرية بين وظائف الدولة وأدوار المجتمع المدني، مجلة مسالك الفكر والسياسة والاقتصاد، العدد 9-10.
- السـبيعي، عدنان (1404هـ). من أجل أطفالنا، الطبعة الثالثة، مؤسـسـة الرسـالة، بيروت.
- سـعيد، إسماعيل علي (2001). دراسـات في العلوم السـياسـية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الشبكة العربية للمنظمات الأهلية (2002). التقرير السنوي الثاني، دار نوبار للطباعة، القاهرة.
- شـريف، السـيد عبدالقادر (2005). الأصـول الفلسـفية الاجتماعية للتربية، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال.
- الشـعيبي، أحمد قائد (2006). وثيقة المدينة: المضـمون والدلالة، سـلسـلة كتب الأمة، الدوحة.
- الشـكري، علي بوسـف، عامر عبدالوائلي، مصـطفى فاضـل الخفاجي (2017). مبدأ الفصـل بين السـلطات في الفكر السـياسـي الحديث، مجلة مركز بابل للدراسـات الإنسانية، المجلد: 7، العدد 2.
- الشـنتوت، خالد أحمد (2000). دور البيت في تربية الطفل المسـلم، مكتبة المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى.

- الصطوف، عبد الكافي (2011). الثورة الفرنسية، الموسوعة المعرفية الالكترونية الشاملة، تاريخ الزيارة 21/7/ 2020 https://www.marefa.org.
- طربوش، قائد محمد (2007). حقوق الطفل في التشريع الدستوري العربي: تحليل قانوني مقارن بالدساتير الأجنبية، المكتب الجامعي، الإسكندرية.
- طه، عبدالقادر فرج (2009). قاموس علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة الأنجاو، القاهرة.
- العابد، هناء (2010). "التنشئة الاجتماعية ودورها في نمو التفكير الإبداعي لدى الشباب السوري"، رسالة دكتوراه، جامعة St.Clements العالمية.
- عبد الصادق، علي (2007). مفهوم المجتمع المدني، قراءة أولية، مكتبة الأسرة.
- عبد العزيز، خواجه (2005). مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- عبدالمطلب، جمال (2013/3/5). المواطنة وحقوق الإنسان، تاريخ الزيارة 2020/7/24 http://sanafeen.ahlamontada.net.
- عبدالمولى، محمد نجيب (2014). المواطنة وحقوق الإنسان، دليل تسيير نوادي التربية، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس.
- عجاوي، محمود وأبو هلال، ماهر (1994)." أثر رياض الأطفال على التحصيل الأكاديمي في المرحلة الابتدائية" ، المجلة العربية للتربية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول.
- العجمي، ناصر محمد (2010)."المواطنة"، مكتب التوجيه المجتمعي، نشرة فصلية تصدر عن مكتب التوجيه، الكويت، العدد الرابع.

- عثمان، عبدالرحمن صوفي وعرفان، محمود محمود (2013). دور منظمات المجتمع المدني في دعم خدمات الرعاية الاجتماعية في المجتمع العماني، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عُمان.
- العماري، الصديق الصادقي (2012). التربية على المواطنة وحقوق الإنسان مشروع تكوين مواطن الغد، مجلة علوم التربية، العدد 59.
- عمر، معن خليل (2004). التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان، الأردن.
- عياد، مواهب إبراهيم (1992). نمو وتنشئة الطفل من الميلاد حتى السادسة، دار المعارف الإسكندرية، مصر.
- عيد، إيهاب (2012). الأخطاء العشرة في تربية الأطفال، اليوم السابع، تاريخ الزيارة 16/05/2020 https://www.youm7.com/story/2012/1/15.
- العيسوي، عبدالرحمن (1985). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي الإسكندرية.
- العيسوي، عبدالرحمن (1993). مشكلات الطفولة والمراهقة، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- الغابد، محمد الحافظ (2019/1/30). المجتمع المدني والمواطنة، تاريخ الزيارة 2020/7/21 http://albechir.net/all/?p=549.
- غالي، بطرس (1976). المدخل في علم السياسة، ط5، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية.

- الغريبية، زينب بنت محمد (2015/12). إســـتراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد الحادي عشر.
- غليون، برهان (2006). بيان من أجل الديمقراطية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة.
- فروم، إريك (1990). الإنســـان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: حامد زهران، الســـلســـلة 140، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت.
- فوزي، سامح (2007). المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة.
- قحطان، أحمد سليمان (2004). الأساس في العلوم السياسية، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن.
- قرواني، خـــالـــد (2011). الاتجـــاهـــات المعـــاصـــــرة لـــلـــتربيـــة عـــلـــى المـــواطنـــة، https://home.moe.gov.om/file/mwatna/pdf/5.pdf
- قناوي، هدى محمد (2008). الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة.
- كارلسون، ريتشارد (2000). لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك، ترجمة دار جرير، دار مكتبة جرير، السعودية.
- كردي، أحمد السيد، سلوك المواطنة التنظيمي http://kenanaonline.com 2.6.2011.
- الكندري، أحمد مبارك (1992). علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصـــرة، مكتبة الفلاح، الكويت.
- الكوري، علي خليفة (2000/10/26). مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية، موقع البيان، تاريخ الزيارة 20/7/ 2020 https://www.albayan.ae/opinions/2000-08-26.

- كيســـلاســـي، ايريك (2006). الديمقراطية والمســـاواة، ترجمة: جهيدة لاوند، معهد الدراسات الإستراتجية، بغداد.
- اللطيفي، محمد (2008). المواطنة المتســـاوية في الإســـلام، "إمكانية التحقيق وعوائق التطبيق"، سلسلة دراسات حقوق الإنسان، ملتقى المرأة، صنعاء.
- ليلة، علي (2006). الطفل والمجتمع، التنشـئة الاجتماعية وأبعاد الانتماء الاجتماعي، المكتبة المصرية، القاهرة.
- مايسة، النيال (2007). التنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- محمود، قرزيز ومريم، يحياوي (2008)، دور المجتمع المدني في تحقيق التنمية الشـــاملة في الجزائر بين الثبات والتغير، تاريخ الزيارة 2020/7/22 https://www.univchlef.dz/ uhbc/seminaires dicembre_2008/com_dic_2008_14.pdf/2008
- مخاطري، مهدي (2017). إشـكالية الدولة والمجتمع المدني في الجزائر، رسـالة ماجسـتير غير منشورة، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، العلوم السياسية.
- مختار، محي الدين (1998). التنشـــئة الاجتمـاعيـة، المفهوم والأهـداف، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- مركز التميز للمنظمات غير الحكومية (2003/9/20). المجتمع المدني، نسخة الكترونية، تصنيف ورقم الوثيقة أبحاث ودراسات، عدد (23)، www.ngoce.org.
- مشـروع الرقم الوطني والمشـاريع المكملة له الزيارة 2019/4/6 .http://www.nid.gov .ly

- المصـــري، حكمت نبيل (2017). مبدأ الفصـــل بين الســـلطات وتأثيره على النظم الديمقراطية، المركز العربي الديمقراطي للدراسـات الإسـتراتجية والاقتصـادية، تاريخ الزيارة 2020/7/14 https://democraticac.de/?p=41994.
- مناع، هيثم (1997). المواطنة في التاريخ العربي الإســـلامي، مركز القاهرة لدراســـات حقوق الإنسان، القاهرة.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (2000). مراجعة الاســـتراتيجية العربية للتربية السابقة على المدرسة الابتدائية، تونس.
- موسـى، سـعيد ياسـين (2012). دور منظمات المجتمع المدني في التنمية)، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3160 ، زيارة 2020/7/3 http://www.ahewar.org.
- ميكشـــيللي، أليكس (1993). ترجمة: علي وطفة، الهوية، دار الوســـيم للخدمات الطباعية، دمشق.
- نعيمة، محمد محمد (2002). التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية.
- نور الدين، مبني وعائشـة، لصـلح (2015/12). المواطنة الرقمية: عندما تصـبح مواقع التواصـل الاجتماعي فضـاء للنقاش العمومي، مجلة تنمية الموارد البشـرية، العدد الحادي عشر، الجزائر.
- نومار، مريم نريمان (2012). "اســـتخدام مواقع الشـــبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية"، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، شـعبة علوم الإعلام والاتصـال، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر.

- ابوالنيل، محمود السيد (1985). علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، الجزء الأول.
- الهمشري، عمر احمد (2003). التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- وطفة، علي أسعد (2012). "الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية"، مركز الرافدين للدراسات والبحوث، الكويت، www. Alrafedein.com.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Alrashad, Jamel (2010). Towards a Taxonomy of Privacy Concerns of Online Social Network Sites Users, Master of Science Thesis, Stockolm, Sweden.
- Bacanli, Hasan(2016). Learning and Teaching Theories, Approaches and Models, Turkey, Ankara.
- Barnett, Steven (2000). Economics of Early Childhood Intervention.
- Encyclopedia Britannica Inc.,1992: The New Encyclopedia, Britannica, University of Chicago volume 13.
- G. ROCHER (1986). Introduction in sociology , general of Knowledge in Depth), 15th ed, 1992 print
- Holmes, Cherry (1980). Ch., Social Knowledge and citizenship education: tow views of truth and criticism, curriculum in query, 10(2) .
- Malewska, Hanna(1992). Pierre Tap, La socialization de l enfance al adolescence, P.U.F.
- Maslow, A., Motivation and Personality Harper and Raw, N.Y, 1954.
- Patrick, John, The concept of citizenship in educational resources information center, Eric Ed. 432532,1999,file II A.
- Oliver, Dawn and Heater, Derek (1994). The Foundation of Citizenship, Harvertor Wheats leaf, London
- Shonkoff, J.E. & Merisels, S. (ed.) Handbook of Early Childhood Intervention. Cambridge: Cambridge University Press.
- https://sites.google.com/site/abdullatialsh/sha2awetshabab-1/imagesCA2EE4ZN.jpg?attredirects=0

- Kamerman, Sheila (2000). Early Childhood Intervention Policies: An International Perspective In Shonkoff, J. (ed.) Early Childhood Intervention. Cambridge: Cambridge University.